

مَجْلَمُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م

الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

- ٧ -

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر وبرع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صباه ، فلترقب ابا الطيب في اول حركة من حر كاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلنقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبي ، لماذا لقبوه بالمتنبي هل نسباً ابا الطيب وكم كان عمره في دعوى النبوة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غير دعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انه هم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل تنبأ له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطن نفسه للموت وهو في السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذاهبهم ام او هن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبي ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صاحب ابا الطيب دهرأ طويلاً قال :

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري
عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

سمعت ابا الطيب يقول انما اقبلت بالمنبيء لقولي :
 انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
 وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا ك مقام المسيح بين اليهود
 فتشبهه بصالح و بالمسيح مدعاة الى تلقيبه بالمنبيء .
 هل انبأ المنبيء ، وكم كان عمره لما انبأ ، وما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة .
 قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المنبيء اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع
 عشر سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمي اذنيه ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من
 فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه دخلت معه في المنزل اغلنما لمشاهدته
 واقتراساً من ادبه قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير فقال :
 ويحك اتدري ما نقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه
 كلمة هنزل قط منذ عرفته فقلت له : ما نقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل
 الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال : املاء الدنيا عدلاً كما
 ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع
 واتي ، وضرب الاعناق لمن عصى وابي فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان
 يظهر وعدله على ذلك فقال بديها :

ابا عبد الآله معاذ اني خفي عنك في الهيجا مقامي
 ذكرت جسم ما طليبي وانا نجاطر فيه بالمهج الجسام
 امثلي تأخذ النكبات منه ويمزع من ملافاة الحمام
 ولو برز الزمان الى شخصاً خلضب شعر مفرقه حسامي
 وما بلغت مشيتها الليالي ولا سارت وفي يدها زمامي
 اذا امتلأت عيون الخيل مني فويل بيك النيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المنبيء فلنسمع قول كافور الاخشيدي
 وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، انا بدعي المملكة مع كافور فحسبكم .
اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل ننبأ المنبي انه قد شك في دعوى النبوة وبني مقاله على هذا الشك ، فهو يعتقد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساد او من ملفقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجده فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدق الدعوى وروي أحاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المنبي ، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المنبي) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرائع من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يديرها في العلو مدبر ظفر بها من وفق ، ولا يراع بالجهت ان يتحقق ، وقد دلت اشياء في دبوانه انه كان مثألهما ، ومثل غيره من الناس مثلهما ، فمن ذلك قوله :
(ولا قابلاً الا خالفه حكماً)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي بربته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا
واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لابني عن اعتقاد الانسان ، لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تدبناً ، وانما يجعل ذلك تزبناً ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالصة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون .

فمن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المنبي حتى انه يبن علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وتسمعون أحاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهراً .

ومن الذين تسكروا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
ويحكى انه ننبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً يحلب يحكون ان ابا الطيب المنيني ننبأ ببسادية
السماء ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وامسره ،
وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن
دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسل في امره فاستنابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها
ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

هذه أقوال من تسكروا على دعوى نبوة المنيني على ان بعضهم نسبوا الى المنيني اموراً
غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعائه العلوية وغير ذلك مما لم يذكره ، فالثعالبي قبل ان
يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وإعدهمته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائي نبله على الحدائث
من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي
البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المنيني لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب
 وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأمره ونفرك أصحابه وحبسه
طويلاً ثم استنابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان
الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من ننبأ بالشعر . —

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كذب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالنبوة واطلق .

فألدي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .
ولا بأس بان الملح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثا معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها افررتا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتخيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وثكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسحاة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فحببوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدث ايضا انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده مكين الافلام فخرجه جرحا مفرطا وان ابا الطيب لفل عليها من ريقه وشد عليها غير مننظر لوقته وقال للجروح لا تحملها في يومك وعد له اباما وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبري الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون هو مكحي الاموات .
وحدث رجل كان ابو الطيب قد استجنى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل واقبعا كلب الخ عليها . وفي الصباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الى امر على ما ذكر ولا يمنع ان يكون اعد له شيئا من المطاعم مسموما والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، واخربق مع الكلام . «

واما القرآن فما انا اقلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفطي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيع من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طوبلة لم يبق في حفطي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجتمده ، وقال له ابن خالويه النخوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضى ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغرض مني ولست اقدر على المنع .

قال النخوي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل تنبأ او لا فجوابني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهم بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبد الله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاء النبوة . ونرى كافور الاخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المنتبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من
السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالي وكذلك
ابن خلكان اذ نرى الثعالي نفسه يتكلم على هم المنتبي بالخروج على السلطان . ونرى
الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المنتبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر
غير النبوة ، وغير العلوية ويرجعه عليهما ولا يذكره . ونرى المنتبي نفسه اذا ذكرت له
النبوة والقرآن ينكرهما مرة ويغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة
فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المنتبي لم يعمرح في
شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان
لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدرة الشهادة قدر الشهود
فلا تسمع من الكاشحين ولا تعبان بعجل اليهود
وكن فارقابين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا
الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان
تشيع دعوى من الدعوى المذكورة وفصيده التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضيم
من لورآني ماء مات من ظاء ولو مثلت له سيفي ، النوم لم ينم
مبعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصي من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لم وان تولوا فما ارخي لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك
سواء عليه أجراء من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز
ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له
الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جعلتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير
يسير سبراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكانت
يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه
ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوم ان الارض
تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطالب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء
اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :
وكلمة في طريق خفت اعربها فيهندي لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطئ له السبيل
الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متبنياً
في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من
شعره منه قوله :

ثقل امر الافلاك عن ادراكه	مثل الذي الافلاك فيه والدنا
وقوله : لو كانت علك بالاله مقسماً	في الناس ما يبعث الاله رسولا
وقوله : او كانت لج البحر مثل يمينه	ما انشق حتى جاز فيه موسى
وقوله : يا من تلوذ من الزمان بظله	ابداً ونطرد باسمه ابليساً

الى كثير من اشياء هذه الايات ، فلما لم يمت له شيء من مراده ولعل
الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدغمين بسبوت صحبتهم	طارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرقى بطونهم	مكن الضباب لهم زاد بلاثن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري	وما يطيش لهم منهم من الغنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فالت المتنبي متن بعض المتانة في حبسه
فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد	وطنت للوت نفس معترف
لو كان سكتاي فيك منقصة	لم يكن الدرسا كن الصدف

واكدنه بعد ان قال هذين البيتين وهما في متانة الاخلاق والمبر على المكاره في
سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه المبر فضعف عزمه فقال
للوالي :

امالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعنق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجسل الوريد
دعوتك لما يراني البسلاء واوهن رجلي ثقل الحديد
فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة أمتني

- ٨ -

أرى ان أفغي اليكم بعد ان تكلمت على وطن أبي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بمجملته اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الافتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظرائه الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فتجدون في الآتي ان أبا الطيب قد شكك الحسد في كثير من قصائده ، ويستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لا تخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي أكثر من الإشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

* * *

فانظر الى حالة أبي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عبثه ورقة من حاله ، بعوزه كل شيء . بعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . ثوبي ابوه فقيراً ففرض ابوالطيب في مناكب الشام التمام للرزق . وجال في البوادي والخواصر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبلبك ومر بمحمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الف ترحلي وجعلت ارضي فتودي والغريبي الجللا

فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمنت عن ارض زوالا

على قلق كأن الريح تحني أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداء وكرمه فقد كان

فقدراً شكاً فقره وتنوعت شكايانه . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :
الى اي حين انت في زي محرم وحني متى في شقوة والى كم
ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :
لله حال أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهري ويمطاني
لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النمل والخف ،
ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا نأفني نقبل الردف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدنا
شرا كهنا كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها
وقد اكثرت من التمتع بقلة المطايا :
وحبيت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا
حالي متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الي منها نائبا
نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قياسي وقل عنه فعودي
ابداً أفطم البلاد ونجحي في نحوس وهمي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما ابغى بالالطف من عزيز حميد
لسري لباسه خشن القطر ومري مرور لبس القروود
ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التماذي في التماذي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد
فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واوها :
(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :
لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .
مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائد من أناث الخيل والحصن
فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم افض منها على شغفي بها شروى نقيير
وكم طلب الرزق لجذته ففاته هذا الرزق :
طلبت لها حظاً ففانت وفاني وقد رضيت بي لورضيت بها قدما
فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل
من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلام
على انه اذا دم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يخلوا عليه ، في جماعتهم ابو العشائر .
هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفائه في السعي ،
وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد
وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حسدت على نفيس لجذت به لذي الجذ العثور
ولكنني حسدت على حياتي . وما خير الحياة بلا مرور
ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم
الأم ، فقد شتموا بموت جدته :

لئن لد يوم الشامتين بهومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما
ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب
في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد . —

كان ابو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين
الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ
اربعا وثلاثين سنة . —

كيف اتصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث سيف في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .
قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال سيفه خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بمدة فصائد ، فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرضه منزله من الشعر والادب . واشترط ابو الطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكاف نقيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى ما يرويه منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقر به واجازه الجوائز السنية ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعموه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صاحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، ومنها غزوة العشاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار اقدم المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .
هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياہ واخفافه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فخر في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أقوام تحبهم فطالعامم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني سيف مكارمه اقلب الطرف بين الخيل والخيول
لقد خرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهباً .

تركت السرى خلقي لمن قل ماله وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا
فكانت سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والخيول والخلع والجوائز والاقطاعات .

اسير الى اقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمرعة وكان

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الشعالي فقد قال :
ويحكى انه ننبأ في صباه وفنن شردمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقا يحلب يحكون ان ابا الطيب المثنبي ننبأ ببسادية
السماء ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وامره ،
وشرد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن
دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستنابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها
ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المثنبي على ان بعضهم نسبوا الى المثنبي اموراً
غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاء العلوية وغير ذلك مما لم يذكره ، فالشعالي قبل ان
يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائيي نبله على الحدائث
من منه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي
البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المثنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب
 وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأمره ونفرك أصحابه وحبسه
 طويلاً ثم استنابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان
 الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من ننبأ بالشعر . —

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيكان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وأدعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

فألدي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .
ولا بأس بان المح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثا معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ما هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتخيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساءة ولنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فمجبوا له كل العجب وحار ذلك من دلائله عندم .

وحدث ايضا انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الافلام فجرحته جرحا مفرطاً وان ابا الطيب نفل عليها من ريقه وشد عليها غير منظر لوقته وقال للجروح لا تحلها في يومك وعد له اباما وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبري الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون هو كحي الاموات .
وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل واقبعا كلب الح عليها في الصباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الى امر على ما ذكر ولا يمنع ان يكون احد له شيطان المطام مسموما والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، والخريق سم الكلام . «

واما القرآن فما انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفطي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيع من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفطي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كانت يحكى عنه انكره وجعده ، وقال له ابن خالويه النخوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضى ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغرض مني ولست افدر على المنع .

قال النخوي : قال لي ابي : فاما انا فسالته بالاهواز عن معنى المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل نبياً او لا فجوابني بجواب مغالط وقال : انت هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهم بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبد الله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاء النبوة . ونرى كافور الارمني يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المنتبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من
السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالي وكذلك
ابن خلكان اذ نرى الثعالي نفسه يتكلم على هم المنتبي بالخروج على السلطان . ونرى
الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المنتبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر
غير النبوة ، وغير العلوية ويرجعه عليهما ولا يذكره . ونرى المنتبي نفسه اذا ذكرت له
النبوة والقرآن يتكرهما مرة ويغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة
فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المنتبي لم يعرج في
شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان
لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان بعجل اليهود

وكن فارقابين دعوى أردت ودعوى فعلت يشأو بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا
الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان
تسمع دعوى من الدعوى المذكورة وقصيده التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيمالك الملك والامسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضع

من لورآني ماء مات من ظاء ولو مثلت له سيف النوم لم ينم

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصي من ملوك العرب والعجم

فان اجابوا فما قصدي بها لم وان تولوا فما ارغبي لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك
سواء عليه أجراء من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز
ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له
الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير يسيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكانت يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيفسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقتها ويوم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثه بطلب الملك بعد ان تهبأ له هذا كله وتنبأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلة في طريق خفت اعربها فيهتدي لي فلم افدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطئ له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان مثبناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

لنقصم الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا
وقوله : لو كانت علك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولا
وقوله : او كانت لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
وقوله : يا من تلوذ من الزمان بظله ابدأ ونطرد باسمه ابليس

الى كثير من اشياء هذه الايات ، فلما لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدقسين بسبروت محبتهم طارين من حل كاسين من درن
خراب بادية غرثي بطونهم مكن الضباب لم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فالت المتنبي متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجين كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكتاي فيك منقصة لم يكن الدرسا كن الصدف

واكثبه بعد ان قال هذين البيتين وهما في مثانة الاخلاق والعبر على المكاره في
سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال
لوالهي :

امالك رقي ومن شأنه هبات الجبين وعنق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجبل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد
فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المحاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبى

- ٨ -

أرى ان أفغني اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بمجملته اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظرائه الفلسفية قبل انقضاء سنينا . ولكني لا اجدي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكك الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لا تخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي اكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل انصاله بسيف الدولة ، فقد علم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عبثه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . وفي ابوه فقيراً فضرِب ابا الطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والخواصر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعبك ومر بجمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الف ترحلي وجعلت ارضي فتودي والغريري الجللا
فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمت عن ارض زوالا
على قلق كأن الريح تحني أوجهها جنوباً او شمالا
جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداء وكرمه فقد كان

فقيراً شكاً فقره وتذوّعت شكايانه . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :
 الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقوة والى كم
 ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :
 لله حال أرجيها وتخلّني واقتضي كونها دهرى ويمطّني
 لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النمل والخف ،
 ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا نأفني تقبل الردف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدها
 شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها
 وقد أكثر من التنغم بقلة المطايا :
 وحيت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا
 حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الي منها قائبا
 نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :
 ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه فعودي
 ابدأ أقطع البلاد ونجحي في نخوس وهمي في صعود
 ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللفظ من عزيز حميد
 لسري لباسه خشن القطن ومري مرور لبس القردود
 ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلّف والتواني وكم هذا التادي في التادي
 وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد
 فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه راولها :
 (بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :
 لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .
 مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائد من أناث الخيل والحصن
 فكسب سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم ائض منها على شغفي بها شروى تقير
وكم طلب الرزق لجذته ففاته هذا الرزق :
طلبت لها حظاً ففانت وفائي وقد رضيت بي لورضيت بها قسما
فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل
من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكرم
على انه اذا دم بعض بمدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر .
هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفافه في السعي ،
وكساد شعره في أسواق بعض المدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد
وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلواني حسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور
ولكنني حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا مرور
ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأمم
اللؤم ، فقد شمتوا بموت جدته :

لئن لد يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنهم رغما
ولا خلا من كيد الكائدين :

اب الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب
في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد . —

كانت ابو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين
الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الثعالي وقد تحقق هندا ذلك وبقيت هذه حالته الى
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ
اربعا وثلاثين سنة . —

كيف انصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كانت رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .
قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المتنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابو الطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى ما يرويه منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقر به واجازته الجوائز السنية ومالت نفسه اليه وأحببه فسلمه الى الرواض ، فملوه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها ضروبة العشاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وسنة أنقار اعدام المتنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .
هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطاياها واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فجار في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أفوام نصيهم فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني سيف مكارمه اقلب الطرف بين الخيل والخيول
لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهباً .

ترك السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا
فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والخياري
والخلم والجوائز والإقطاعات .

اسير الى إقطاعه سيف ثيابه على طرفه من داره بحسامه
من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمرعة وكان

له وكيل يتوكل له سيفه داره بحجاب اسمه ابوسعيد ، فأين حاله من هذه من شدة وانه التي كان فيها ولا مطية له الا قدماء ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابو الطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فسجدون انه ميتكم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد . —

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا ينبغي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنقص انباء الذين ألهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبي .

وخمر ثبت الابصار فيه كأن عليه من حديق نطافا

قال : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتجاهل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فقال عنه اليه ففاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعانيه وقال : الامير لم يفضل علي ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فليج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله : يعود من كل فتح غير مفتخر وقد اغد اليه غير محنفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : ان هذا المنشق يعني المتنبي كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً بأنون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكانت أبو الطيب غائباً فبلغته القصة
ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الأبيات :

الا ما سيف الدولة اليوم غائباً فداء الوري أمضى السيوف مضارباً
ومالي اذا ما شئت ابصرت دونه لنائف لا اشتاقها وسبابها
وقد كان بدني مجلسي من سمائه احادث فيها بدرها والكواكب
حنانيك مسؤولاً ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهباً
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذباً
وان كان ذنبي كل ذنب فانه محال الذنب كل المحو من جاء تائباً

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كما دته فخرج المتنبي متغييراً وحضر أبو فراس
وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق المتنبي وانقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم
القصيدة التي اولها :

واحر قلباه من قلبه شبح

ثم جاء وانشدها وجعل يظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكتم حباً قد يرى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الام
ان كانت يحبنا حب لفرته فليت انا بقدر الحب نقسم
قد زرنه وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه
فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد محضت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال أبو الطيب :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشم فبين شحمه ورم

فعلم أبو فراس انه يعنيه فقال : ومن انت بادعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر

في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

صيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بانني خير من تسعى به قدم
 انا الذي نظر الاعمي الى ادبي واسمعت كلامي من به صمم
 فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرفت هذا من عمرو بن عروة بن العبد
 حيث يقول :

اوصيت من طرق الآداب ما اشتكت دهرأ واظهرت اعراباً وابداعا
 حتى فتحت باعجاز خصمت به للعمي والعم ابصاراً واسماعا
 ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
 قال ابو فراس : وماذا اقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة
 والسماحة تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرفت هذا من
 الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثافي .

انا ابن الفلا والطمع والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنسا والقواضب
 فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بنساظره اذا استوت عنده الانوار والظلم
 فقال ابو فراس :

وهذا سرقته من قول معقل العجلي .

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرة لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعا به فيها فضر به
 بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا اخذته من قول بشار .

اذا رضيتم باب نجفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائع اكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في
الحال وادناه وقبل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى . .
لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال
اللغة ممن كان يصف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .
من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في
اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان
المتنبي حاضراً فصف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كفه مفتاحاً حديداً
ليلمكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فذلك
والمرربة فغضب المتنبي بذلك المفتاح وأسأل دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من
ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً .
فتمسكوا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان واحداً لم يستطع ان يملك نفسه ،
وبضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منمنى القبط .
وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب واثن شكا الحسد وهو في خشونة
من العيش ، فاخلق به ان يصجر من حسد الحساد وهو يتقلب في ظلال النعيم فما غفل
الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد
فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكتبهم فانك الذي صيرتهم لي حسداً
ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا يرق يحاول بي لحاقا
ومن قوله :

أعادي على ما يوجب الحب للفق وأهدأ والافكار في تجول
سوء جمع الحساد داؤقانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمع من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنبيل
من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقعة فيه واخذ سيف الدولة يعيث به بعد ذلك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج البغافا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقه بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحشي فيه سيف الدولة صالِحاً ومددت ذيل دراعتي فحشي لي جانباً والمتني حاضر وسيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فناظره ذلك فنثرها كلها على الفلان فلما رأسي المتني انه قد فائته زاحم الفلاني بلسنهم فغمزهم عليه سيف الدولة فدا سوه وركبوه وصارت عمامته سيف رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة فخاطه ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : بتعاطم تلك العظيمة وينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستقر سيف في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقمون فيه ، وبضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به ويعيث ، وكانت المتني يشكو من سيف الدولة ، وكانت سيف الدولة يغتاظ من تعاطم المتني ويحفو عليه اذا كلمه والمتني يجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وضع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوثب المتني في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

لقد نظر رئيسنا الجليل محمد بك كرد علي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على اتباع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعها ودفع اليّ نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لديّ من ليالي الصيف جلست للمعجم جالستين أفتش فيها عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد الى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه الى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العكس والتزفيد . والعكس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفصل فهو ما يسميه المصريون (الغرس بالهقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) وبالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر التنوب (Abies) بأنه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العتوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلمة ومنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لما هي المشكول
أما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مجت الخيل)
قلت الجملة الاولى خطأ والثانية نافصة لان هذا العلم (تحلية الخيل) يشتمل على مباحث
كثيرة ومنوعة وسماه اجدادنا (الزرطنة) وهي لفظة معربة تصلح ايضاً مقابل
(Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرّب (Achene , Achenium) بلفظ اخينوم وأخين . قلت هذا
النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة
قديماً وحديثاً (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبات او
الحيوان في بلد غريب ، تبلد ، تعود على الاقليم ، تعود الهواء » . قلت لو قال (ايلاف
الاقليم) لكني .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة لجنين ، اصل الساق » . قلت
أصل لفظة لما هي السبد .

(١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف
العجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشبائها ففتشت عن لفظة (Gris)
بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمـد - أشـبـب - أشـمـط - أشـهـب)
ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعرانه على لونين
ابيض واسود على ان اختلف فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر
النكتة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

Gris clair	أشهب الى بياض
= foncé	= الى سواد
= de fer	= حديدي
= sale	أبرش

أرمد Gris cendré

أغبر rouanné

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن أنه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدهمة والبياض والكنتة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم .

(١١) . سمى الفصيلة السنفية (قرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية . والألفاظ الاولى أرجح لأسباب بطول شرحها .

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم في معجم علمي .

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) ويداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعسايجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولا سيما في الغوطة . اما مرض العفونة (Mildew) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس وكبريتات النحاس في الماء .

وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتبران الكروم فلماذا لم يوجد فيه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعثرني تلك الجنبه مثل : . . .

مرض العفونة السوداء Guignardia bidwellii

مرض (سويد) الكروم Manginia ampelina

مرض نعنن الجذور Agaricus melleus

Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعثرني النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجدها ذكراً .

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالقمح والشب والدشاع . قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النباتات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سماه المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين استشهد باقوالهم .

(١٥) سمي الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (*Sorghum halepense*) . وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (*S. Annuum*) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي بلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (*Artemisia*) منها ما لا شأن له ولم يذكر (*Artemisia dracunculus*) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (*Cerasus*) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجائرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (*Prunus*) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً منفرداً به .

(١٨) ذكر (*Salicornia fruticosa*) ولم يذكر (*S. herbacea*) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الحمص (*Cicer arietinum*) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (*Triticum durum*) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب اوربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكانت كافية . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بأنه كثير الانتشار في مصر والشام ومواحل بحر الروم .

وترجم (*T. sativum*) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بأنه نوع ينسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة

T. polonicum

T. turgidum

ومما :

وسما عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بأنها من الحنطة
المكتسبة أي ان العصافة نطل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير .

(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير . بل أورد مقابل الاسم اللاتيني
لكل نوع أسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum)
بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي . شعير
حدوري . شعير حب حوري » . ولا يخفى ان الأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها
على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع . ولذلك يجب
على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة
و (H. tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة . وبعد ان يورد هذه الاسماء
العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بإمكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع
الاول او الثاني او الثالث ^(١) . « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شوينفورت وغيره دون
ان يكون علياً بعدد كبير من هذه النباتات وبالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير
حدوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف
شوينفورت وهما من أصناف (خسروب) شعير الين كما نقل أصناف الشعير الواردة في
الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً . ولو كانت المعاجم التي هي مثل
معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمر يوطي من اصناف
مصر والعربي والرومي من اصناف الشام الخ ، ولزم ان يملأ عدة صفحات في تعداد اصناف
النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالآلاف والمعجم خلو منها .

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورت
ولم يذكر ان النبات المجعوث عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في
الكتاب المذكور . وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامة للنباتات التي وردت
في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي
تقابلها . ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر
الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام غامية .

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور انت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلما كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ - ١٣٢١ من ٦٦٠) من ان اول من صنّف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عسوية (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولولم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامو بين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ماروي صاحب الفهرست ان عبيد بن شربة الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الافدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ما امر فامر معاوية ان يدون وينسب الى عبيد ، ولعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما سفي (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ما ساعدتهم عدد الكاتبيين . وبإثبات هذه القضية ، على ما تجملت لنا بأخرة ، يزول المحجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشي المقتطف رحمه الله (م ٢٨ — ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت تقيضه بما وقع لعبيد ابن شربة الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشنوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راوئته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل . في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : « وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحسناً) » . وقد كان معاوية متعجباً جداً بما سمع من عبيد بن شربة ، وقال له مرة « خليك يا عبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نحمي اباديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى . . . »

وبقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

أوائل ما دون في الإسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في «تدريب الراوي» في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملأ الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالوا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملئ على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستملاً محصلاً متيقظاً يبلغ عنه اكثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس بمني حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعليه يبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اتزحم بين ابن عباس وبين الناس فان اكثر الجمع يجيئ لا يكفي مستملاً اتخذ مستملياً فاكثر الى آخر ما قال :

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزى من اهل الصفة وسمع على مافي طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات فيها ويشهد المغازي فيرم بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث لئلا يخلط بالقرآن . وفي فتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائثوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح : (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بنقيب العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال : اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته فقيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر و
ابن حزم وغيره ، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرية في خلافة
يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتيبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لا سبيل الي تزيفها لورودها من طريق ائمة
مخدونة وساءلنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبد بن شربة ثبت كل الثبوت
ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة
قد ردت بشهادات لا يسم الماحكين الا اعتقاد صحيحها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع أسماء عربية لساعاتها

جاء في كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفر صوصا) قال فيه :
ارجو الفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية لقضية تتعلق بتقسيم
نوب الماء الخ :

هذا ما سألت به السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد
احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها وبلغت
حماماتها ٥٧ حماما سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسقى أراضيها بمياه السيح يقع بين اربابها
نزاع وخصام بشأن سقي أراضيهم ولا سيما ايام (الثمار بق)^(١) وكثيرا ما ادى النزاع حول
سكور الماء . الى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك ان شاعرا جاهليا بخس حقه في . انه
فجعل يسي فقالوا له مالك ؟ اجننت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جننت فقلت كلا وربي ما جننت ولا انتشيت)

(ولكنني ظلمت فكنت أبكي من الظلم المبين أو بكيت)

(فإن الماء ماء أبي وجدي وبشري ذو حفرت وذو طويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوحي الآتي علينا
ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وفلد) بكسر أولها ويقال له في
اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدان) . وقد اصطالحوا في دمشق على تقسيم ساعات
اليوم الى قسمين يسمونهما مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي)
وهو ١٢ أيضا . وهذه الساعات عند اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد : فمن الفصيح
كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسومي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغد الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب) . ولم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة الى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهليل والتسايح التي يشدها بطرب من على المآذن في الثالث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدم صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدم مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدم صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدم مساء وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القاري عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية لتذم من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية نودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استثنائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصرعين الليلي والنهاري .

واستلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠) ساعة اي حصة من الزمان كالهنود وبعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها ينتهي في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرّس الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لتقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدمات وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة تسمية واحدة لا قسمين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى تبتدي في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٢ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوخ بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعد . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين يبتدي ايضا من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدي الليل من نصف النهار ويدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصح ثعالب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق . وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتها ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المؤلف الى اصطلاح آخر ربما شوش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم . والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تذهبها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٢٠ امماً نصفها ليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعممة والفحمة . والصبح والفجر . والمهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كانت هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا ارجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة .
والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسم قولك (واحد) — كلا لا يعرف
العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطاري . وإنما يريدون بالساعة الحصة من الزمن قلت
او كثرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها
الحين والوقت وان قل » . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اه .
واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون ان الساعة جزء من أجزاء الليل
والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان سرادهم الاشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف
لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على احوال
الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبهرة مثلاً فانها اعم
للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة
بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق)
مثلاً وهو مقدار ما بين الحلبتين من الزمن فيقولون (عبادة المريض قدر فواق ناقة) .
وفي الاسلام كانوا يقولون (اقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ ان تحديد الزمان
يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون
بنكاماته^(١) . والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام . ومنها الساعة
المائية التي اهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية في
دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع
للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدر المعلى في الطب والهندسة والفلك
فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشهدوا المراسد — في ذلك العهد كان يعيش
عالمات نيبلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حوتها العامة
قديمًا فقالوا منكب . واصل اللفظ يوناني .

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتوارد -خاطراهما على اصطلاح جديد سببه تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : الليل ١٢ والنهار ١٢ . ثم خصّا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء أو الأوصاف الكثيرة التي يردّها صاحب (الخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابن خوص) اليوناني كما مر .

وقد رأيت كل من (حمزة الاصفهاني) و (الفخاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشرق	الساعة الاولى	الشفق
» الثانية	البكور	» الثانية	الغسق
» الثالثة	الغدوة	» الثالثة	العتمحة
» الرابعة	الضحى	» الرابعة	السُدُفَة
» الخامسة	الهاجرة	» الخامسة	التمحمة
» السادسة	الظهيرة	» السادسة	الزُؤَة
» السابعة	الرواح	» السابعة	الزُؤَة
» الثامنة	العصر	» الثامنة	البُهرَة
» التاسعة	القَمَر	» التاسعة	السَحَر
» العاشرة	الأصيل	» العاشرة	الفجر
» الحادية عشرة	العشي	» الحادية عشرة	الصبح
» الثانية عشرة	الفروب	» الثانية عشرة	الصباح

ورأيتُ الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاح له والا فأي فرق بين الصبح والصباح وهما واحد عند اهل اللسان . وما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعيتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني ههنا) . ودليل آخر ايضاً وهو ان المصنف صاحب كتاب الألفاظ

الكتابية عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعة .

ودليل رابع أيضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكتفون بقولهم (زرت فلاناً قصرأ) اي عشيأ ، واذا قالوا (البهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البهرة وسط الليل كما ان بهرة الحلقة وسطها وبهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزآة) من أسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجدها في كتب اللغة معني زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزآة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتتها في كتابه (وصف صناعة الكتاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات الليل)		(ساعات النهار)	
الشاهد	الساعة الاولى	الدرور (أو) البكور	الساعة الاولى
الغسق	» الثانية	البزوغ (أو) الشروق	» الثانية
المسحة	» الثالثة	الضحى (أو) الاشراف	» الثالثة
النخمة	» الرابعة	الغزالة (أو) الرأد	» الرابعة
الموهين	» الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	» الخامسة
القطم	» السادسة	الزوال (أو) المُموع	» السادسة
الجوشن	» السابعة	الدلوك (أو) الهاجرة	» السابعة
العنكة	» الثامنة	العصر (أو) الاصيل	» الثامنة
العباشير	» التاسعة	الاصيل (أو) العصر	» التاسعة

(ساعات الليل)	(ساعات النهار)
الفجر الاول	الساعة العاشرة
الفجر الثاني	الحادية عشرة
المعتز	الثانية عشرة

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمشروع والصَّبُوب والشامد والجوشن والعنكة والمعتز واذا فسرناها خرجنا عن الصدور وقد زادنا النحاس حيرة منذ خيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أو كذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء اِزاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للعلاني ثم ذكرها كل من العالمين في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكناز المدفون) .

وسرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذا ذلك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهانى والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين ألفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوقة للمزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمه ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منها أسهل الكلمات وافربها لناولاً من افهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات واذا عتبا وهذه هي قائمتنا :

❖ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❖

« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات الليل)	(ساعات النهار)
الساعة الاولى	الاولى
الثانية	الثانية
الثالثة	الثالثة

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الرابعة	الضحى	الساعة الرابعة	الفجحة
الخامسة	الهاجرة	الخامسة	المَوْهِن
السادسة	الزوال	السادسة	الْقِطْع
السابعة	الرواح	السابعة	الزُلْفَة
الثامنة	المعصر	الثامنة	البُهْرَة
التاسعة	الأصيل	التاسعة	الْأَسْحَر
العاشرة	الطَفَل	العاشرة	الفجر الاول
الحادية عشرة	العشي	الحادية عشرة	الفجر الثاني
الثانية عشرة	الغروب	الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بداً من اختيار القِطْع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزَّائَة) التي اختارها الاصنافي لانها مشكوك فيها كما أضربنا . على ان كلمة (القِطْع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفتر الطبري عن ابن عباس انه فسّر (القطع) بجوف الليل .

هذا ما رأيناه في وضع أسماء الساعات للمصراعين الليلي والنهارى نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولا سيما المزارعين منهم .

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كانت عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويدها ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وأولف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الطِفَل الى القِطْع) او (من الأَصِيل الى المَوْهِن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) ونوطين النفس على الشيء كفهيل يتسهل عقباته . وتذلل صعوباته إن شاء الله .

«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب المحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد اللازمة صارفاً للخصيمي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار لئتملكها ماصياً قطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبمحضرته وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بحكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القناني ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتفويض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتبادت الايام به ولم اعهده الى ان كتب الي باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب الي بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعني فتأني والآن قد جئتك جامعاً للعبادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طمсам ولا غلمان ولا زبي يصاح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الي غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك . قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو ممي فاكلنا وجعل يتخفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشفه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف . فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المؤمنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدثت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكي بكاء شديداً فقامت

١ . لعله مع . ٢ . م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة ويحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله . ٣ . م : ع . الجف . والجفة ويضمان الجماعة او العدد الكثير . ٤ . م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شجراً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة ويزعج (١) ازعاجاً شديداً انه ما بكى لذلك وقال كيف ابكي على ما سبيلي اسرّ به حيث جعلتني اهلاً لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها وبلغتها بفضل امير المؤمنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المؤمنين باصره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت يعة ثانية لامير المؤمنين على الناس - بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزائني من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المؤمنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير المؤمنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرقت له وعلمت فضله وقات له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شي بعدى فالحياة على كل حال خير من الموت ولك في اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقاربه بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجبت الى صرفه فصرفته

١ م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرصت نفسه و بقيت ذمته واستعمال الامر عما عقده له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباہ يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس و ايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي به النهروان بذلك لان بعض ملوك الالكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذوق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي . قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتلك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتماهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

١٥ معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ : ٢٥ م : ع الكامنخ بفتح الميم اشهر من كسرهما ما يوءتدم به ومنهم من خصه بالمخللات المستعملة لتشهي الطعام بجمعه كوامنخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج . ٣٥ م : ع كذا في الاصل والظاهر انه ممخرق اي مموه مشعوز وفي ياقوت حائق .

به ذلك الرجل فلقية في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها
 شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز
 فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخاتل الرجل والغلام واخذ باعياهما (٢)
 بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام
 الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب
 المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصصة وعرفه ما عمله ووصف له
 الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه
 الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في
 الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل
 فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها
 الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة
 فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد
 كذب هذا وليس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك
 كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في
 الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتاف لما علم
 انك تجرب ذلك فتجده قاتلاً فخاف ان تمذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصصة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعنيهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاه يغطه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحن داره وحجرها وبساتينها ويقف على ابواب حجر نساءه وغلماؤه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه وغلماؤه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقى ويعمد تقصيره في حقه ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وانكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحده بالحديث وشاوره فيما يعمل مما يزيل عنه اثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ومهراً وشراباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع التهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت : وصاحب المائدة «٤» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه . «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحفر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة .

حدثني (١) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن الايادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي ابو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة ابي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان الى ابي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاونة في جملة الدواوين التي كانت اليه في ايام ابيه فامر الوزير عبيد الله ابي ان يستخلف ابا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاونة وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات ابي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقى عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لو ثم غلبتها بكرم قدرتك فانها توخرنني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا فضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢: ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلعة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان بباء ممالاة . «٣» له سقط . بان تحفظ . «٤» له فصلك .

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ واكون بك للانام (١)
 معديا ان تخاطني بخواص خدمتك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل
 ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استعديت وتجيرني
 فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتشماني (٢) باحسانك
 فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد
 درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بأرائهم واقتنيت
 آثارهم اقتفاءً حصلي بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة
 متوسطة يرجع اليها العالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحيى بن
 ابي البغل وهو اذذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو
 قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت نا ابا قوصرة وانا حدث
 وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قدماً
 ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي القل
 قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته للمعتد لما
 قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه
 فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً وانخبر (٤) له علي سليمان واشير

١٠ م : ع . في معجم الادباء للالايم . «٢» بالاصل وتسمي والصواب عند ياقوت .

«٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله وانيسه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال
 تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من
 خزاعة يتخبر له خبر قريش .

ومن الذين تسكروا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
ويحكى انه نبياً في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً يحلب يحكون ان ابا الطيب المثنبي نبياً ببادية
السماء ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الارخشيدية فقاتله وامره ،
وشره من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن
دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستنابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها
ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تسكروا على دعوى نبوة المثنبي على ان بعضهم نسبوا الى المثنبي أموراً
غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعائه العلوية وغير ذلك مما لم يذكره ، فالثعالبي قبل ان
يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وبأمد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائي نبله على الحدائث
من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي
البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المثنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماء وتبعه خلق كثير من بني كلب
 وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الارخشيدية فأمره وثقروا أصحابه وحبسه
 طويلاً ثم استنابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان
 الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من نبياً بالشعر . —

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المنبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان الملح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد اكملوا على تبينه . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثا معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا نافقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنالك مرسل . وانه مضى الى تلك النافقة وهي رائحة في الابل فتحميل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ونكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسحمة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت ايضا انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلب على يده مكين الاقلام فخرحته جرحا مفرطا وان ابا الطيب ثفل عليها من ريقه وشد عليها غير منظر لوقتته وقال للجروح لا تحلها في يومك وعد له اياما وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبري الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون هو كمحي الاموات . وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل واقبهما كلب الح عليها في الصباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الى امر على ما ذكر ولا يمنع ان يكون اعد له شيئا من الطعام مسموما والقاء له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، واخبرني عن الكلام . »

واما القرآن فما انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفطي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قانع بك زيع من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفطي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكي عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النخوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لا رضى ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغرض مني ولست افدر على المنع .

قال النخوي : قال لي ابي : فاما انا فسالته بالاهواز عن معنى المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل نبأ او لا فجوابني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحدائث فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك ابي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهم بالخروج وغير ذلك يمار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبد الله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاء النبوة . ونرى كافور الاخشبي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من
السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك
ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على م المتنبي بالخروج على السلطان . ونرى
الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر
غير النبوة ، وغير العلوية ويرجمه عليها ولا يذكره . ونرى المتنبي نفسه اذا ذكرت له
النبوة والقرآن ينكرهما مرة وبغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحداثة
فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبي لم يعمرح في
شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان
لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان بعجل اليهود

وكن فارقابين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا
الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان
تشيع دعوى من الدعوى المذكورة وقصيده التي قالها في صباه والتي اولها :
ضيف ألم برأمي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لم على وضيم

من لورا في ماء مات من ظاء ولو مثلت له في النوم لم ينم

ميعاد كل رفيق الشفرتين غدا ومن عصي من ملوك العرب والعجم

فان اجابوا فما قصدي بها لم وان تولوا فما ارضي لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك
سواء عليه أجراء من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز
ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له
الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير
يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكانت
يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه
ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوم ان الارض
تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثه بطلب الملك بعد ان تهباً له هذا كله وتنبأ له شيء
اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهندي لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطئ له السبيل
الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً
في عقيدته ، شديد في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورفعة الدين في كثير من
شعره منه قوله :

لنقصم الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا
وقوله : لو كانت علك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولا
وقوله : او كانت لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
وقوله : يا من نلوث من الزمان بظله ابدأ ونطرد باسمه ابليس

الى كثير من اشباه هذه الايات ، فلما لم يتم له شيء من مراده واهل
الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدغمين بسبروت محبتهم طارين من حل كاسين من درن
خراب بادية غرائي بطونهم مكن الضباب لم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يعطيش لم مسهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فانس المتنبئ متن بعض المثانة في حبسه
فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان مكنائي فيك منقصة لم يكن الدر ما كن الصدف

واكدنه بعد ان قال هذين البيتين وهما في متانة الاخلاق والعبر على المكاره في
سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال
لوالهي :

امالك رقي ومن شأنه هبات الجبين وعنق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجسل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد
فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



المخاضرة السادسة عشرة

حياة المتنبّي

- ٨ -

أرى ان أفغني اليكم بعد ان تكلمت على وطن ابي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بحملة اخباره وهو في ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على ان تكون اخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الافتضاب ، وكنت أحب ان اختصر الكلام على هذه الاخبار حتى اصل الى الكلام على أخلاقه وروحه ولغته وشعره وبعض نظرائه الفلسفية قبل انقضاء سنتنا . ولكني لا اجد لي مندوحة عن ان أروي لكم المهم من هذه الاخبار مما له تأثير في شعره ، فتجدون في الآتي ان ابا الطيب قد شكك الحسد في كثير من قصائده ، ومتجدون ان الاخبار التي سأرويها لكم لا تخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي أكثر من الاشارة اليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . —

* * *

فلننظر الى حالة ابي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علم انه لما نسبوا اليه انه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في اول امره في خشونة من عيشه ورقه من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناعم من الملابس . والكريم من المطايا . وفي ابوه فقيراً فضرب ابا الطيب في مناكب الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والخواضر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وانطاكية . وطبريا ودمشق وبعابك ومر بجمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الف ترحلي وجعلت ارضي فتودي والغري الجلالا

فما حاولت في ارض مقاماً ولا ازمعت عن ارض زوالا

على فلق كأن الريح تحني أوجهها جنوباً او شمالا

جال ابو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداء وكرمه فقد كان

فقيراً شكاً فقره وتنوعت شكاياته . فمرة كانت أعصابه تعيج في شكوى الفقر :
الى اي حين انت في زي محرم وحتى متى في شقرة والى كم
ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :
لله حال أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهرى ويمطاني
لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا النعل والخف ،
ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا نافي لقبيل الردف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدا
شراكم كورها ومشغرها زمامها والشسوع مقودها
وقد اكثرت من التنعم بقلعة المطايا :
وحبيت من خوص الركاب باسود من دارش فغدوت امشي راكبا
حالي متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائبا
نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :
ضاق صدري وطال في طلب الرزق فيامي وقل عنه قعودي
ابداً أقطع البلاد ونجمي في نخوس وهمي في صعود
واعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللفظ من عزيز حميد
اسري لباسه خشن القطن ومري مرور لبس القرود
ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التادي في التادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد
فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاء لم يعطه على قصيدته التي فيه واوها :
(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :
لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .
مدحت قوماً وان عشنا نظمت لم قصائد من أناث الخيل والحصن
فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم افض منها على شغفي بها شروى تقير
وكم طلب الرزق لجدته فقانه هذا الرزق :
طلبت لها حظاً ففانت وفانني وقد رخصت في لورخصت بها قسما
فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين بذكرون له الجود فلا يحصل
من جودهم الا على الكلام .

أرى أناساً ومحصولي على غنم وذكر جود ومحصولي على الكلام
على انه اذا لم بعض ممدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يخلوا عليه ، في جملتهم ابو العشائر .
هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكا فيها كل شيء ، شكا فقره واخفافه في السعي ،
وكساد شعره في أسواق بعض الممدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد
وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حسدت على نفسي لجدت به لذي الجدة العثور
ولكني حسدت على حياتي . وما خير الحياة بلا مرور
ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأمم
الأمم ، فقد شتموا بموت جدته :

لئن لد يوم الشامتين بهومها لقد ولدت مني لأنهم رغما
ولا خلا من كيد الكائدين :
ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

فلنبحث عن أخبار ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر ابو الطيب
في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد . —

كانت ابو الطيب قبل انصالة بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين
الكركي والعنديل ، هكذا قال فيه الثعالي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ
اربعا وثلاثين سنة . —

كيف انصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كانت رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث في افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .
قال ابو عبد الله باقوت الرومي :

ولم يزل المنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابو الطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى ما يورده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقر به واجازة الجوائز السنية ومالت نفسه اليه وأحببه فسلمه الى الرواض ، فعملوه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صاحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، ومنها غزوة العشاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وسنة أنفار اخدم المنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف .
هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطايا واخفاقه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فغار في كثرة خيله وخوله :

بالشرق والغرب أقوام نخيهم فطالعام وكونا أبلغ الرمل

وعرفاهم باني في مكارمه اقلب الطرف بين الخيل والخلول

لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانعل خيله ذهباً .

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا

فكانت سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخيل والجواري والخلع والجوائز والاقطاعات .

اسير الى اقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه

من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالعمرة وكان

له وكيل يتوكل له سيفه داره بحجاب اسمه ابو سعيد ، فأين حاله من هذه من شقوته التي كان فيها ولا مطية له الا قدماء ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابو الطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فسجدون انه ميتكم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد . —

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا ينبغي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلانقص انباء الذين ألهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .

منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المتنبي .

وخصر ثبت الابصار فيه كأن عليه من حديق نطافا

قال : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتحامل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاءه ابو الطيب فقال عنه اليه فغاض ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعانيه وقال : الامير لم يفضل علي ابن عيدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقوله : يعود من كل فتح غير مفتخر وقد اغذ اليه غير محنقل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمدحه ابداً ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : انت هذا المتشدد بعني المتنبي كثير الادلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً بأنون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان أبو الطيب غائباً فبلغته القصة
ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الابيات :

الا ما سيف الدولة اليوم غائباً فداء الوري امضى السيوف مضارباً
ومالي اذا ما شئت ابصرت دونه لنائف لا اشتاقها وسبابها
وقد كان يدني مجلسي من سمائه احادث فيها بدرها والكواكبها
حنانيك مسؤولاً وليبك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهباً
امذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً امذا جزاء الكذب ان كنت كاذباً
وان كان ذنبي كل ذنب فانه محال للذنوب كل المحو من جاء ثائباً

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كما عاداته فخرج المتنبي متغيراً وحضر أبو فراس
وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق المتنبي وانقطع أبو الطيب بعد ذلك وانظم
القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم

ثم جاء وانشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكنتم حياً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كانت يجمعنا حب لغزته فليت انا بقدر الحب نقسم
قد زرنه وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه
فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال أبو الطيب :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشتم فيمن شتمه ورم

فعلم أبو فراس انه بعينه فقال : ومن انت يدعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر

في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سبع لم اجمع ممن ضم مجلسنا بانتي خير من تسعي به قدم
 انا الذي نظر الاعمي الى ادبي واسمعت كلامي من به صم
 فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد
 حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكت دهرأ واظهرت اعراباً وابداعا
 حتى فتحت بالعجزار خصمت به للعمي والعم ابصاراً واسماعا
 ولما انتهي ابو الطيب الى قوله :

الخييل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
 قال ابو فراس : وماذا اقيمت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة
 والسيماحة تمدح نفسك بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من
 الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني .

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المسذاكي والقنسا والقواضب
 فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بتأظره اذا استوت عنده الانوار والظلم
 فقال ابو فراس :

وهذا سرقة من قول معقل العجلي .

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فاليمينان زور وباطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي صرة المكي :

اذا المرة لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعاويه فيها فضربه
 بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذته من قول بشر .

اذا رضىتم بان نجفى وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائع اكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجب، بيت المتنبي ورخصي عنه في
الحال وادناه وقبّل رأسه واجازه بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى ..

لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال
اللغة ممن كان يصف اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في
اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان
المتنبي حاضراً فضعتف المتنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كفه مفتاحاً حديداً
ليلمكم به المتنبي ، فقال له المتنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك
والعربية فغضب المتنبي بذلك المفتاح وأسال دمه على وجهه وثيسابه فغضب المتنبي من
ذلك اذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المتنبي لهؤلاء الرجال حتى ان واحداً لم يستطع ان يملك نفسه ،
ويضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهى الغيظ .
وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكك الحسد وهو في خشونة
من العيش ، فاخلى به ان يضجر من حسد الحساد وهو ينقلب في ظلال النعيم فما غفل
الحساد عن المتنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المتنبي عن شكوى الحسد
فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكتبهم فانك الذي صيرتهم لي حسداً
ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك اني كبا يرق يحاول بي لحاقا
ومن قوله :

أعادي على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار في تجول
سوء جمع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمئن من حاسد في مودة وان كنت نبيها له ونيل
من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

م : ٢

الناس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقعة فيه واخذ سيف الدولة يعيث به بعد ذلك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج البغيا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقتها بسكين الدواة ، فمد ابو عبد الله ابن خالو به طيلسانه فحشي فيه سيف الدولة صالِحاً ومددت ذبل دراعتي فحشي لي جانباً والمتنبي حاضرو سيف الدولة ينتظر منه ان يفعل مثل فعلنا فما فعل ، فغاضه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انه قد فائته زاحم الغلمان بلفظ معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته سيفه رقبته فاستمى ومضت به ليلة عظيمة فخاطه ، ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : بتعاضم تلك العظمة وينزل تلك المنزلة لولا حماقتك .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستمر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه ويوقعون فيه ، ويضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به ويعيث ، وكانت المتنبي يشكو من سيف الدولة ، وكانت سيف الدولة يغتاض من تعاضم المتنبي ويخفو عليه اذا كلمه والمتنبي يجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فما وسع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعمين وثلثمائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوب المتنبي في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل
فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

أنت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كرد علي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من جمل الإعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من صروب الحفاوة والتكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيمة الرئيس حفظه الله على اتباع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعها ودفع اليّ نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت أوقات الفراغ أقصر لديّ من ليالي الصيف جالست للمعجم جالستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد إلى خاطري عرضاً فوجدت أن أنبهه إلى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العقل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العكس والترديد . والعكس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . أما الغرس بالقضبان والعقل فهو ما يسميه المصريون (الغرس بالعقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) وبالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر النوب (Abies) بأنه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطان لأن (Abies) هو جنس لا نوع ولأن هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي يكثر في حراج شمالي الشام .

(٣) قال أن نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العثوب) كذا بالقاف مع أن الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر أن (Eryngium) هو القرصنة (قرص عني) وكان يجب أن يذكر اسم النوع فالقرصنة المعروفة هي (E. creticum) .

(٥) ترجم لفظة (Panicle) بطلمة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لها هي المشكول
أما السنبلة فترجمة (Speke) .

(٦) عرف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — مبحث الخيل)
قلت الجملة الاولى خطأ والثانية نافصة لان هذا العلم (تحلية الخيل) يشتمل على مباحث
كثيرة ومندوعة وسماه اجدادنا (الزرطنة) وهي لفظة معربة تصلح ايضاً مقابل
(Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .

(٧) عرب (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هذا
النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة
قديماً وحديثاً (بوست ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .

(٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبات او
الحيوان في بلد غريب ، تبدل ، تعود على الاقليم ، تعود الهواء » . قلت لوفال (ايلاف
الاقليم) لكني .

(٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة جنين ، اصل الساق » . قلت
أصلح لفظة لها هي السَّيْد .

(١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف
الاعجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشيائها ففتشت عن لفظة (Gris)
بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فرأيت مقابلها (أرمـد - أشيب - أشمط - أشهب)
ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعرانه على لونين
ابيض واسود على ان تفرق فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر
النكته فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

أشهب الى بياض	Gris clair
الى سواد	= foncé
حديددي	= de fer
أبرش	= sale

Gris cendré أرمد

rouanné أغبر

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن انه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدمية والبياض والنكتة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم .

(١١) - سمي الفصيلة السنفية (فرنية ، قطانية) بامم الفصيلة البقولية . والألفاظ الاولى أرجح لأسباب بطول شرحها .

(١٢) لم يذكر التطعيم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مهم سي في معجم علمي .

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجح Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) اي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) ويداوى برش مسحوق الكبريت على أوراقها وعسليجها ولا يجهله احد من اصحاب الكروم ولا سيما في الغوطة . اما مرض العفونة (Mildew) فانه يحصل في الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس وكبريتات النحاس في الماء .

وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل في معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتبران الكروم فلماذا لم يوجد فيه متسعاً لبعض الامراض المهمة التي تعترى تلك الجنبه مثل :

Guignardia bidwellii مرض العفونة السوداء

Manginia ampelina مرض (سويد) الكروم

Agaricus melleus } مرض تعفن الجذور

Dematophora necatrix }

دع عشرات غيرها مما يعترى النباتات الزراعية السائرة وقد فتشت عن بعضها في المعجم فلم أجدها ذكراً .

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) باله شبيب والدشاع . قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النباتات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين أستشهد بأقوالهم .

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (*Sorghum halepense*) . وهذا النوع هو حشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (*S. Annuum*) (عن بوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي بلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (*Artemisia*) منها ما لا شأن له ولم يذكر (*Artemisia dracunculus*) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (*Cerasus*) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجائرك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (*Prunus*) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً منفرداً به .

(١٨) ذكر (*Salicornia fruticosa*) ولم يذكر (*S. herbacea*) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الحمص (*Cicer arietinum*) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (*Triticum durum*) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب ادربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكانت كافية . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بأنه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم .

وترجم (*T. sativum*) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسمى القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بأنه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة

T. polonicum

T. turgidum

وهما :

وسمها عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانها من الحنطة
المكتسية اي ان العصاة تظل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير .
(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير . بل أورد مقابل الاسم اللاتيني
لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum)
بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي . شعير
حدوري . شعير حب حوري » . ولا يخفى ان الأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها
على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع . ولذلك يجب
على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة
و (H. tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة . وبعد ان يورد هذه الاسماء
العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بإمكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع
الاول او الثاني او الثالث^(١) . « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شوبنفورث وغيره دون
ان يكون عالماً بعدد كبير من هذه النباتات وبالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير
حدوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف
شوبنفورث ومما من أصناف (ضروب) شعير اليمين كما نقل أصناف الشعير الواردة في
الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً . ولو كانت المعاجم التي هي مثل
مجمعه تتسع لذكر الأصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير الهراوي والمربوطي من أصناف
مصر والعربي والرومي من أصناف الشام ، إلخ ، ولزم ان يملأ عدة صفحات في تعداد أصناف
النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالآلاف والمعجم خلو منها .

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوبنفورث
ولم يذكر ان النبات المجوثر عنه هو الفصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في
الكتاب المذكور . وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامة للنباتات التي وردت
في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي
تقابلها . ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر
الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام طامية .

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في ادل من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور انت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكما كان بكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ - ١٣٢١ ص ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والا فان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامويين يحرص على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

واقعد ثبت على ماروي صاحب الفهرست ان عبيد بن شريفة الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ما امر فامر معاوية ان يدون وينسب الى عبيد ، واعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما سبف (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

اذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ما ساعدتهم عدد الكتّابين . وبإثبات هذه القضية ، على ما تجلت لنا بأخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشي* المقتطف رحمه الله (م ٢٨ - ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ابن مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت جافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال واعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعه اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد ابن شربة الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكلترا باسم اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها ونساها وطبعه في حيدر آباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه مع معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى راويته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل . وفي كل حادثة من الاشعار ومما قاله (ص ٣٥٢) : « وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحكمة) » . وقد كان معاوية محبوباً جداً بما سمع من عبيد بن شربة ، وقال له مرة « خليك يا عبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فاننا لا نحصي اباديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدى الى هدى . . . »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

أوائل ما دون في الإسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين
وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة
واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في «تدريب الراوي» في فصل
يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملأ الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية
ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر
الدمشقيان قالا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة
ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه يملئ على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ
مستملاً محصلاً متيقظاً يبلغ عنه اكثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن
مالك وشعبة ووكيعة وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر
قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يبنى حين ارتفع الضمى على
بغلة شهباء وعليه يعبز عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اتزحم بين ابن
عبساس وبين الناس فان اكثر الجمع يبعث لا يكتفي مستملاً اتخذ مستمليين فاكثر الى
آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزى من اهل الصفة وسمع على مافي طبقات ابن سعد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث
(وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل
بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه أولاً غير القرآن ونهى عن
كتابة الحديث لئلا يخلط بالقرآن . وفي فتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لا يتنافى جواز
كتابه اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في
مرضه الذي توفي فيه (ائثوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح :
(اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بنقييد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال :
اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ
النهي عن كتابة الحديث . وسمع عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان ما
كتب صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتيبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لا سبيل الي تزيفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وماءدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شريعة ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوي كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسم المباحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع أسماء عربية لساعاتها

جاء في كتاب من السيد زكي بقلة أحد كبار المزارعين في (كفرسوسا) قال فيه :
أرجو الفضل ببيان أسماء الأربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية لقضية تتعلق بتقسيم
نوب الماء الخ :

هذا ما سألت به السيد المذكور . ولا يخفى أن دمشق من أكثر بلاد الله قنوات فقد
أحصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها وبلغت
حماماتها ٥٧ حماماً سوى حمامات القرى . والبلاد التي تسمى أراضيها بمياه السج يقع بين أراضيها
نزاع وخصام بشأن سقي أراضيهم ولا سيما أيام (النحر بقى) ^(١) وكثيراً ما أدى النزاع حول
سكور الماء . إلى سفك الدماء . ومما له علاقة بذلك أن شاعراً جاهلياً يخس حقه في الماء
فجمل يبيكي فقالوا له مالك ؟ أجنت ؟ فأشدد .

(وقالوا قد جنت فقلت كلاً وربى ما جنت ولا انتشيت)

(ولكني ظلمت فكنت أبكي من الظلم المبين أو بكيت)

(فإن الماء ماء أبي وجدي وبثري ذو حفرت وذوطويت)

بل إن النزاع على الماء بلغ أمره إلى أبعد من هذا : كما قص الوحي الآتي علينا
ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المعين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسر أولها ويقال له في
اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدان) . وقد اصطلاحوا في دمشق على تقسيم ساعات
اليوم إلى قسمين يسمونهما مصراعين (مصراع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصراع ليلي)
وهو ١٢ أيضاً . وهذه الساعات عديم أسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد : فمن الفصح
كلمات (غداة) (ظاهراً) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) أي فلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفرسوسي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الفدا الى العصر) والديراني (من الطلوع الى الغياب) . ولم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة الى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهايل والتساييح التي يشدهن تهايط رب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساء) أي الى أن يصير ظل الشخص ثلث اقدام صباحاً وهذا وقت الضحوة او ثمانية اقدام مساء وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القاري عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية لتنبش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استفتائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠) ساعة اي حصة من الزمان كالهنود وبعضهم الى (١٢) ساعة كالصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لاختلف اوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبرخوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فضبط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يتبدى في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرّس الاوربيون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لتقوا فيها بين اصطلاح (أبرخوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقدمات وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمة واحدة لا قسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى بتندي في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدأ منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشبوع بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعد . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الاقدمين يبتدي ابضاً من نصف الليل و ينتهي في نصف النهار ثم يبتدي الليل من نصف النهار و يدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذيلاً لفصيح ثعالب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الاول » فالعرب في هذا (التقسيم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الى غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق . وقريب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتها ٢٤ ساعة . وهذا (التقسيم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع ألفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المؤلف الى اصطلاح آخر ربما شوش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانتفاع بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم . والألفاظ التي يطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد تبتعتها في كتاب (المخصص) فبلغت زهاء ١٧٠ اسماً نصفها ليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبيل المترادف كالعتمة والفحمة . والصبح والفجر . والمهاجرة والظهيرة . والشروق والذرور . والغروب والغياب . واذا كانت هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا ارجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احداها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة .
والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسم قولك (واحد) — كلا لا يعرف
العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطاريء . وإنما يريدون بالساعة الحصة من الزمن فأتت
أو كثرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل أو نهار والعرب تطلقها وتريد بها
الحين والوقت وإن قل » . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » اهـ .
وإذا سمعت بعض أرباب المعاجم المتأخرين يقولون إن الساعة جزء من أجزاء الليل
والنهار ، هي أربع وعشرون ساعة فاعلم أن سرادهم الإشارة إلى الاصطلاح الفلكي الخالف
لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية أي على أحوال
الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالظهر مثلاً فإنها أهم
للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة
بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية ، بل كانوا إذا احتاجوا إلى التحديد استعاروا كلمة (الفواق)
مثلاً وهو مقدار ما بين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) .
وفي الإسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) إذا أراد تحديد الزمان
بعمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون
بنكوماته^(١) . والساعات المائية والرمليّة إنما استعملت في حضارة الإسلام . ومنها الساعة
المائية التي أهداها هرون الرشيد إلى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية بدمشق
وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع
للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدر المعلى في الطب والهندسة والفلك
فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشهدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش
علماء نيبلان ومها حمزة بن حسن الأصفهاني في فارس وأبو جعفر الخراساني المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حوتها العامة
قدماً فقالوا منكاب . وأصل اللفظ يوناني .

(المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) في مصر فتواردت خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصت كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء أو الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المختصر) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابراهيم بن) اليوناني كما مر .

وقد رتب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بداله نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشرق	الساعة الاولى	الشَّفَق
» الثانية	البكور	» الثانية	الغسق
» الثالثة	الغدوة	» الثالثة	العَتَمَة
» الرابعة	الضحى	» الرابعة	السُدُفَة
» الخامسة	الماجرة	» الخامسة	الْمَعْرُوحَة
» السادسة	الظهيرة	» السادسة	الزُّلْمَة
» السابعة	الرواح	» السابعة	الزُّلْمَة
» الثامنة	المعصر	» الثامنة	البُهْرَة
» التاسعة	القَهْطَر	» التاسعة	السَّحَر
» العاشرة	الأصيل	» العاشرة	الفجر
» الحادية عشرة	العشي	» الحادية عشرة	الصبح
» الثانية عشرة	الغروب	» الثانية عشرة	الصباح

ورأي الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاح له والافأى فرق بين الصبح والضحاح وهما واحد عند اهل اللسان . وبما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني ههنا) . ودليل آخر ايضاً وهو ان المحدثين صاحب كتاب الألفاظ

الكتابة عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعاً .

ودليل رابع أيضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالفصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكثفون بقولهم (زرت فلاناً قهراً) اي عشيّاً ، واذا قالوا (البُهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البُهرة وسط الليل كما ان بُهرة الحلقة وسطها وبهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزّآة) من اسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجدها في كتب اللغة معنيّ زمانياً كأخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزّآة) بفتح الزاي لا ضمّها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزّآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتتها في كتابه (وصف صناعة الكتاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات الليل)		(ساعات النهار)	
الشاهد	الساعة الاولى	الدرور (أو) البكور	الساعة الاولى
الضَمَق	الثانية	البزوغ (أو) الشروق	الثانية
المَسَمَة	الثالثة	الضحى (أو) الاشراف	الثالثة
الفحمة	الرابعة	الغزاة (أو) الرأد	الرابعة
الموهن	الخامسة	الهاجرة (أو) الضحى	الخامسة
القطم	السادسة	الزوال (أو) المُنوع	السادسة
الجوشن	السابعة	الدلوك (أو) الهاجرة	السابعة
العنكة	الثامنة	المصر (أو) الاصيل	الثامنة
التباشير	التاسعة	الاصيل (أو) العصر	التاسعة

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة العاشرة	الصَّبُوب (او) الطفل	الساعة العاشرة	الفجر الاول
الحادية عشرة الحذور (او) العشي	≈	الحادية عشرة	الفجر الثاني
الثانية عشرة الغروب	≈	الثانية عشرة	المعتز

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالمشروع والصَّبُوب والشامد والجوشن والعنكة والمعتز واذا فسرناها خرجنا عن الصدد . وقد زادنا النحاس حبرة منذ خبرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أو كذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء ازاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنويري و (فقه اللغة) للذهبي ثم ذكرها كل من العالمين في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكناز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهما من القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم يفكرون في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذا ذاك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصنفاني والنحاس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين الفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفاً للمزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمه ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين ننتقي منها أسهل الكلمات وافربها لناولاً من افهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات واذا عتبا وهذه هي قائمتنا :

❖ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❖

« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الاولى	الشرق	الساعة الاولى	الشفق
≈ الثانية	البكور	≈ الثانية	الغسق
≈ الثالثة	الغدوة	≈ الثالثة	العتمة

(ساعات النهار)		(ساعات الليل)	
الساعة الرابعة	الضحى	الساعة الرابعة	الفجعة
الخامسة	المهاجرة	الخامسة	الموهر
السادسة	الزوال	السادسة	الفرطع
السابعة	الرواح	السابعة	الزلفة
الثامنة	المعصر	الثامنة	البهرة
التاسعة	الأصيل	التاسعة	الأسحر
العاشرة	الطفل	العاشرة	الفجر الاول
الحادية عشرة	العشي	الحادية عشرة	الفجر الثاني
الثانية عشرة	الغروب	الثانية عشرة	الصباح

ولم نجد بداً من اختيار القطع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزلفة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القطع) قرآنية قال تعالى (فأمر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفتر الطبري عن ابن عباس انه فسر (القطع) بجوف الليل .

هذا ما رأيناه في وضع أسماء الساعات للمصريين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولا سيما المزارعين منهم .

واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لعروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كانت عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعويدها ألسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حتى فلان في الشرب من الطفل الى القطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطين النفس على الشيء كنهل بتسهيل عقباته . وتذلل صعوباته إن شاء الله .

«المعربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب المحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الازمة صارفاً للخصمي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار لئلا يملكها حاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما ممي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرة وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بحكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القناني ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتقوى بض الامر الى يعقوب بن داود ما رأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيستنع ويزعم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتبادت الايام به ولم اعهده الى ان كتب الي باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب الي بعد يوم او يومين فسابقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعني في فتابي والآن قد جئتك جامعاً للعبادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طعمام ولا غلمان ولا زبي يصاح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك . قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو ممى فاكلنا وجعل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجمله وارشفه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف . فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المؤمنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكي بكاء شديداً فقات

« ١ » لعله مع « ٢ » م : ع اي شفائه لعله من القلة اي النهضة من العلة ويحتمل ان يكون محرفاً عن استبلاله .. « ٣ » م : ع . الجف . والجفة ويضمان الجماعة او العدد الكثير . « ٤ » م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انما اعلم ان فيك شجاً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة ويزعج (١) ازعاجاً شديداً انه ما بكى لذلك وقال كيف ابكي على ما سبيلي اسرّ به حيث جعلتني اهلاً لقبوله قال فقلت فلم تبكي ؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها وبلغتها بفضل امير المؤمنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المؤمنين باصره وعن امره في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لأمير المؤمنين على الناس - بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المؤمنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعودني امير المؤمنين من علة او يهنئني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرقت له وعلمت فضله وقات له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شيء بعدي فالحياة على كل حال خير من الموت ولك في اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجد في السعاية اليّ به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقارده بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

(١) م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرصت نفسه و بقيت ايمته واستحال الامر عما عقده له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباہ يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس و ايامهم قالوا معنى قولهم النهروان بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي بهر النهروان بذلك لان بعض ملوك الالكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذوق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرک لعل فرجک على يدي . قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتک الى منزلتک مالي عندک قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانک قد صرقتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

١ « معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ » ٢ « م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يؤتى به ومنهم من خصه بالمخللات المستعملة لتشهي الطعام بجمعه كوامخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة مكرج في اللسان والنهاية والتاج . ٣ « م : ع كذا في الاصل والظاهر انه ممخرق اي مموه مشعوز وفي ياقوت حائق .

به ذلك الرجل فلقبه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها
شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز
فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخانل الرجل والغلام واخذ باعيانها (٢)
بسحره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام
الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب
المائدة الاول وقال له قد فرغت من القصصة وعرفه ما عمله ووصف له
الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه
الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في
الحال فتقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل
فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها
الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة
فلا تأكلها فراع الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد
كذب هذا وايس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك
كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في
الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتاف لما علم
انك تجرب ذلك فتجده قاتلا فخاف ان تمذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

١ م : ع الغضارة القصصة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

٢ م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعنيهما .

٣ م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاء يغطه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحن داره وحجرها وبساتينها ويقف على ابواب حجر نساؤه وغلماؤه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه وغلماؤه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقى ويمدد تقصيره في حقه ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بمحدث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمل مما يزيل عنه اثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهراً وشراباً فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتحص عنك الائم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع التهروان وهي خراب فاجمع رأيه على حفر النهر

«١» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت : وصاحب المائدة «٤» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه ، «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحضر وسماه ثواب العمل لأجل هذه القصة .

حدثني (١) أبو الحسين قال حدثني أبو الحسن الأيادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع إلي أبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب إلى جده عبيد الله وقال لي كان لي أبي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت إليه في أيام أبيه فأمر الوزير عبيد الله أبي أن يستخلف أبا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمنقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات أبي فأقره جدي على الديوان رياسة وبقى عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة أولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظالم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدالك واشكو صرفها الى عطفك واستجير من لو ثم غلبتها بكرم قدرتك فانها تؤخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الا فضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاتة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٣: ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلعة على تل بين دقوق واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة . وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان باء محالة . «٣» له سقط . بان تحفظ . «٤» له فصلك .

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ واكون بك للانام (١) ممدياً ان تخلصني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ومن الخمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استعديت وتجيرني فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتشماني (٢) باحسانك فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستنضأت بآرائهم واقتنيت آثارهم اقتفاءً حصاني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة متوسطة يرجع اليها العالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قول حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحيى بن ابي البغل وهو اذذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت نا ابا قوصرة وانا حدث وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لزم منزله وكان الرسم قدماً ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي الغل قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته لالمعتد لما قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً والخبر (٤) له على سليمان واشير

١٠ م : ع . في معجم الادباء للايام . ٢٥ « بالاصل وتسني والصواب عند ياقوت .

٣٨ م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله والنسيه . ٤٥ م : ع . قال في اللسان يقال تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديبية انه بعث عيناً من خزاعة يستخبر له خبر قريش .

عليه فوقفت على ان عبيد الله بن سليمان قد عمل على ان يجمع هو وابوه وصاعد بن مخلد وابو صالح بن المدبر وجماعة من الكتاب في مجلس ويخرجوا الحسن فيباهتوه (١) بكل محال لا اصل له ويكابروه على المحالات حتى يضطرونه (٢) بذلك الى الاداء ويرهبوه باخذ خطه بزيادة على ما عليه لانه كان قد بلع وقل لي لم يبق لي ما اؤديه قال فجئته الى الحبس فحدثته بانهم في غد سيخرجونه لذلك قال ففكر ساعة فظننته يفكر فيما يدبر به امره ثم الشدني لنفسه :

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه

وباهتوه الحقوق بهتاً وبالباطيل ناظروه

تمثل ما راح من قبيح او حسن منه باكروه

حدثني ابو الحسين قال كان ابو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب من وجوه العمال ثم خلف ابا القاسم سليمان بن الحسن في وزارته الاولى على كبره (على) كثير من امر الوزارة فتكبر على الناس ولم يوفهم الحق فحدثوا عن معايبه واطاقوا الالسن بمثالبه وكان قد اشتهر ان امه تزوجت ازواجاً بعد ابيه وقبله وقيل ان عددهم بضعة عشر رجلاً ومنهم رجل يعرف بموشىخ يبيع الارز باللبن فقال فيه العصفري الشاعر يهجوهم والشدنيها لنفسه :

١٥ م : ع . يقال باهته اذا استقبله بامر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه فيهت

منه . ٢٥ م : ع كذا في الاصل والظاهر يضطروه .

قالوا ابو الفضل شمع وازداد كبراً وبدخ (١)
 فقلت مه قولوا له ياهرل (٢) سوشيوخ الوسخ
 ما كنت لا كنت بذى سوشيوخ يقرط لأمنخ
 وانما اراد ان يطيب (٣) بذاء الشعر مع ذكر امه لان اصله كان من
 قرية من اعمال واسط بالاسافل يقال لها قلمايا وقد كان ابو الحسين بن
 عياش القاضي انشدني هذه الابيات قديماً او حكى مثل هذه القصة فأنشد
 الابيات حتى اذكرنيها ابو الحسين ابن هشام وفي رواية ابن عياش :
 ويلك ما كنت بذى

قال ومعنى يقرط لأمنخ ينيل أمك .

حدثني ابو الحسين بن هشام قال حدثني ابو الحسن زكريا بن يحيى بن
 محمد بن ساذان الجوهري قال حدثنا ابو العباس المبرد قال حدثت عن
 الحليل بن احمد اجتزت في بعض اسفاري وانا متوجه براهب في صومعة
 فدققت عليه والمساء قد ازف جداً وقد خفت من الصحراء وسألته ان يدخاني
 قال فقال من انت فقلت انا الحليل بن احمد فقال انت الذي يزعم الناس
 انك وجهاً (٤) واحداً في العلم بامر العرب فقلت كذا يقولون ولست كذلك
 قال ان اجبتني عن ثلاث مسائل جواباً مقنعاً فتحت لك واحسنث ضيافتك

«١» م : ع ، بدخ كبذخ تكبر وتعظم ، «٢» قال في محيط المحيط الهرل ولد
 المرأة من زوجها الاول وهو قاروط له عند العامة . «٣» بالاصل سطب «٤» م : ع
 كذا في الاصل والصواب وجه واحد ووجه القوم سيدهم ووجههم .

والا لم افتح لك ققلت وما هي قال السنن نستدل على الغائب بالشاهد قلت
بلى قال فانت تقول ان الله تعالى ليس بجسم وعرض ولم نر له مثلاً فبأي
شيء أثبتته وانت تزعم ان الناس في الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغفطون
وانت لم تر آكلاً شارباً الا متغوطاً وانت تقول ان نعيم اهل الجنة
لا ينقضي وانت لم تر شيئاً الا منقضياً . قال ققلت له بالشاهد الحاضر :
استدللت على ذلك كله اما الله تعالى فانما استدلت عليه بافعاله الدالة عليه
لا مثل له وفي الشاهد مثل ذلك . الروح التي فيك وفي كل حيوان
نعلم انها يحس بها تحت كل شجرة منا ونحن لا ندري اين هي ولا كيف
هي ولا ما صفتها ولا جوهرها ثم نرى الانسان من الناس يموت اذا
خرجت ولا يحس بشيء وانما استدلت عليها بافعالها وبحركاتها وتصرفها
بكونها فينا . واما قولك ان اهل الجنة لا يتغفطون مع الاكل فالشاهد (١)
لا يمنع ذلك الا تعلم ان الجنين يفتدي (٢) في بطن امه ولا يتغوط . واما
قولك ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي مع ان اوله موجود فانا نجد انفسنا
نبتدي الحساب بالواحد ثم لو اردنا ان لا ينقضي الى مالا نهاية له لم
نكرره واعداده وتضعيفه الى انقضاء ما . قال ففتح لي الباب واحسن ضيافتي .
حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن محمد مولى بني
هاشم وكان يكتب ليوسف القاضي قديماً قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق

(١) بالاصل بالشاهد . (٢) م : ع كذا في الاصل والعبارة محرفة . والمعنى ظاهر من

سياق الكلام .

القاضي عن اشيائه قال كان عافية القاضي يتقصد للمهدي القضاء باحد
 جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة وكان عافية عالماً زاهداً فصار الى
 المهدي في وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله
 واذا معه قمطرة فاستغفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يامره
 بذلك فظن ان بمض الاولياء قد غرض منه او اضعف يده في الحكم فقال
 له في ذلك فقال ما جرى من (١) هذا شيء فقال ما سبب استغفائك فقال
 كان تقدم الي خصمان من شيراز واصبهان في قصة معضلة مشككة وكل
 يدعي بينة وشهوداً ويدرلي بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم
 رجاء ان يصطلحا او يعين لي وجه فصل ما بينهما قال فوقف احدهما من
 خبري علي اني احب الرطب السكر (٢) فعمد في وقتنا جمع (٣) وهو
 اول اوقات الرطب الى ان جمع رطباً سكرأ لا يتبياً في وقتنا جمع مثله الا
 لامير المؤمنين وما رأيت احسن منه ورشاً (٤) بوبني جملة دراهم علي ان يدخل
 الطبق الي ولا يبالي ان يرد - فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي
 وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا
 في قايي ولا في عيني وهذا يا امير المؤمنين ولم اقبل فكيف ولو قبلت ذلك
 ولا آمن ان يقع علي حيلة (٥) في ديني فاهلك وقد فسد الناس فاقلني اقالك
 الله واعفني فاعفاه .

«١» بالاصل في . «٢» م: ع السكر رطب طيب شديد الحلاوة . «٣» م : ع كذا
 في الاصل والظاهر حذف كلمة جمع . «٤» م: ع كذا في الاصل ورشاً لا تتعدى الى
 مفعولين بنفسها وكأنه ضمنها معنى اعطى . «٥» لعله خلل .

حدثني ابو الحسين قال سمعت حامد بن العباس في وزارته يتحدث
قال كان صاعد بن مخلد وصفني للناصر لدين الله وعظم عنده من امري حتى
اختصصت بخدمته فاستدعاني يوماً على خلوة وقال قد علمت ما لحقنا من
هذا العدو يعني صاحب الزنج حتى عدنا الى هاهنا وكان ذلك بعد انهرامه
من بين يدي صاحب الزنج وعوده من مقامه بواسط ليستريح ويتأهب
للمرجوع ويستعد لقتاله وقال لي الناصر وامري كما ترى مختل وجميع ما في خزائني
ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع مني (١) واريد ان تصرف همتك الى
ما يتم (٢) معه ويضعف قدره قال فقلت له هاهنا وجه فيه مرفق عظيم فقال
ما هو فقلت هذه اسناية الخيزران ومنها يشرب المبارك بأسره وبعض
الصلح وكان اقطاعاً لام الرشيد الخيزران فحفرت لها هذه الاسناية (٣)
وكانت تغلها غلة عظيمة وقد تعطلت الآن وخرب الصلح والمبارك كله
فان صرفت هذه الثلاثين الالف الدينار في حفر الاسناية واطلاق البذر
والبقر لاهل هاتين الناحيتين توليت لك تفرقة ذلك ومشاهدة الحفر
بنفسي حتى لا يضيع منه دائق واحد ولا يرتفق احد بحجة منه وتغل في
سنة ضعف هذا واكثر قال قد فعلت قال فانفقت على حفر الاسناية
عشرين الف دينار باتم احتياط وأطلقت العشرة الآلاف الدينار الباقية
للضعفاء من الاكره والتناء والمزارعين في اثمان بقر وبذور واحتطت

(١) يريد لا اعتد به - (٢) م : ع كذا في الاصل ولعله ينمو - (٣) لم اجد هذه
الكلمة فيما عندي من القواميس ويظهر انها مشتقة من السنو اي السقي .

في جميع ذلك وطالبت الاقوياء بالزراعة من اموالهم وحرصوا هم ايضاً
 الحرص كله لما رأوا الماء وان الضياع ممطرة منذ سنين كثيرة : وطمعوا في
 كثرة الربيع ووفور الاسعار في النواحي فزرع الناس بالرغبة والرغبة
 حتى استنفدوا جهدهم فلما ادركت حصدت في بيدر واحد من يادر الصلح
 وقد كان ارتفع اصل الكيل منه ثلاثة آلاف كر وستمائة كر حنطة
 بالنصف . فحصلت منه الثلث والعشر على المقاسمة مع الاجور وفضل
 الكيل الف كر وستمائة كر للسلطان . وبعتها حساب الكر بنيف
 وعشرين ديناراً فحصل الثمن ستة وثلاثون (١) الف دينار عيناً من بيدر
 واحد وبقي البلد كله باسره ربخاً فحصل له في اول سنة اضعاف ما انفق
 مضاعفاً فتقوى بذلك على الرجوع الى الحاشن وكان ذلك من اكبر
 اسباب تقدمي عنده ورفعتي قال وكان حامد (٢) يحدث بهذا عقيب شيء
 جرى قال حامد معه لا تصلح الدنيا الا بالعمارة والعدل وقمع العمال عن
 السرقات ثم تحدث بهذا الحديث .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول كان
 ابو الحسن محمد بن فراس الكاتب سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله
 والعباس بن الحسن حتى استكتبه له فلما علت حال عباس حسده ابن فراس
 وعاد يسمى عليه (٣) ويثلبه عند القاسم الى ان اعتل القاسم علة موته فقال

«١» م ، ع كذا في الاصل . «٢» م ، ع ، كذا في الاصل ولعل اصله وكان
 حامد اذا اراد ان يحدث بهذا عقب شيء جرى قال . معه . لا تصلح الخ .
 «٣» م :ع المعروف سمي به وربما ضمنه معنى ثم او نحوها .

ابن فراس ان عباس بن الحسن يسمى في طلب الوزارة مع الداية وصافي الحرمي وانه قد قطع السواد فلم يتقبل ذلك القاسم وكتب الرقعة المشهورة الى المكتني قال فدخلنا في الليلة التي ولي فيها الوزارة وهو موت القاسم (١) ولم يكن خلع عليه ودخل ابن فراس مهتألاً بجلوس في اخريات الناس وتشاغل العباس بتقليب ثياب السواد وقد جاؤهُ بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من غد في دخوله الى الخليفة قبل الخلع حتى يبركه (٢) هناك ويلبس الخلع فوقه وكان الرسم اذ ذلك ان لا يصل احد الى الخليفة في يوم موكب الا بسواد . قال فلما اختار العباس ما يريد من الثياب اقبل علينا وقال معرّضاً بابن فراس لعز الله اهل الحسا والشر سمي قوم على دمي عند ولي الدولة وقالوا له اني قد سميت في الوزارة واني قد قطعت السواد منذ ايام كثيرة وهذا بحضرتكم على غير توأطيه هو ذا اقلب ثياباً ليقطع منها سواد لي فقام ابن فراس قائماً وقال قد حضرني اطال الله بقاء الوزير يئنان في هذا المعنى فان أذن الوزير ايده الله انشدتهما فاستحيا العباس وقال بحياي اجلس وانشد بجلوس وقال :

تنزع عن القبيح ولا ترده ومن اوليته حسناً فزده

ستكفي من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

حدثنا (٣) ابو الحسن محمد بن محمد بن عثمان الاهوازي الكاتب

(١) م ، ع : الظاهر بعد موت القاسم . (٢) بالاصل غير معجم يقال برك اذا ثنى ثوباً . م ، ع : لم نجد برك بهذا المعنى ولعل اصله برك اي في الموكب . (٣) الفرج بعد الشدة ١ : ٥٥

المعروف بابن المهندس قال حدثني ابن مروان الجامدي قال لما ظلم الناس بواسط ابو عبد الله احمد بن علي بن سعيد الكوفي وهو اذذاك يتقلدها الناصر الدولة وقد تقلد (١) امرة الوزراء والامراء ببغداد كنت احد من ظلم (٢) فظلمني واخذ من ضيعتي بالجامدة (٣) نيفاً واربعين كراً ارضاً بالنصف (٤) من حق رقبتي (٥) سوى ما اخذه من حق بيت المال بغير تأويل ولا شبهة فتظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك بثلاثين دينراً فقلت له قد اخذ سيدنا مني ما اخذ ووالله ما اهتدي انا وعيالي الى شيء سواه ومالي ما اقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان تطلق لي من جملته عشرة اكرار وأجعل الباقي له حلالاً فقال هذا ما لا سبيل اليه فقلت فخمسة اكرار فقال لا أفعل قال فبكيت وفبلت يده ورقفته وقلت فهب لي منه وتصدق عليّ ثلاثه اكرار وانت من الجميع في حل وبيعه بطيب (٦) (من) قلبي فقال لا والله ولا أرزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال لي كن على الظلامة يكررها دفعات ويكسر الميم بلغة الكوفيين . قال فانصرفت محترق القلب فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ايالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من اخذه الارز وجئت الى البيدر فأخذت أرزي وحملته

(١) يعني ناصر الدولة . (٢) بالاصل تظلم . م ع : وتظلم صحيح ايضاً ومعناه شكى

الظلم . (٣) م ، ع : الجامدة قرية كبيرة بين واسط والبصرة من اعمال واسط .

(٤) م ، ع : لعله بالنصف وهو مكبال اي ذلك الكر مكبل بالنصف .

(٥) في الفرج الدهقنة . (٦) م ، ع : كذا في الاصل ولعله . وتبيعه بطيب الخ .

الى منزلي وما عاد الكوفي بعدها الى واسط ولا أفلح.

حدثني ابو الحسن محمد بن محمد الاهدوازي ابن عثمان المعروف بابن المهندس قال كنت أتقلد الضريبة وغيرها من أعمال واسط في هذا الوقت للكوفي فقدم ملاح يقال له ابن شبيب من بغداد في زورق عظيم وكان فيه حديد وخواب فطالته على ضربيهما بثمانية الف (١) درهم وكسر فاتجأ الى يملك فكتب رقعة وهو غلام سيف الدولة لابن سيف الدولة وكان مقبياً بواسط حينئذ اميراً عظيماً فكتب الى يملك رقعة يلزمني تخفيف الضريبة عن الملاح ومقاربته وأنفذ غلاماً من غلمانه فوضعت في نفسي المقاربة لاجله فقلت للملاح عليك ثمانية آلاف درهم وكذا وكذا فبكم تحب ان أسامحك لاجل كلام فلان أيده الله قال وكان مجلساً حافلاً باهل الاسواق والتجار والمعاملين في الضريبة قال فقال لي الملاح مستفهماً كم عليّ؟ فقلت ثمانية آلاف درهم وكسر قال فضرط من فمه لي وقال تأخذ مني بميزان قرع وصنج بعير قال فورد عليّ امر عظيم من استخفافه بي في مجلس العمل وكرهت ان اوقع به ويشرق (٢) الحال بيني وبين يملك مع تمكنه من سيف الدولة وتصير مناظرة بيني وبين صاحبي ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك . فقلت له اما أنت فأقل أن تجاب عن هذا الكلام ولكن سأريك امرئ كونهوا معه . قال فوكلت به جماعة من الرجالة وعبرت في زبربي (٣) الى الكوفي

١٨ م ، ع كذا في الاصل والصواب آلاف . ٢٠ م ، ع : في الاساس شرق ما بينهم بشر اذا وقع الشر بينهم . ٣٠ م ، ع : الزبرب نوع من السفن .

فحدثته بالقصة فحين استتم حديثي قال وأي شيء عملت بالملاح؟ فقلت لم أقدم ان أعمل به شيئاً لاجل يملك وخشيت ان تنكر انت ذلك فقال نفاطين (١) نفاطين وصاح وتغيظ فاحضروا وقال ثلاثين راجلاً الساعة فأحضروا فقال اعبروا الى الزورق فاحرقوه بجميع ما فيه من الامتعة الساعة . قال فورد علي امر عظيم وندمت علي الشكاية فقلت يكفي من هذا اطل الله بقضاء سيدنا ضرب الملاح بالمقارع في السوق وان تضعف عليه الضريبة وتستخرجها منه فقال لا والله الا الاحراق قول فاجتهدت به فلم يكن في يدي منه شيء . وتوجه النفاطون والرجالة الى الزورق فضربوه بالنار وأقبل الملاح يلطم ويضبح ويقول يا قوم فيه أموال الناس قد افتقروا (٢) وافتقرت ويستغيث بالمسلمين ولا يقدم احد على اعانتته وأحرقت قلوس (٣) الزورق التي كانت تربطه وتمسكه وخرج منه الملاحون و طرحوا أنفسهم الى الماء فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه فوقع على الجسر فقطعه وانحدر حتى انتهى الى موضع ممسك سيف لدولة (٤) وكان نازلاً في الماصر (٥) بواسطة والملاح في بكائه (٦) ورآه لا يجسر ان يطفي النار ولا يقدر على (ذلك) (٧) اكثر من

« ١ » م . ع : النفاطون الرماة بالنفاطة وهي اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار . « ٢ » بالاصل افتقر . « ٣ » م . ع : القلوس حبل السفينة جمعه قلوس . « ٤ » لعله ابن . « ٥ » م . ع : قال في التاج واللسان الماصر حبل يلقي في الماء لمنع السفن عن السير حتي يوءدى ما عليها من حق السلطان في دجلة والفرات . وفي اللسان والماصر يمد على طريق افنهر توءصر به السفن والسالبة اي تحبس لتوءخذ منهم العشور . « ٦ » بالاصل ركايه . م : ع : كذا في الاصل ولعل الصواب في براكية وراءه والبراكية ضرب من السفن . « ٧ » م . ع : لا حاجة الى لفظ ذلك .

ان يلطم ويصبح فلما رأى سيف الدولة الصورة استهولها مع صياح الملاح
وقوله فيه أموال فاستدعاه وقال ايش فيه فقال فيه مال صاحب البريديين
اصدوره اليهم صاحبهم من بغداد سرّاً وجعله تحت الحديد قال فأمر سيف
الدولة بالزورق فقدم الى الشط وأطفئت النار وقد احترق جوانب الزورق
وظلاله (١) وأكثر آتته الا الامتعة التي في أسفله فانها كالمسألة فرقى بها
الى الشط فأخرج المال فاذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ونيف وستون سيفاً
ومنطقة من فضة وبعضها من ذهب فأخذ ذلك وسلم الزورق الى الملاح
وشد على يده وعصمه من الكوفي حتى نقض الملاح الزورق وانتفع ببقية
خشبه وحديده ووصل التجار الى ما سلم من المتاع . « لا حديث صلة »



« ١ » لعله اطلاله بالطاء المهملة جمع طلل وهو جبل السفينة اي شراعها وجمعه جلول
واجلال .

آراء وافكار

كتاب الاكليل للهمداني

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكها من بفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في باب صاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضا والذي تُحسّر الناس عليه ولا تظفر به . وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات فجمعتني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هنراع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشرف مكة . ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياء امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني .

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عرفت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدت امور عدتنا عن هذا الامر . ويرحت الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاني النظر الى كتاب الاكليل .

ثم قرأت في كلام اسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة احمد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة .

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر . فجوابني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة .

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوَّف فيها وثقُب واسخ واستنسخ وضوَّر بالفوتوغرافيا وقيَّد وادع ما اودع في كتاباته .

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القزويني من ميونخ أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتص لي أثر

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عمر بن مزراع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الآتي أنقله بالحرف :

« ا.س (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعر على الاكليل فعند مجيئ المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسألهه بالان يوق باكلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع او الثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (شريفيني) من اليمن .

« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزء من ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشار اليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الحميداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرة أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبها ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . ولبس به تاريخ البشة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما ستري . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . مبتدئاً بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظهر مروان أن فيه كنزاً الخ » وبدأوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة وما نقلته

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و«غمدان» و«قصر الذيل» و«قصر سحرار» و«بينون» و«ظفار» الخ و يصف كلاً منها ويستشهد بأبيات قيلت في حقها مثل :
وقد كان في بينون عزٌّ وسودد وفي ناعط ملكٌ قديمٌ ومفخرٌ
ومثل :

وأما بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر
(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ أبعد بينون يبني الناس بنيانا
وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام ويرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الاُحذب الاصفر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحذب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الفوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

وامم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع والموت لا ينفع فيه الجزع
والنفس لا يحزنك انلافها ليس لها من يومها مرتجع
والموت ليس له دافعٌ اذا حميم عن حميم دفع

(اوزان مختلفة) وقد تكلم المحدثان عن كتابات موجودة بالخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . وبجته مفيد جداً . ونسخ صورة كتابته وجدت بجامع صنعاء بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العالم علي بن احمد العمري الحيارى . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عن الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . اولها :

نفي طيب النوم الامى المتأوب
عشبة ودعت الاحبة للنوى
ووجدت مقيم في الحشى ليس يذهب
وبانوا وحبسات القلوب تأوب
وأخرها :

حميت به أحساب قومي ولم ازل
اذا امتهنت اعراض قوم اذات
فاني عليهم مشفق متحدر
وبكرت تبذ القائلين وثير
اذا رويت كادت من الغيظ انفس
تغص وكاد الحلم عنهم يعزب
وقد تجد التقيط نافصاً في اكثر الكتاب . وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي اميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لا يمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضا انه سمع من المرحوم علي اميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة « ليدن » بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . أفضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس مارروي تقطع على اربعة اقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبها اليمن وشمالها الشام وغربها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقها عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها بنم الكتاب ويقول : كملت الارجوزة وكل بكاملها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولا نار يخ ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية - في دار الفنون في مدينة وينا انه طبع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر ايار سنة ١٨٨٤ .

وسنقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماً عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان نفضل بشي في عاداته .

تسليم ارسال

لوزان :

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحبها الامير الكتاب الآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكليل

سهرت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فيها اناذا الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

.....

.....

..... فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيت و اخبرتمكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري اندي في الاستانة

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندهم ونسخة في إيطاليا بين كتب غريفيوني ولعل التي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليلان بكتب اليمين كما يسمع .
 هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى .
 وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غريفيوني هذا لعل اليد نظفر بكتاب الاكليل كاملاً . وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زبدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب فادرة المشال وسنرى ما يكون من جوابه .

لوزان : شبيب أرسلان



مطبوعات حديثة

كتاب التيجان

« في ملوك حمير عن وهب بن منبه »

الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند بمملكة

حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٧ هجرية ص ٣١٠

وبله

اخبار عبيد بن شريفة الجرهمي

« في اخبار اليمن واشعارها وانسابها »

وهو في ١٨٢ ص طبعت في حيدر آباد الدكن ايضاً

نشر هذين الكتابين كأنهما كتاب واحد لئلا ينفصل في الموضوع — صديقة العلامة السيد كرنكو من كبار علماء المشرقيات المستعربين عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني كتبت بخط علي بن سعيد بن محمد بن هاجر القملائي سنة ١٠٣١ هـ وقال كاتب الاصل ان الفراغ كان من نسخها سنة ١٠٣٤ بخط مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين في الدار الحمراء بصنعاء اليمن وهذه النسخة منقولة من نسخة محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وعورضت بنسخة اقدم منها محفوظة في المكتبة العمومية في براين . والكتابان في اخبار اليمن قبل الاسلام وبعده بقليل . وفيهما من اخبار ذاك القطر منه ما نقل في كتب أخرى ومنه ما لم يعثر عليه الى اليوم . وهب بن منبه كانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدول توفي في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة . وكتاب التيجان رآه ابن خلكان في عصره قال « ورأيت له (لوهب بن منبه) تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة » وكتاب التيجان هذا نفس كتاب الملوك المتوجة من حمير . وهب بن منبه كثيراً ما كانت يعرفه العلماء بعض الشك في مره يات له كشاره . فما نقله له صاحب الطبقات الكبير قوله : لقد قرأت اثنين وتسعين

كتاباً كلها أنزلت من السماء اثنتان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس وعشرون لا يعلمها إلا قليل وجدت في كلها أنه من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . « وفي مقدمة كتاب التيجان قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء فوجدت فيها أن الكتب التي أنزلها الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الألواح . قال الله : (ان هذا لي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان . « وقال في مكان آخر (ص ٢٠) وقد ذكر الله صحف شيث وغيرهما من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة .) وقال : (اولم تأتئهم بينة ما يفي الصحف الاولى) . ووهب من علماء التابعين وهو من الابناء ابناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذي يزن لقتال الحبشة في اليمن فهو فارسي الاصل واسم الخيال . ومن الفرس من وضعوا الاخبار في الاسلام عمداً او اتوا ذلك عن نية حسنة اعتقدوها .

وكتاب التيجان هو رواية ابي محمد عبد الملك بن هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه بدأه باحوال خلق العالم ونسب ولد سام وحام وبافث وملك حمير ووائل والسكسك وبعفر وعامر ذي رياس والمعاقر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد والهمال بن عاد والحارث بن الهمال والصعب ذي القرنين وابرهة والعبد بن ابرهة وعمرو بن ابرهة وشرحبيل والد وهب ومُلك بلقيس وملك رحبم ابن سليمان ومالك بن عمرو بن بعفر وعمرو بن الحارث بن مصاص وشمير يرعش بن ناشر النعم وثبع صيفي وعمرو بن عامر من بقيا ملك متوج قبع وعمرو بن جفنة اول من ثوج من ملوك غسان بالشام وربعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اضعاف التبابعة وقصة النار التي كانت تعيدها حمير الى آخر من ذكر من الملوك المتوجين فوافق اسم الكتاب مسماء . وكتاب الملوك المتوجة او التيجان من صحف الادب القديم بما ذكر فيه من الشعراء والاخبار .

اما كتاب اخبار عبيد بن شربة الجرهمي فهو من أقدم الكتب في الاسلام وبطبعه حلت اشكالات كثيرة في أصل التدوين في الامة . وكان عبيد بن شربة من المعمرين

من اهل اليمن وفد على معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه في الشام وهو آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة « وامر معاوية كتابة ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه مع معاوية » (ص ٢١٤) فعبيد بن شربة راوية و لمدونون كتابة معاوية . وقد كان هذا يعجب بما يلقيه عليه عبيد في كل مجلس . يستزده من ايراد الشعر لان الشعر كما قال معاوية (ص ٣٥٢) ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية . وذكر عبيد او نقل عنه حديث هلاك عاد وثمود وجرم وخروجهم من اليمن الى الحرم وناشر الهم بن عمرو بن بعفر بن عمرو ، وشمر برعش بن افر يقيس بن ابرهة بن الراش ونعم الاقرن وهو ذو القرنين وملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر واسعد ابو كرب الاوسط . وكل ذلك بلغة سلسة وشعر رائق خال من تكلف المحدثين فهو شعر الفطرة الاولى بل هو نموذج صالح من شعر الجاهلية نُقل في الصدور قبل البعث الى السطور أوائل المئة الاولى . للاسلام . وعلى الجملة فان هذين الكتابين التيجان لوهب بن منبه واخبار اليمن لعبيد بن شربة من أهم الاسفار المفيدة التي نشرت بالطبع في العهد الاخير فجاءت شبهات في موضوعات كثيرة وأبرزت لنا صورة كانت متوارية وراء حجاب من أخبار الجاهلية . لا جرم ان الباحثين بسقطون في هذين السفرين على مسائل كثيرة يستنبطون و يستقرؤون ويستفيدون و يفيدون .

م . ك

دانتى اليجيبرى

« للسيد طه فوزي طبع بمطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٨ - ١٩٣٠ ص ١٥٠ »
صاحب هذا الكتاب ممن يحسنون اللغة الايطالية وقد درس في هذه الرسالة حياة دانتى شاعر الطليان وواضع اصول لغتهم ثم تلخص قصصه ولاجا قصة الممثلة المقدسة التي قسمها الى ثلاثة اقسام « الجحيم » و « الاعراف او المظلم » و « الجنة » بأسلوب محبوب تلاوتها الى القلوب وتدل على تشبعه بروح موضوعه وروح اللغتين اللتين ينقل من الاولى الى الاخرى .

م . ك

اصلاح الوعظ الديني

« تأليف الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي »

« واولاده بمصر سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م ص ٢٥٤ »

لبس المؤلف بالمجهول شأنه بين المشتغلين بعلوم الشريعة الغراء فهو من نوابغ أساتذتها في مصر ومن عانوا تلقينها والتأليف فيها . وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات الاستاذ المؤلف أخرج به خطب المنابر والمواعظ الدينية من طور الجمود الى دور الارتفاع المحمود وأعاض الوعظ والخطباء خطباً بليغة منبرية وغيرها بدلاً من الخطب التي أكل الدهر عليها وشرب ، وبطلت تأثيراتها بما ظهر في الناس من البدع والمقالات وفساد الاخلاق ، وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات الجديدة بعبارة سلسة و بايجاز لا يخل بالمعاني الجليلة التي يقصد اليها ، ملقناً في كل خطبة بل وفي كل صفحة شيئاً من روح الشرع والسنة النبوية فجاء كتابه دليلاً ناطقاً على دخول الدروس الدينية في مصر في عصر يتجدد اتي على القديم البالي ، وباليت سائر الاقطار الاسلامية لتنسج على هذا المنوال البديع وتخرج من طور التلقيق والترقيع .

م . ك

خطرات نفس

« للدكتور منصور فهمي طبع في مطبعة المعارف بمصر »

« سنة ١٩٣٠ ص ٢٢٢ »

هي مقالات موجزة تحمل في مطالوبها أفكاراً اجتماعية صحيحة يراد بها تلقين مدنية وغرس فضائل والوصول بالمجتمع الى مواطن التفكير والتقدير . وقد أحسن الاستاذ منصور فهمي وهو من أساتذة الجامعة المصرية بوضعها هذا الوضع اللطيف الذي يقر بها من القلوب ويجعل لها القبول فيها . وحبذا لو زاد المؤلف من عدد ما ينشر من فقراته وضم كل سنة شوارديها في صحيفة كصحيفة خطراته .

م . ك

مجلة مجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبي (١)

- ٩ -

لو سألتنا أبا الطيب عن الأسباب التي من أجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً
ليبتئها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فإنه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب وسئلون
كيف كان ذلك ، اتصل به أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة وبهذا تستدلون على أنه
لم ينج من حسد الحساد في قر به منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يمتنون موته فقال قصيدته
التي أولها :

بم التعلل لأهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرض بسيف الدولة فقال :

رأيتم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم غفن
وتغضبون على من نال رفسكم حتى بعافيه التغيص والمنن

هذا ما حمّله على الانزعاج عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من القوارص ما فيه فإد

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الأستاذ شفيق بك جبري
عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

يصن سيف الدولة عرض المنني ولم آسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم سيف باطنه
ان سيف الدولة احق الناس به :

ولله سيري ما أقل ثنية عشية شبرقي الحوالي وغرب

عشبة احق الناس بي من جفوته واهدي الطريقين التي أتجنب

ومع هذا جفاء وفارقه لما شكاه من امره ما شكاه :

الى اين صار المنني بعد ان ترك سيف الدولة وكيف انفصل بكافور ، وفي اي شيء
كان بطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأصممه له الشر ، هل سلم المنني من
عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب
من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ماذا اتى المنني في
بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ،
هل استطاب المنني إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ،
كيف همدت هذه الروح المضطربة التي مذاقت لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولا عرفت
نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المنني بعد مفارقتة سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء سيف
الصبح المنني ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم
يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار الى
دمشق ، والتي بها عصار التسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور
ملك مصر فالتقى من المنني ان يمدحه فقتل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور
الاخشيد يكتب سيف طلب المنني من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب
قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي
الطيب ، فسار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طنج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله
على فرس بموكب ثقييل وقلده سيفاً محلي . وكانت كافور الاخشيد يقول لاصحابه
أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المنني انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من
امير الرملة فسار اليه «

فقبل ان يتصل المنبي بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طنج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شرا الارض اهلاً وتربة بها علوي جده غيرها ثم
فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المنبي والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم
علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية بقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :
أناي وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدم لحذرتم فهل في وحدي قولهم غير كاذب
الي عمري قصد كل عجيبة كأنني عجيب في عيون العجائب
فما كاد يسلم المنبي من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكان بينه
وبين المصائب صلة رحم ، فلتنظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .
لما قدم ابو الطيب على كافور الاخشيدي امر له بمنزل ، ووكّل به جماعة ، وظهر
التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :
كنى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
وأشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المنبي
لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي
رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق
وكان لا يجلس في مجلس كافور .
... هكذا اتصل المنبي بكافور الاخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سميت به نفسه الى
أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت هذه
الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتني في عسجد أستفيده وانكنا في مفخر أستجده
وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :
... وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للرافين واليسا .
نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينشئ به في مراد من المرادات .
ومن في الناس يرضى بميسور عيشه ومرجوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينتهي بي في مراد احده
ولقد اكثر من المصارحة بما في نفسه :
فان نلت ما املت منك فربما شربت بما يعجز الطيرورده
ووعدك فعل قبل وعد لانه نظيرفعال الصادق القول وعده

والح علي كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :
اذا لم نعط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوفي وشغلك يسلب
واستخزعه وعده :

ارى لي بقربي منك عيناً قريبة وان كان قريباً بالبعد يشاب
وهل نافعني ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي يبان عندها وخطاب

طمع المتنبي في الولاية فسأل كافوراً ان يوليه صيداء من بلاد الشام او غيرها من
بلاد الصعيد وكان كافور قد وعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب
امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المهين سميت بك نفسك الى النبوة
فان اصبحت الولاية وصار لك اتباع فمن يطبقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه
العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المتنبي بالشر .

ولم يخجل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبخسونه ويوضرون صدر
كافور ، وفي جملتهم ابن حرابة وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المتنبي مدحه ،
فكان ابن حرابة يشيع استهزاء المتنبي بكافور في مدائحه ، والحقيقة ان ابا الطيب قد
صخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لمأراًيتك بدعة لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب
فجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جنبي : لما قرأت على ابي الطيب هذا
البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :
وبغنيك عما ينتسب الناس انه اليك نشأ المكرمات وتنسب
وهذا البيت ظاهره أبلغ المديح ولكن باطنه لا يخلو من غمرة الية .

وقد أشار المتنبي إلى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم أن ذكر لون السواد على مسامع كافور أمر من الموت . فمن قوله :

ان في ثوبك الذي الجدد فيه اضياء يزري بكل ضياء

انما الجلد ملبس وابيضاض النفس خير من ابيضاض القباء

وهذان البيتان فيها تعرض بسواد كافور وأصرح منهما :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون يلوث الاستاذ والسحناء

فلا بعد ان ابن حراة كان بذيغ مهزأة المتنبي بكافور حتى يكيد له ، فما أشبه

ما كان يقع لأبي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء

الفوائل به وكانت أبو الطيب وهو سيف بجالس كافور يتعرض للأدباء والشعراء فيجلب

عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء أبو القاسم بن أبي العفيرة الأنصاري فقد عارضه

المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها :

(نظر المحب إلى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لا تقول : إليه غرام وإنما تقول : له ، فقال له الأنصاري العرب

نقول إليه ولديه وله وحروف الخلف بنوب بعضها عن بعض ، والوزير أبو بكر بن صالح

الروز باذي حاضر الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الأنصاري قصيدة

منها هذان البيتان يعرض فيها بالمتنبي :

لما تعرض لي بمقت حاسد أبدى الملام وكيف يرضى الحاسد

ما زال ينشد قائماً حتى اذا انشدت عارضني لاني قاعد

لم يستطع المتنبي بعد هذا كله ان يطيل الإقامة بمصر ، ولعل مدحه لأبي شجاع فانك

المعروف بالحنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان

في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلي فيهن تصبال

وقد قال الواحد في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على

كافور فاني أمدحك إلى أوان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة سهل شوقاً إليها .

من اجل هذا كله فكر المثنبي في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على الحرب
فآخر قصيدة قالها في كافور :

منى كن لي ان البياض خضاب فيخفي بتبييض القروى شباب
وانقطع ابو الطيب بعد انشاده هذه القصيدة لابلق الاسود الا ان يركب فيسير
معه سيفه الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل ما يحتاج اليه على عمر الايام بلطف ورفق
ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح
في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فكان خروجه من مصر سنة
خمسين وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقريب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره
بيوم واحد قال قصيدته :

عيد باية حال عدت يا عيد بما مضى ام لا مر فيك تجديد
وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ابلاد هذا
الحسد اياه :

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا شاك منه محسود
هرب ابو الطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم
يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكذب الى عماله وسائر اعماله فأخفى .
ضرب المثنبي في البوادي في طريقه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها
في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيزلي
ولكن عبيده أنكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيء بعد
الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال
له وردان الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المثنبي بذلك ضرب احد
عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلام فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء
وردان :

اشد بعزمه عني عبيدي فأنلفهم ومالي أنلفوه
فان شقيت بايديهم جيادي لقد شقيت بمنصلي الوجوه

نشكر عبيده له وربما أضمرنا تسليمة فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار
والقوم لا يعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي أرض تقرب من الكوفة فرأى بعض
عبيده نوراً يلوح فقال : هذا منارة . ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فضحك
ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعامة عليك التخييل وظنوا الصوار عليك المنارار
ومن هذا يتبين لكم ما كنت قلته من ان ابا الطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد
صار له عبيد وغرق في المكارم .
وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم
والعلى :

وبلنا نقبل أسياننا ونسحق من دماء العدى
وكان دخوله الكوفة في جمادى الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .
هل طمع سيف الدولة في عودة المتنبي اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟
لما عاد ابو الطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشاقها فلابد
المتنبي فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبي وهذا ما بدلنا
على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكان أمير حلب ندم على ما فات فأحب ان يصلح
ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي اولها :
مالنا كلنا جو يا رسول انا أهوى وقلبك المتبول
اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة
ست سنين ، وفي هذه القصيدة ما يدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة
وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي انت عشت لي الف كافور ولي من نذاك ريف ونيل
ولما توفيت اخت سيف الدولة بيافارقين وورد خبرها الى الكوفة عزاه بها المتنبي
وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المتنبي ان
ينفي عن نفسه الظن بفقر محبته لسيف الدولة فقال :

بظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب
والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب .

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المنبيء عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله
فأنفذ اليه كتاباً يخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه - في
ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المنبيء
عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقني غير خوف الوشاة وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليبهم وتقريبهم بيننا والخب
وقد كانت ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب
وعائب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والايات
كلها نعرض بالماضي :

وليت شكااتك في جسمه ولينك تجزي ببغض وحب
فلو كنت تجزي به نلت منك اضعف حظ باقوي سبب

اقام المنبيء بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه التقريب اي من سنة
احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه
وبين ابي علي الحاتمي ما وقع فالظاهر ان ابا الطيب لما قدم دارالسلام عظم احتفاره لغيره
من الناس ثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الحاتمي قد قصده سيفه مجلسه فلم
يبال به المنبيء وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له
وبالغ في تعنيفه فاعتذر المنبيء عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي بنقد
بعض شعر المنبيء واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصعوبة ، وصار
ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً .

ولما نجا المنبيء من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلي في بغداد وفي شر معز الدولة
نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرة رجل صدر عن حضرة عدوه ولا ان
الوزير المهلي ساءه ترفع ابو الطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

على المهلبى فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الشعالي حتى نالوا من عرضه وتباروا به
هجائه واسمعه ما بكره وتماجنوا به ونسأدروا عليه فلم يجيبهم ولم يفكر فيهم وقيل له في
ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي ان هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غرروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضال

ومن يك ذا فم مر مريض يجرد مرأ به الماء الزلال

وقولي :

أني كل يوم تحت ضبني شوبعر ضعيف يقاد بني قصير بطادل

لساني ينطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

وأتعجب من ناداك من لا تحببه واغيط من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

واذا أئلك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الشعالي فلم يسم

المتنبي الا الحرب من بغداد .

فاتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير

ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فصار اليها مراغماً للمهلبى الوزير فورد

ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .

وقد كان ابو الطيب في مده لابن العميد يتهبه لمنزلة ابن العميد في الادب فن

قوله فيه :

ما كفاني نقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناء النقاد

انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده

رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يغمر الفؤاد اعتقاده

ما نعدت ان أرى كافي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكانت يستعرض سيوفاً فنهض ابن

العميد من مجلسه وأجلسه في دمه ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختر منها

واحداً ثقيل الحلي ، واختر ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سبني الذي اخترته

أجود ثم اصطلمها على تجربتهما فقال ابن العميد : فيما ذ تجربتهما ؟ فقال ابو الطيب في الدينانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدما فهو قاطم فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضرب بها ابو الطيب قدما ونفرت في المجلس فقام من مجلسه المفخم بالنقط الدينانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يانقظها ويأتى بها اليك فقال ابو الطيب : بل صاحب الحاجة اولى .

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيه فودع ابو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان صاحب طمع في زيارة المنبى اياه باصهاره على ما ذكره الذهلي واجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حويلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه بلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المنبى وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذ الصاحب غرضاً برشقه بسهام الوفيعة ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .

لم يبرج ابو الطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز وكان ابو علي الفارسي اذ ذاك بشيراز وكان عمر المنبى الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستثقله على قبح زبه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لا يبالي باحد بذمه او يحط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابيانا من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثير اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المنبى هو قائل هذه الالبات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزله واستنشدته وكتب عنه ابيانا .

وكان ابا الطيب قد استطاب الإقامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ما ذكره الذهلي ورجحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود .

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الإقامة في ذراكا

فأذن له وأمر بان تخلع عليه الخلع الخاصة وبقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلاته بالمال الكثير فامثل ذلك وانشده ابو الطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينمي فيه نفسه منه قوله :

واني شئت يا طريقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلاك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محمد وغلამه ومعه بغال موقرة بكل شي من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهما ولا شيئا يساويه فتعرض له فأتك خال ضبة الذي هجاه المتنبي بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخله الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، وانصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل ديرالعاقل فجمع عشرين رجلاً من بني عمه قتلوه بضربة تقرب من ديرالعاقل في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محمد وغلَامه فوجه احد معارف المتنبي واسمه ابوالنصر من دفته ودفن ابنه وغلَامه وذهبت دماؤهم هدرآ .

وقد كان ابوالنصر هذا نصح للمتنبي ان يكون معه في الطريق جماعة يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فأتك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام المتنبي على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتناظ من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسرون بمسيرك وهم في خفارتك فابى ابو الطيب فكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من بسأله : اين هذا من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعا وعطاء عضد الدولة تطبعا فغضب

عضد الدولة فلما انصرف جهرز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ان قاتل قتالاً شديداً
ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشيخ فنفقده
ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطيبي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي
النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت
خاتمة قلب ما له مدى ينتهي بصاحبه في مراد من المرات لقد همدت هذه الروح التي
جالت فيها افكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠



نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

« للدكتور محمد شرف »

— ٢ —

(٢٢) كثيراً ما ينقل المؤلف الحروف التي تدل على الأنواع النباتية كما وردت في اللاتينية ويسمى مثلاً النبات (*Sabbatia angularis*) شبطية النجولاريس على انه كان يجب ان يسميه الشبطية الكثيرة الزوايا وقد عثرت على عدد كبير من مثل ذلك .
واذا ترجم الحروف المذكورة غلطاً في ترجمتها أحياناً مثاله (*Sabbatia campestris*) فقد ترجمها بلفظ شبطية الآجام والصواب الشبطية السهلية . وإذا أعيتته ترجمة هذه الحروف صرف النظر عن ذلك مثاله انه أطلق اسم الخبازي والخبيز على كل من الأنواع النباتية الآتية وهي :

Malva parviflora

≡ *sylvestris*

≡ *verticillata*

وكان يجب ان يسمي الاولى الخبازة الصغيرة الزهر والثانية الخبازة الأجمية والثالثة الخبازة الدولابية او الكوكبية او الدواربة وهكذا .

(٢٣) لم يذكر الاسماء اللاتينية للحشرات الآتية وهي :

Acridium peregrinum

الجراد الراحل

Stauronotus marocanus

الجراد المراكشي

Earias insulana

دودة لوز القطن

Bruchus lentis

سوس العدس

Aphis fabae

من الفول

الى عشرات غيرها من الحشرات المهمة التي تغمر بالنباتات الزراعية والتي لا يجوز

ان يتخلو منها معجم علمي :

(٢٤) سمي النبات (*Medicago sativa*) البرسيم الحجازي والقنطريون ونسي
اصح اسم له وهو الفصفصة والرطابة .

(٢٥) ذكر النبات (*Andropogon alepii*) فسماء (ذرة شامي) ولم أدر من اين اتى
بذلك فالذرة الشامية هي (*Zea mays*) ثم ان حرف الذرة مؤنث فلما ذا يجعله مذكراً .

(٢٦) عرّف النبات (*Nicotiana rustica*) بانه (الدخان البلدي) فلت هذا
التمريف لا معنى له وقد ذكر بوست ان هذا النوع هو نوع النيباك .

(٢٧) عرّف الثمرة المسماة (*Capsule*) بما يلي (ثمرة جافة منفخمة مكونة من
مدقة مركبة) وقد سميتها الجروج بجراء يقال جراء الخشخاش (انظر ج ٤ م ١٠ من
هذه المجلة) .

(٢٨) ذكر أنواعا من البلوط لا وجود لها في مصر والشام وبلاد العرب السائرة
وسها عن ذكر الانواع الآتية وهي أم اشجار حراج الشام :

السندبان	<i>Quercus coccifera</i>
الملول	<i>lusitanica</i>
البلوط الاخضر « البهش »	<i>ilex</i>
البلوط المسمى عفا	<i>ægilops</i>

(٢٩) لم يذكر الماش (وهو حب مشهور في الشام) بين انواع الجنس المسمى
(*Vigna*) .

(٣٠) ترجم (*Petal*) بلفظ (بثلة ، ورقة نويجية) واصح لفظها هي القعالة .

(٣١) لم يذكر الدفزان (*Juniperus drupacea*) وهو من الاشجار المشهورة
في بعض حراج الشام .

(٣٢) ترجم (*Anther*) بلفظة انثيرومك ووعاء الطلع الخ . قلت ان اصلح
الألفاظ على ما أرى هما مثبر ومثبار وقد ذكرهما العالم المحقق الطبيب ابن الماروف
(انظر ج ٨ م ٨ من هذه المجلة) .

(٣٣) قال عندما ذكر (*Tilletia*) انه جنس من الفطر الأستيلاجي ولم يزد
على ذلك . قلت كان يجب ان يذكر على الاقل النوع المسمى (*Tilletia caries*)

وهو الذي يوجد مرض فخر الحبوب اي حفرها وتسوسها ويسمى بالفرنسية (Carie) وهو غير مرض (السويد) الذي يحصل من أنواع الجنس المسمى (Ustilago) . وقال في ذكر الجنس الاخير ان (Tilletia foetens) هو صدأ القمح على حين ان مرض الصدأ في الحبوب يحصل من طفيليات أخرى تنسب الى جنس (Puccinia) مثل (P. triticina) و (P. graminis) و (P. glumarum) ولم يورد صاحب المعجم منها شيئاً في معجمه .

(٣٤) ذكر خمسة أنواع من جنس (Polygonum) وترك اسم انواع هذا الجنس اي :

P. fagopirum

≡ tartaricum

≡ emarginatum

وهي أنواع الحنطة السوداء (Sarrasin) التي تكثر زراعتها في اوروبا وبلاد المغالبة خاصة .

(٣٥) الكتاب كثير الأغلط العربية والمطبعة . فقد فتحت الصفحة ١٦١ عرضاً فوجدت فيها ما يلي :

« نفقاً ، برعم ، خفدة زيتوني سمراء ، مايل للبياض أفريقياً أسنندة »
والصواب « نفقاً ، برعم ، خفدة زيتونية سمراء ، ضارب الى بياض إفريقية ، أسنندة » .

(٣٦) وجاء في الصفحة نفسها ان نبات (Menyanthes trifoliata) هو البرسيم والأطربفل . فهذان الحرفا لا يطلقان على النبات المذكور بل على أنواع النباتات التي هي من جنس (Trifolium) ولئن سمى الاوربيون النبات الاول « طرفيل الماء » فلأن اوراقه تشبه اوراق الطرفيل لا لأنه يرسم او اطربفل .

(٣٧) ترجم جنس (Trifolium) بلفظ (تراي فولبوم و برسيم) ولم يقل انه جنس النفل^(١) والطرفيل والاطر بفل والطربفلن (ابن البطار) وهو أشهر من أن يعرف .

(١) يطلق الشاميون هذه اللفظة على أنواع الطربفلن والفصفصة والحنندقوق وغيرها

وعندما ذكر نباتا - (*Trifolium pratense*) غلط غلطتين الاولى ترجمته بالبرسيم الاحمر والصواب برسيم المروج (او البرسيم العادي كما تسميه معظم الامم الاوربية) والثانية رسمه الحرف الذي يدل على النوع هكذا (*Partense*) .

(٣٨) ترجم لفظة (*Spore*) بما يلي : « بيرة النباتات خفية التزوج او عديمة الأزهار » قلت انني استعملت لها لفظة غبير والواحدة غبيرة . ووجدتها اخيراً في احد كتب الدكتور بوست . وهي على كل حال أرجح من ذلك التعريف الطويل العربي . وان كانت من الغبار .

(٣٩) سمى الجنس (*Viscum*) شجرة الدبق والدابوق . قلت الأرجح شجرة الهدالة (انظر ج ٤ و ٦ م ١٠ من هذه المجلة) وكانت يجب ان يذكر النوع (*Viscum album*) على الأقل .

(٤٠) لم يذكر جنس (*Diospyros*) وانواعه العديدة ومنها بلح طرابزونت (مشمش اليابان ، كاكى ، بلا كينيا) وهي شجرة مثمرة مشهورة .
(٤١) لم يذكر مرض الجماع (العَلَق ، البَجَل) في الخليل المسمى (*Durine*) وهو مهم .

(٤٢) لم أجد ذكراً للكرسنة (*Vicia ervilia*) وهي من القطاني الدائمة .
(٤٣) لم يذكر جنس (*Styrax*) و جنس (*Cercis*) انواعاً . وكان من المفيد ذكر النوعين الآتيين :

اللبنى «الأبهر» *Styrax officinalis*

الزمرديق *Cercis siliquastrum*

وهما مبذولان في لبنان خاصة .

(٤٤) قال ان الحشرة المسماة (*Sitotroga cerealella*) هي دودة الشعير .

من نباتات الفصيلة السنفية « قطانية ، قرنية » التي نبتتها الطبيعة في المروج مع أنواع من الفصيلة النجيلية فتسمن عليها الخيل والماشية . وقد خست لفظة النفل اليوم بنباتات الطربقان ولا يحول ما كتب عنها في المعاجم اللغوية دون ذلك .

قلت هذه الحشرة تسطو على حبوب الحنطة والشعير والذرة والشوفان وغيرها واسمها بدل على ذلك . فيجب إذن تسميتها بما يلي « نوع من سوس الحبوب » لأنها ليست خاصة بالشعير . ولا يخفى أن أهم حشرات السوس التي تسطو على الحبوب في الانابير ثلاث وهي أولاً هذه التي نذكرها ، ثانياً (*Calandra granaria*) وهذا النوع لم يذكره المؤلف بل اكتفى باسم الجنس وقال « جنس من خنافس الحبوب » . والأرجح « جنس من سوس الحبوب » . ثالثاً (*Tinea granella*) وهذا النوع أيضاً لم يذكره صاحب المعجم بل اكتفى بذكر الجنس فقال « نبتة - نوع من العث أو السوس » والصواب « جنس فيه أنواع من العث وسوس الحبوب » .

(٤٥) ذكر في مقدمة المعجم سبعة جملة المؤثرات السماعية الألفاظ الآتية وهي : « الصدر والضحى والرحم والجراد والمسك والسبيل » قلت لقد وهم المؤلف فإن هذه الحروف تذكر وتؤنث . وكان يجب أن يشير إلى ذلك . وذكر في جملتها أيضاً « الظهر » وهو مذكور لا غير .

هذه هي الاغلاط والنواقص التي عثرت عليها في جليستين وأنا لا أدعي العصمة فيما كتبت كما أنني لا أنكر أن صاحب المعجم ذو فضل كبير وإن معجمه هو الأول في بابهِ لكنه يستحيل على فرد من الافراد اياً كان ان يؤلف وحده معجماً علمياً خالياً من الاغلاط والنواقص ولذلك كان يجب على الدكتور محمد شرف بك المحترم ان يشرك بعمله الجليل ذوي الاختصاص بعلوم الزراعة والنبات والحيوان وغيرها فيكون معجمه خالياً من الشوائب وصالحاً لغير الأطباء ممن يراجعون المعجم لتحري الألفاظ المستعملة في تلك العلوم .

واذا سئلتُ هل معجم الدكتور شرف ثقة في المصطلحات الطبية فإني غير صالح للاجابة عن ذلك . اما من حيث المصطلحات الزراعية فأرى ان المعجم (طبعته الثانية سنة ١٩٢٨) كثير النواقص لا بني باغراض نلامدة المدارس الزراعية وخر يجهها فلمل المؤلف بتلاني هذه النواقص في الطبعة الثالثة .

مصطفى الشهابي

عضو المجمع العلمي

رسالة الكرم

« موضع الكرم »

الفردوس بالكسر الموضع تكون فيه الكروم مذكور وقد يؤنث . قال في اللسان
والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم فردوساً . واهل الشام يقولون للكروم والبساتين
الفراديس . ويقال كرم مفردس اي معرش .

الجنة — الحديقة ذات الشجر والنخل والجمع جنان . وقال ابو علي في التذكرة لا
تكرور الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر
فحديقة وليست بجنة كذا في لسان العرب ونحوه في التاج وفي المخصص فان كانت اشجاراً
لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق وسائر النبات الرياض وفي القرآن الكريم .
(وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان) .
الحديقة كل ارض ذات شجر مثمر ونخل . وقيل الحديقة البستان والحائط وخص
بعضهم به الجنة من النخل والعنب قال :

صُورِيَّةٌ أُولِعْتُ بِاشْتِهَارِهَا فاصلة الحِقْمَوَيْنِ مِنْ أَزَارِهَا
يَطْرُقُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ حِذَارِهَا أَعْطِيَتُ فِيهَا طَائِعاً أَوْ كَارِهَا
حَدِيقَةُ غُلْبَاءٍ ^(١) فِي جِدَارِهَا وَفَرَساً أَثْنَى وَعَبْدًا فَارِهَا

أراد انه أعطاها نخلاً وكرماً محدقاً عليها ^(٢) وذلك أنعم للنخل والكرم لانه لا يحدق
عليه الا وهو مضمون به مُنْفِسٍ وانما أراد انه غالى بمهرها على ما هي به من الاشتهار وخلائق
الاشرار . وفي اللسان . وكل بستان كانت عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه
حائط لم يقل له حديقة .

والبستان بالضم الحديقة او الحديقة من النخل قيل انه عربي وقيل معرب بوبستان
اي آخذ الرائحة ^(٣) سقطت الواو عند الاستعمال ثم توسع فيه حتى أطلقوه على الأشجار

(١) عظيمة متكاثفة . (٢) كذا في اللسان والتاج ولعله من قولهم أحدق به اذا
استدار وأحاط به . (٣) او مجمع الرائحة .

وفي التاج البستان هو حافظ البستان . وفيه ايضاً الناحي خادم البستان وفي التكملة هو البستانان وفي اللسان الجوّار الذي يعمل لك في كرم او بستان أكّاراً . وقدم اعرابي من نجد بعض القرى فقال :

سقى نجداً وساكنه هنيم حثيث الودق منسكب يماي
بلاد لا يحس البقي فيها ولا يُدرى بها مالبّـة متقاني
ولم يستب ساكنها عشاء بكشخان ولا بالقرطبات

فيل البّـة متقاني صاحب البستان وفيل الناطور .

الحائط الجدار والبستان من النخل اذا كان عليه حائط اي جدار جمعه حوائط . وجاء في الحديث (على اهل الحوائط حفظها بالنهار) يعني البساتين وهو عام فيها . وجاء في كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي والمخصص لابن سيده وغيرهما اطلاق الحائط على الكرم وسبأني ذلك . ويقال حوَّط كرمه تحويطاً بني حوله حائطاً فهو محوَّط وفي اللسان . ويقال للارض المحاط عليها حائط وحديقة فاذا لم يحيط^(١) عليها فهي ضاحية وفي التاج . الحاجر كرم مثنائ^(٢) وهو مطمان له حروف مشرفة تحبس عليه الماء وبذلك سمي حاجراً والجمع حُجْران . والحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض كلمة حَجَر

والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به كالحاجور .

جدر العنب حائطه جمعه جُدُور . والجَدْر والجدار الحائط وجدره يجدره جدرّاً حوطه وجدرّـة شيدته واجتدره بناء والجدر اصل الجدار والجدير المكان يبني حوله جدار ويقال للحظيرة من صخر جديرة .

« الوشيمة والحظيرة »

الوشيع حظيرة الشجر حول الكرم والبستان والجمع الوشائع . ويقال وشعوا على كرومهم توشيماً . حظروا عليها بالشجر . ووشع كرمه حمل له وشيماً وهو ان يبني جداره بقصب او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع .

ويقال للوشيع السياج قال في اللسان السياج الحظيرة من الشجر فجعل حول الكرم

(١) كذا في اللسان : (٢) يقال ارض مثنائ وانبتة اي سهلة منبات ليست بغليظة .

والبستان وقد سيج على الكرم . ويقال حظور كرمه بالسياج وهو ان يسج حائطه بالشوك لئلا يتسور .

والخطيرة مأحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب . وكل ما حال بينك وبين شيء فهو حظار وحظار وحجار والمخظر الذي يعمل الخطيرة واحتظر القوم وحظروا اتخذوا خطيرة . والخطير الشيء المخظر به وقيل الشجر المخظر به وقيل الشوك الرطب ونسبه قولهم وقع في الخطير الرطب . اذا وقع فيما لا طاقة له به .
« الحفر والركايا »

الشربة بالثغريك كالحويض يحفر حول الشجرة ويملاً ماء فيكون ريمها فتروى منه والجمع ثمرات وثمرات وثمرات الارض والنخل جعل لها ثمرات .
اليجباب الركايا تحفر وينصب فيها العنب اي يغرس فيها كما يحفر للفسيلة من النخل الواحد جُبة . والركايا جمع ركبة وهي البئر تحفر من ركا الارض ركواً اذا حفرها حفراً مستطيلاً . وفي اللسان ركا ركواً حفر حوضاً مستطيلاً .
الجبايا الركايا التي تحفر وينصب فيها قضبان الكرم .
الفُرة ركايا محفورة بعضها الى جنب بعض وينفذ بعضها الى بعض واحدها فقير وفي اللسان المقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل وهو الطين وبالدرمن وهو البعر . وقيل الفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست . وفقروا الفُرة بعضها الى بعض اي افضوا .

الجُفرة الحفرة الواسعة المستديرة . وحفرة كل شيء وسطه ومعظمه . والجُفرة شروق الدائم التي تحفر لها نحت الارض .

« طرق الماء »

الكظامه . القناة تكون في حوائط الأبناب والكرم . وقيل هي ركايا الكرم وقد أفضى بعضها الى بعض ونسقت كأنها نهر . وكظموا الكظامه . جدروها بجدرين والجدر طين حافئها .

القُرة الخرق الذي يدخل منه الماء الحائط (والقرة منبور القناة) .
السررب خشبة جوفاء تجعل في القبرة فيدخل منها الماء حتى لا يأكل الحائط وفي

التاج السرب القناة الجوفاء يدخل منها الماء الحائط .

الركيب ما بين النهرين من الكرم او ما بين الحائطين من النخل والكرم وفي المخصص كل نهر من أنهار الكرم فهو ركيب والجمع رُكُوب . وفي اللسان الركيب المشاراة وقيل الجدول بين الديرتين وقيل هي ما بين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي ما بين النهرين من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة . وقال في : عرق : والركيب النهر الذي يدخل منه الماء الحائط . والجذر والظهر ما بين الركيبين من التراب المرتفع ويقال لكل شطر من الركيبين سرية والجمع السرابا وعراق الركيب حاشيته من ادناه الى منتهاه والجمع أغرقة .

في الرسالة المنسوبة للاصمعي ولا بد للحائط اذا لم تكن له كظامه (قناة) من ان يكون فيه اللُجج والخُلُج والفُلُج والثعالب في اواسط الحائط وأعلامه .

والفلج مجرى السيل . والخلج جمع خليج وهو في الاصل : شعبة لتشعب من الوادي تعتبر بعض ماءه الى مكان آخر . وما انقطع من معظم الماء لانه يجذب منه وقد اختلج . ونهر في شق من النهر الاعظم وجناحا النهر خليجا . والفلج الساقية التي تجري الى جميع الحائط . والفجان سواقي الزرع . والنباتات اعضاد الفجان واحدها نبتة . والثعالب جمع ثعلب وهو مخرج الماء من جرين النهر . والجُحر الذي يسيل منه ماء المطر . ومخرج الماء من الدبار او الحوض .

والسري النهر الصغير كالجدول يجري الى النخل والجمع أميرية ومُربان . ولا بد من القصاب والقصاب ان تقطع فيه الثائل وتبنى بناء عراق الحائط بناءً مغلخلاً لا يخلب بالطين فاذا أراد ان يخرج الماء منه فلا تهدم الثائل . وعراق الحائط أسفله يخرج منه الماء الذي يدخل الحائط .

والثائل الضفائر التي تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث واحدها ثميلة . وقيل الثميلة الجذر نفسه . وقيل الثائل البناء الذي فيه الغراس والخفَض والوقائد (الخفَض حجر يبنى به والوقائد جمع وفيذة وهي الحجارة المفروشة) . وفي اللسان القرابة مسناة تبنى في الأعرج كراهية ان يستجمع السيل فيوبل الحائط اي يذهب به الوبل وينهدم عراقه . و .

وفي التاج القصاب ككتاب وفي نسخة ككتابة مسناة تبني في اللحن بالكسر هكذا في النسخ وفي بعض الامهات في الهمج اهـ . واللحن اصل الجبل . وليس للهمج في عبارة اللسان معنى . ولا للحن في عبارة التاج مناسبة ولذلك قال بعضهم الصواب في اللحن بالجيم محرّكاً وهو محبس السيل . وحفر في جانب البئر . ولا يبعد ان يكون الهمج محرّكاً اللحن وقد تقدم انه مجرى السيل .

« العزق »

والحائط بعزق في كل سنة بالبعزقة والمعزقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد فيعزقونه حتى يذهب شجره ويكرب الحبل وانما بعزق في زمن الحطاب . وفي اللسان عزق الارض بعزقها شقها وكربها ولا يقال ذلك في غير الارض والمعزقة والمعزق (كالكفسة ومنبر) الم من حديد ونحوه مما يحفر به الارض وجمعه المعازق . وقال ابن بري : المعزقة ما تعزق به الارض فأسماء كانت او مسحاة او شبكة وهي البهلة^(١) المعقفة . وأعزق الرجل عمل بالمعزقة وهي المر الذي يكون مع الحفارين . وارض معزوقة اذا شقت بفأس او غيره .

« شجر الكرم »

الكرم كفلس العنب واحده كرمه . وقال الاصمعي يقال لشجر العنب الكرم والحبل قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب كرمه ثروي عظامي بعد موتي عروفا
وقيل الكرم الطاقة^(٢) الواحدة من الكرم جمعه كروم . والكرام كشداد حافظ الكرم ويقال له اللامع كما سيأتي . ويقال هذه البلدة انما هي كرمه ونحلة يعني بذلك الكثرة .

ويقال للكرم جفنة والجمع جفن بفتح فسكون فيهما . وقيل الجفن اسم مفرد وهو اصل الكرم يقال جفن وجفن الكرم صار له اصل . وقيل الجفن قضبانة او ورقه . قال الاخطل يصف خابية خمر :

(١) هكنا ذكرت في اللسان والتاج ولم أجد الشبكة ولا البهلة بهذا المعنى .

(٢) الطاقة بمعنى الشعبة يقال طاقة من ريحان او شعر وطاقة الحبل قوته .

آلت الى النصف من كلفاء أنافها عالج وكتمها بالجفن والغار
وقيل الجفن قشر العنب الذي فيه الماء وقيل ضرب من العنب واحدته جفنة .
وقال الراغب سمي الكرم جفناً تصورا انه وعاء للعنب . وقيل الجفن ما ارتقى من الكرم
في الشجر فتجن فيه اي تمكن ولا يسمى بذلك غيره . ويقال للخمر ماء الجفن قال الشاعر
بصف ريق امرأة ويشبهه بالخمير :

تُحسِّي الضجيج ماء جفن شابه صبيحة البارق مثلوج تلج

أراد بماء الجفن الخمير . ويقال ايضا شربوا ماء الجفن اي الكرم .
الحبة بفتحين ويجوز سكون الباء والحبة بضم ففتح الكرم وقيل الاصل من اصول
الكرم . والحبة طاق من قضبان الكرم . والحبة شجر العنب واحدته حبة ونهي
الشرع عن بيع حبل الحبة بشريكها اي حمل الكرمة قبل ان يبلغ . جعل حملها قبل ان
تبلغ حبلاً . وكان لأنس بن مالك حبة تحمل كراً وكان يسميها ام العيال . وهي
الاصل من الكرم انتشرت قضبانها عن غراسها وامتدت وكثرت قضبانها حتى بلغ حملها
كراً (والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكابيك والمكوك صاع ونصف) .

الذي ضرب من الكرم ينهض على ساق بعض النهوض لم يتفرع كله واليه ينسب
الزبيب الميسى كذا قاله في التاج . وفي اللسان الميس شجر عظام شبيه في نباته وورقه
بالذرب واذا كان شاباً فهو ابيض الجوف فاذا تقدم اسود فصار كالآبنوس وبلفظ
عق لنخذ منه الموائد الواسعة والرحال . ثم قال : قال ابن سيده واخبرني اعرابي انه
رآه بالطائف قال واليه ينسب الزبيب الذي يسمى الميسى . ولعل ما في التاج أقرب الى
الصواب .

الزرجون بالتحريك شجرة العنب واحدته زرجونة . قال دكين بن رجاء :

كأن بالآبرأ العلول ماء دوالي زرجون ميل

وقيل الزرجون قضبان الكرم ومنه قول الشاعر :

بدلوا من منابت الشج والاذخر تيناً وبانماً زرجونا

وقيل الزرجون القضب بفرس من قضبان الكرم وأنشد :

اليك امير المؤمنين بعثها من الرمل ثنوي منبت الزرجون

أراد بمنبت الزرجون الشام لأنها أكثر البلاد عنباً .
وقال ابن سيده : فإذا نأصل واستحسك نباته فكل أصل زرجونة وحبله وكرم وكومة
وقال في موضع آخر فإن غرس الكرم من فضيبه فاسم الفضيب الشكير وجمعه شكير
وهو أيضاً زرجونة وجمعه زرجون . ثم قال والحبله كالكثير وجمعها حبل .
الحَبَكَة بالتحريك والماء والحَبَك يحذف الماء الأصل من أصول الكرم .
العوادي من الكرم ما يغرس في أصول الشجر العظام واحده عادية . قال الاصمعي
ويسمون كرم العنب الذي يمرش^(١) في أصول الشجر العظام العوادي وذلك انهم يعمدون
الى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد انف شجره الذي لا يخلو أصله من الظل ولا
تصيب الشمس ما تحته فيسمونه الصَّارَ فإذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة
من الكرم الى الشجرة التي غطت عليها ولا يسمونها الحبله كما يسمونها في الحوائط ولكن
يقولون عادية العتمة وعادية العرعر وعادية الثومة ويسمون العوادي الجن رهله في
المخصص الا انه قال فيسمونه الضار بالضاد المعجمة وهو تعحيف والصواب الضار بالصاد
المعجمة . قال في تاج العروس والضار الشجر المثلث الذي لا تخلو أصوله من الظل
لاشتباكه .

« اصطفاف شجره واتسافه »

السريف كأمر السطر من الكرم .
السُرْبَة الصف من الكرم وكل طريقة سربة . وفي المخصص السربة الطريقة من
شجر العنب .
وفي اللسان في مادة (ج ب) والسُرْبَة الطريقة من شجر العنب على طريقة شربه
ولم يذكرها في مادة (ش ر ب) بهذا المعنى .
السكة السطر المصطف من الشجر والنخيل . وقال الاصمعي العنب اصبل اي كثير
اصلاً وفي التاج عن الاساس ان النخل في ارضنا لأصبل اي هو بها لا يزال بافيا لا يفنى
ونحوه في اللسان .

(١) كذا في الأصل والصواب يغرس .

« النّور والزهر »

النّور بالفتح الزهر او الابيض منه . وقيل النور الابيض والزهر الاصفر وذلك انه
بييض ثم يصفر وجمعه أنوار . ويقال له النّورة والنّوار كزمان واحدة أوارة ونور
الشجر نورا وأتار انارة اخرج نوره وأتار الشجر والنبات وانور ظهر وحسن .
الزهره بفتح فسكون وبفتحتين نور كل نبات والجمع زهر وزهار وجمع الجمع أزاهير
ويقال أزهر النبات والشجر بالالف وزهره أزهارا اذا نور وظهر زهره ويقال زهر
النبت كغرح وكرم اذا حسن .

قال الأصمعي : أزهر العنب . وقد طار الزهر عن العنب وهو ان يخرج زهره
اي نوره . وفي المصباح أزهر النبات خرج زهره وزهر يزهر بفتحتين لغة . وفيه قالوا
ولا يسمى زهرا حتى يفتح . وقال ابن قتيبة حتى يصفر وقبل الفتح هو برعوم . ويقال
ابزأ شق الشجر اذا أزهر .

ويقال نفتحت الاكمة عن النور اي انشقت وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح
عنه وانفتح . وفي اللسان وكل نور نفتح فقد نفتح وكذلك الورد وما أشبهه من براءيم
الأنوار .

الزهر و نور النبات وزهره واشراقه والنبات النافر وزها النبات يزهر اذا نبت ثمرة
وأزهي يزهي اذا احمر او اصفر وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار .

الفعال كغراب نور العنب وشبهه . او الفعال ما نثار عن نور العنب وفاغية الحناء
وشبهه من كاهه واحدة فعالة . وأفعال النور انشقت عنه فعالة وكذلك أفعال كاشمعل
وأفعال الكرم انشقت فعالة ونثار . والافتعال نحية الفعال . واقنعله الرجل استنفضه في
يده عن شجره . وفي المخصص واذا انثرت اكمة الكرم فذلك الفعال والافتعال جمعه
واخذه . وزعم جماعة ان الفعال يزر العنب .

الكم والكامة بكسرهما غطاء النور والجمع أكمة وأكمام وركام بالكسر . وكم
الكبائس يكسها كذا وكسها تكبياً جعلها في اغطية يكتننها كما تجعل العناقيد في الاغطية
الي حين صرامها واسم ذلك الغطاء الكمام . وفي اللسان لكل شجرة ثمرة كُمة وهو برعومته .
وركام العذوق التي تجعل عليها واحدها كُمة . وفيه ايضا وكم كل نور وعاقوه والجمع أكام

واكاميم وهو الكمام وجمعه أركمة . وكُمّ الفسيل إذا اشفق عليه فستر حتى يقوى .
والكُمة بالضم كل ظرف غطيه ثوبه شيئاً والبسته إياه فصار له كالغلاف . واكام الزرع
غُلفها التي يخرج منها واليكم غلاف الثمر والحب قبل ان يظهر .
ويقال للأركمة لباس النور . ولباس كل شيء غشاؤه .

قال اللسان : الكافور كم الغنب قبل ان ينور . وقال ايضاً وقول العجاج كالكرم
اذ نادى من الكافور كافور الكرم الورق المغطي لما في جوفه من المنقود شبهه بكافور^(١)
الطلع (وهو وعاءه وقشره الاعلى) لانه ينفرج عما فيه ايضاً . وفي المصباح والكافور كم
النخل لانه يستر ما في جوفه . وقال ابن فارس الكافور كم الغنب قبل ان ينور لانه كفر
الوليم^(٢) اي غطاءه ويقال له الكُمة روى .

وفي الناج والكافور زعم الكرم وهو الورق المغطي الخ ما جاء في عبارة اللسان ثم قال
وجمعه كوافير وكوافر . والمشهور في جمع الكافور كوافير واما كوافر فانه جمع كافر كما
صرّح به في اللسان وسيأتي عن المخصص ان البنائقي هي الكوافير اي الاغطية .
البرعم والبرعمة والبرعوم والبرعومة بضم الباء والعين وسكون الراء فيهن كم ثمر
الشجر والنور . رقيق هو زهرة الشجر ونور النبات قبل ان يتفتح ويرعمت الشجرة فهي
ميرعمة ونبرعمت اخرجت برعمتها والجمع البراعم .

البرعمة غلاف نور الشجرة مثل الخنبة فنبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبعة اي غطاء .
البرعمة و بضم برعمة الشجر . وفي اللسان برعمة الشجر برعمته وهو مجتمع ورفه
وثمره ونوره . قال رؤبة : يجلو الوجود وردء وبرمه .

البرعمة زهر النور . وبها روى قول رؤبة السابق وفي اللسان بهرمة النور زهره .
الحذر محرّكة نور الغنب . وجهه بعد البرم وسيأتي .

الخنطة . ريح نور الكرم وما أشبهه مما له ريح طيبة وليست الشديدة الذكاء
طيباً . « للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العلمي

(١) قبل وعاء كل شيء من النبات كافوره . (٢) الوايع الطلع او الطلع قبل ان
يتفتح او ما في جوف الطلعة .

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

- ٧ -

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عيسى احمد بن محمد بن خالد المعروف
 باخي صخرة يحدث ابي قال ما رأينا احسن رعاية من ابي القاسم عبيد الله
 ابن سليمان فمن ذلك ان اسماعيل بن ثابت المعروف بالزغل كان يتقلد لابي
 الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته طسايسيج بادوريا وقطربل (١) ومسكن (٢)
 ونهر بوق (٣) والذنب وكلوازي (٤) ونهرين (٥) فلفق على عبيد الله بن
 سليمان وهو اذ ذلك متعطل في منزله بمقب تقضي النكبة عنه ولزومه لبيته
 ثلاثة لاف درهم ذكر انها تجب عليه بيادوريا في سنين من مظالم باطلة
 وبقايا غير لازمة واحضر وكيله وطالبه بها فقال له أمضي والتقي بصاحبي
 ووافقته على الاداء فوكل به عدة من رجاله وانصرف . فصار الى عبيد الله
 وقال له اغرم للرجالة جملا ودافع بلمقائه يومين الى ان تطرح عليه من يسأله
 ترك المطالبة باز يقررهما معه فخرج الوكيل وبذل للرجالة أوفر الاجمال
 فذكروا انهم لا يقدمون علي الافراج عنه خوفاً من الزغل وتكرار الكلام

«١» م ، ع : قطربل قرية في ضواحي بغداد كانت منزهاً للبطالين وحانة للخمارين .

«٢» م ، ع : مسكن موضع على نهر دجيل كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب

ابن الزبير . «٣» م ، ع : نهر بوق طسوج من سواد بغداد قرب كلواذي .

«٤» كلواذي طسوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلاء كثيراً . «٥» م ، ع : نهر بين

ويقال له نهر بيل طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

بينهم الى ان وثب حاجب عبيد الله بهم^(١) وحال بينهم وبين الوكيل وادخله الدار وانصرفوا فشكوا ذلك الى الزغل واسرفوا خوفاً منه ليقوم عذرهم بجاء الزغل فأسرف اسرافهم وأضاف كل قبيح الى عبيد الله وشكاه الى الوزير اسماعيل وقال له انه لا يقدر على استخراج مال عليه الا بالمبالغة في مكروه عبيد الله والانكار عليه وحبسه بنفسه في الديوان حتى يؤدي ولا يقتدي به المتعذر. وكان اسماعيل من العداوة لعبيد الله والبغض له والخوف منه على محابه بمنزلة عظيمة وفيه مع ذلك تشدد في نصرة العمل وجبرية في نفسه فاغتاظ جداً فأحضرني وانا مع ذلك^(٢) اتولى له ديوان ضياعه وتقدمته وتدير الجيش برسمه ومنزاتي في الاختصاص به قوة فقال احضر هذا الجاهل عبيد الله بن سليمان وعرفه ما شكاه منه اسماعيل بن ثابت وان جرأه عليه الابداء الى طنجة^(٣) وقبض نعمته وضياعه واني اعرفه بالعجب والجهل ولولا ان الزمان قد كفاني اسقاطه باسقاط ابيه وصار الى منزلة ان عاقبته بما يستحقه جعلت له فيه سوقاً — لما أخرت عقوبته ولكن قل له والله اولا تذممي لا أمرت بالآخر^(٤) ان يصفع من داره الى ديوان اسماعيل بن ثابت ويقام على رجله حتى يؤدي ما عليه ولا تدعه من الديوان اذ يحضر وكيله

١٠ م، ع: كذا في الاصل والمعروف وثب عليه: «٢» لغلة حينئذ. «٣» م، ع: كذا في الاصل: وفي معجم البلدان طنجة دستاق بخراسان قرب مرو. وطنجة بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء هي آخر حدود افريقية. ولعل الاصل وان جزاءه عليه الابداء الى... «٤» م، ع: الاخير، الادنى والارذل والمؤخر والابد وبقال في الشتم ابعد الله الاخر والاخير.

وحا به فسلمهما الى اسماعيل بن ثابت وتصرفه حينئذ ليطالبهما اسماعيل بما عليه . قال فخرجت وكتبت اليه رقعة استدعيه فيها الى الديوان دعوت له فيها كما يدعى من الديوان لمثله وهي سطران دعاء وترجمتها من ظاهرها لاني فلان من فلان وكان الكاتب يكتبها عني فلما عرضها علي زدت فوق الدعاء بخطي يا سيدي وكتبت من داخل الرقعة عبدك وانما أردت توفية الحق بذلك وستر الامر عن كاتي لئلا يسمع اني خاطبته بتعظيم (١) فأقع في مكروه مع اسماعيل . وزدت في آخر الرقعة بخطي انه لا يجب ان يستوحش من شيء أتوسطه فاني أحوطه بجهدى وان سبيله ان يحضر عشيأ ولا يتأخر فيطرق على نفسه امرأ عظيما . وأردت ان يحضر عشيأ ليكون مجلسي خاليا فأوفيه الحق ولا يجيء عدوه فان وفيتنه الحق لحقني من الوزير انكار . وان قصرت تدمت اليه وراعت المواقب فيه . فجاءني في جواب الرقعة عشيأ فقلت اليه وكان هذا عظيما محظورا على مثلي وخاصة في الديوان وصدرته وجلست بين يديه وعرفته ماجرى من الزغل واعدت من كلام الوزير من الانكار والايصاد ما جعل لفظه ، وقلت قال اشياء أخر كثيرة قبيحة عظيمة هائلة لا أستحسن تلقيك بها وأجل سمعك عن ارادها عليك هذا أقاها وأحسنها . ومع ذلك فانه أمرني ان لا تبرح او تحضر الوكيل والحاجب ثم استأذنته في انصرافك . فأجاب على ان فعلت هذا ان يصير لك اعتقال ان خالفت ثم لا ادري اي شيء يتولد من طمعه فيك ولا اي

شيء ينجز عليك وأكون سببه ولكن اجعلني على ثقة من انفاذك الرجلين اليه وانصرف لاعرفه ماجرى فان انكر عليّ انصرفك بغير اذن جحدته اني سمعت ذلك منه وكن على تحرز من غير ان يشيع ذلك الى ان يجيئك ثقتي بجلية الصورة فتعمل بها وبحسبها اما في الامن او الهرب . فشكرني وقال ما أطمع (١) ان اكافيك على هذا . وقام وقت بقيامه وودعته وقلت يا غلمان باسرکم بين يديه . فخرج وانفذ الرجلين وتوقى توقياً ضعيفاً . ودخلت فمررت الوزير الصورة وجلت القصة وأمرني بترك التعرض له وتسليم الرجلين الى الزغل . فأحضرت الزغل وسلمت الرجلين اليه وقلت له تقبل رأيي ؟ فقال قل : فقلت قد بلغت ما تريد فأحسن في الامر ما قدرت . فقال ياسيدي هذا ابطال العمل ولا بد من تقويمهما فجهدت به في الاحسان فلم يفعل وانفذ الرجلين الى باب عبيد الله فضرهما عليه كل واحد منهما عشرين مقرة وصفع الوكيل بعد الضرب خمسين صفة واستخرج الدراهم ومضت السنون على هذا وفرج الله عن عبيد الله وتقلد الوزارة فاستترت لاجل اختصاصي باسما عيل الوزير وما التزم من جهته . وقبض عبيد الله على الزغل وكان اول من صودر من اسباب اسماعيل وعومل من المكاره بما لم يسمع باعظم منه . ولم يتصرف في ايام عبيد الله الى ان مات وهو يتصدق (٢) واستترت انا اياماً فلم يمرض عبيد الله لطلي ولا شيء من داري وضيعتي

(١) لعله : اطمعني . م ، ع : الاظهر ما في الاصل لان المراد اظهار اليأس من القدرة على مكافأته . لا التعجب من الطمع في المكافاة .

(٢) م ، ع : تصدق بمعنى سأل ومعنى اعطى وانكر الاصمعي وغيره كونها بمعنى سأل .

ولا لاهلي ولا معاملي فأنست بذلك وكتبت اليه بمد ذلك أسأل الامان
فأمتني فحضرت مجلسه وهو حافل بالناس وبين يديه الخلق من اصحاب
الدواوين والقواد . فحين رأي قام اليّ قياماً تاماً فقبّلت رجليه وقلت قياتني (١)
الوزير أطل الله بقاءه وليس هذا محلي . فقال ولم ؟ ما يفني قيامي لك بقيامك
لي لانك قتلتني في وقت عرضت بقيامك لي نفسك ودمك ونعمتك وحالك
لذلك العدو لله . وعاملتني بما لف (٢) به شكري ولك كلما تحبه عدي ولن
ياحقك سوء في مالك ولا غيره قال ولبج به المعتضد في مصادرتي وهو يدفعه
عني ويقول له اشياء يدفع بها عني لا اصل لها منها انه قال له هذا قد صدره
اسماعيل في ايام تصرفه معه دفعات وافقره على سبيل القرض وكانت له
نفقات عظيمة ومروءة وهو مع هذا عفيف لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه
ولا حال له فيصادر ولا طريق عليه . قال والمعتضد يلح فقال لي عبيد الله
ليس لك الا ان تبعد عن المعتضد حتى ينساك . فقلت الامر للوزير فقلدني
الخراج والضياع بقم وكتب الى صاحب المعونة يخدمني واخرجني على امر
يمظم . وطالبه المعتضد بالتزام مصادرتي فأطاد عليه القول . وقال احتجت
الى الاستعانة بكفايته فأنفذته الى قم . فقال فلا بد من الزامه شيئاً هناك
فكتب بالصورة اليّ وألزمي عشرين الف دينار وعدني باخلاصها علي .
فالتزمها ولم يكن القول بها موءثراً في حالي . فلما أدبت منها عشرة آلاف

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولم نجد في معاني قيل ما يلام هذا المقام ولعلها محرفة

عن قيد . من قولهم قيده باحسانه .

«٢» لعله لم يف .

أسقط الباقي . وبسأل المعتضد فيه فحطه عني وماء طاني الى ان مات . فسلمت ونعمتي عليه . وكسبت معه نعمة ثانية انا فيها الى الآن بثمره ذلك الاحسان . وهلك الزغل وبلغ الى الصدقة ومات في الفقر بثمره ذلك الشر .

ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء في سواد واسط : حدثني جماعة منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد ابن سهل بن حامد الواسطي وجده ابو بكر محمد بن سهل كان وجهاً من وجوه الشهود بواسط . ثم تقلد القضاء بها سنين دفعات فأثبت ذلك بخطه محمد بن عبد الله عقيب هذا الكلام : شاهدت على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون (١) قرية من قرى النبط او الاكسر وتعرف بالحراوقله (٢) فيها آثار قديمة من بنايا جبر وجص وفيها قبة قائمة كالهيكل كانت قديماً وتمثال رجل من حجر اسود امس عظيم الخلق يعرف عند اهل ذلك الصقع بابي اسحاق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقاً فيذكر اهل الموضع انهم سمعوا اشياخهم يدعونه بذلك على قديم الايام وهذه القرية خراب لا يذكر فيها عمارة قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجلندي كان على حماية المأمون فعمد اليه وشد فيه الجبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعاً من الصحراء فأمسى فتركه في موضعه فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

«١» راجع كتاب المشترك لباقوت الحموي ص ٤١٣ .

«٢» كذا بالاصل : ولعله بالجبر او قلة .

الموضع الذي تركه فيه ون ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الاول وتركه والصرف . ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الجالين يتناوبون عليه حتى أدخله الرصافة . فحضر اهل ذلك الصقع الذي كان فيه يصيحون ويقولون ان هذا يؤنس به في ذلك المكان . وانا نأوي اليه في الليل فنأنس به ويتمتع عنا الوحش اذا كنا نقر به فلا يقربون ما يأوي اليه . فحملوه ثانية حتى رددوه الى موضعه الاول بعد ان بذل لهم الرجال حمله من الرصافة وكان على صدره وعلى ظهره وصتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدري باي قلم هي . وفي هذه البلاد قرية تعرف بقصة نهر الفضل وهي تلهوار (١) بنحو فرسخين «من» تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير وهو كالسرب طوله تسعة اذرع في اذرع (٢) قد غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان أراد اقلاب (٣) هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك : انهم كانوا (٤) كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما أعياء ذلك تركه على حاله . وفي موضع من (٥) الذي في

«١» م ، ع : كذا في الاصل وفي معجم البلدان تل هواره من قرى العراق . ونهر الفضل من نواحي واسط . «٢» م ، ع : كذا في الاصل .

«٣» م ، ع : اقلب بمعنى قلب وهي لغة ضعيفة .

«٤» لعله : لانه كان .

«٥» يابض بالاصل .

ظهر البطائح بين واسط والبصرة مما يلي الطفوف (١) من القبة العتيقة فيه خزانة يقال لها القارة يقال انها من خزائن قارون . طولها اربعون ذراعاً والارض مثله وارتفاعها اكثر من ذلك . مبنية بالقار والحصى والنوى وهي مجموعة الرأس لها باب ولا نقف لها على مدخل وكان رجل من ساكني تلهوار يعرف بعمر النجار أضاف رجلاً من المجتازين واكرمه فأحب ان يكافيه فأعلمه كيف الوصول الى هذه القارة وكتب له بذلك كتاباً أوقفه عليه وقال له تريد ان تستعين برجل كبير وأومى الى خاقان وابي القاسم بن حريط العبدسي (٢) وكانا رئيسي البلد فأعلمهما ذلك فأعدوا له آلة لما يحتاج اليه من الفتح من سرور وآلات حديد وخشب وزبل (٣) وسلاليم (٤) واجرة سفن ورجال وغير ذلك ولزمهما عليها مع مؤن الرجال الوف دراهم كثيرة وأثبتنا (٥) رجالاً كثيرة للحماية لان الموضع تطرقه القرامطة والبوادي ثم أخرجاه ومن معه من الرجال في سفن في البطيحة لان الماء اذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين فمضوا اليها . فحدثنا ابن هذا الرجل المعروف بعمر النجار انه كان مع ابيه في الموضع

«١» م ، ع : الطف ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف طف الفرات اي الشامي موضع بناحية الكوفة والمجمع طفوف . «٢» غير واضح .

«٣» غير واضح . م ، ع : قال باقوت عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة وفي التاج عبدس كمئير علم .

«٤» م ، ع : زبل ككتب جمع زبل كأمير القفة او الوعاء .

«٥» م ، ع : جمع سلم وهو المرقاة .

«٥» م ، ع : كذا في الاصل ولعله بنا اي فرقا ونشرا .

فوافى فمسخ مما يلي مطلع الشمس من هذه القبة اربعين ذراعاً ثم احتفر
الموضع فظهر له حجر عظيم لا يقاله الا الجماعة الكثيرة فلم يزل يحلجل (١)
حوله حتى أخرجه واذا أزج (٢) عظيم. كان ذلك الحجر عليه على بابه ولحقه
المساء فعمل على المباشرة لدخول الازج والوصول الى باب القبة فبات
ليلته ومن معه فلما كان من وجه الصباح حين يبدو الفجر سمعت الجماعة
تكبيراً وضجّة ونظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فناذروها (٣)
ولم يشكوا انها خيل القرامطة وتوجهوا نحو البطيحة والسفن التي لهم هناك
فلم يزالوا كذلك يتعادون الى ان أصبحوا وبان مافي الصحراء مما يحتاجون ان
يروه فلم يروا خيلاً فظنوا انها قد انصرفت عنهم فعادوا راجعين الى مواضعهم
فصادفوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق ووافوا الى مواضعهم
فوجدوا أمتعتهم كما هي : ما فقدوا منها شيئاً . فاحتملوها واحتملوا عمر النجار
وانصرفوا . وقيل انه لم يوجد الحجر ولا أثر الموضع الذي احتفروا . وقد
يجد الناس ممن يجتازون بذلك الموضع او يقصده - دراهم وجواهر حول تلك
الحربات والقبة وقد يأوي الى تلك الحربات النعام وتبيض فيها لحولها وانقطاع
الناس عن الاجتياز بها الا في الحين بعد الحين .

رأيت بواسط شيخاً ذكر لي في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٣ انه قد

(١) م ، ع : يقال حلجل الشيء اذا حركه وأزاله ولعل الاصل يحلجل ما حوله .

(٢) م ، ع : الازج بيت بيني طولاً وقد ذكر علماء اللغة أن القنطرة أزج بيني ويعبر

عليه . (٣) م ، ع : كذا في الاصل ولعله تناذروها اي انذر بعضهم بعضاً وخوفه .

تجاوز الستين سنة وان مولده ومنشأه بالدحب (١) قرية من سواد واسط
وان اباه كان رجلاً من اهل البصرة من بني تميم وفد قديماً الى واسط ثم
استوطن السواد فولد هو فيه ونشأ الى ان بلغ ، فأحب العلم فرجع الى
البصرة وأقام بها وتأدب ثم دخل البادية فأقام بها نحو عشر سنين ولقي الناس
ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرماً وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين
ويلقب بسيدوك . وأخبرني هو قال قال لي ابو محمد المهلبى وقد امتدحتة
لم، وزر : لم تسميت بسيدوك ؟ قال قلت لانه اسم رئيس الجن وانا رئيس
النعمراء . قال فقال لي أفتردي لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم ؟
قات لا قال . بلغني انه انما سمي بذلك لان في الجن قبيلة يقال لها هلوك (٢)
وهو سيدها فاستثقلوا ان يقواوا سيد هلوك (٣) فحففوها فقالوا سيدوك
والرجل كان يكنى ابا طاهر واسمه عبد العزيز بن حامد بن الحضرمي علي
ما أخبرني .

وحدثني (٤) قال كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب
فرماني بنارنجة نصفها أصفر ونصفها أخضر . وقال لي قل في هذه شيئاً . فقلت
في الحال :

وطية النشر مسكية مرصعة بالتحايا (٥) المذاب

فأصفر في اوز شمس المسا واخضر في لون قوس السحاب

(١) لعله : بالرحب . (٢) بالاصل يقال لهلوك .

(٣) بالاصل سيدوك . (٤) بدائع البدائة لابن ظافر ٢ : ٢٢ .

(٥) في البدائع بالسجاية .

فلون ككوجنة مرعوبة ولون كاثّر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر (١) الحبيب وذلك كعامل صرف الشراب
وأنشدني لنفسه ايضاً :

شربت حلاوة عيش الصبي وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم اكره مما أغتدى خضابك مستهتر آمن خضابي (٢)
ولا شيء أعجب مما التقى نصول الخضابين يوم العتاب
اشارت الى قصص محذقات بالوان نيلوفرات طياب
وأنشدني لنفسه :

ارى قسمة الارزاق أعجب قسمة كذي رعة (٣) مثر ومكذب الكد
فاحق ذو مال واحق معدم وعقل بلا حظ وعقل به (٤) جد
يغم الغنى والفقر ذا الجهل والحجى والله من قبل الامور ومن بعد
وأنشدني لنفسه :

أظن بلية دهمت فؤادي وأحسبها غزال بني سليم
والا لم بقيت - فيعتريني بداءه ضائم من غير ضم
ولم عيني اذا فقدته كانت كعين الشمس اذ غطيت بغم

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله قال كنت مع ابراهيم
ابن نافع العقيلي المزوف بابن البارد الطوق وبعض العرب (٥) يباري الطوق

«١» في البدائع : خد . «٢» م ، ع كذا في الاصل . «٣» م ، ع كذا في الاصل والرعة
حسن الهيئة . والاولى ان تكون دعة بالبدال . وهي السعة في العيش والراحة . او هي
الرعة بكسر الراء الماشية الراعية . «٤» بالاصل بدي . «٥» لعله سقط : يسميه .

وكانت العامة تسميه ابن البارد الطوق . وخبروني انه سمي بذلك ابوه لانه ضرب رجلاً في عنقه طوق فبراهما (١) بالضربة قال وكان ابو اسحاق بن البارد هذا اذذاك امير نهر الايسر الذي بين رستاق البصرة والاهواز (٢) وهو اذ ذلك يلهمها من قبل معز الدولة . فورد عليه رجل قد هرب من القرامطة من بني عقيل يعرف بمختار بن فرناس وكان من حي ابراهيم من بني معاوية بن حزن . وكان في عنق المختار هذا طوق فضة . وكان سبب هربه على ما سمعت خلقاً من بني عقيل يخبرون بذلك اذ ذلك انه قتل اخاه وابن عمه لاجل ضيف أضافه وذلك انه كان مع الضيف مال صامت (٣) فأعمل اخوه على الغدر بالضيف واخذ المال منه فأعلم المختار بذلك (و) منعه واقتل بالسيوف فقتل اخاه فجاء ابن عمه يلومه وتخطبها الى ان تجاذبا السيوف وتخطبها فقتل ابن عمه ايضاً وسكن من نفس الضيف حتى لا يذعر ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة فمرقب فرسه وذبحه واشتوى من لحمه واوقده حتى اصطلى به الضيف . فلما أصبح وارتحل الضيف خاف ان يبلغ القرامطة خبره فيأمر المريف باخذه واسلامه الى المحنة فهرب الى ابراهيم . فرأيت رسول القرامطة قد جاء الى ابراهيم فأخذه على صلح وامان ورجع الى حيه . ثم بلغنا انهم محنوه بعد ذلك تأديباً له . فما سمع برجل في زماننا من اهل البادية أشجع ولا أكرم ولا أدب منه ، والمحنة عند القرامطة انهم

(١) م ، ع : كذا في الاصل . وعليه يعود الضمير على العنق لانها قد تؤنث .

وفي بري العنق بري للطوق . (٢) في معجم البلدان : كورة ورستاق بين الاهواز

وبصرة . (٣) م ، ع : الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الابل .

اذا تقموا على رجل استدعوه من حيه الى الاحسا بلدهم فطرحوه : امامقيداً
يكدي في البلد او سائساً للخييل او راعياً للغنم او الابل او ضربوه وجددوا
عليه في كل يوم لوناً من العقاب . ولا يزال عندهم حولاً واكثر وربما
طابقوه بالوان آخر فجميع ما يعملونه من التأديب يسمونه محنة .

انشدني ابو القاسم لنفسه :

اصدع صدر الرمح في صدر فارس واوقد ما يبقى من الرمح للضيف
واقطع سيفي في الطلي ثم انثني فاذبح عيري (١) بالبقية من سيفي
واني اصيف في الشتاء اذا آتى واني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابة وقلب الوغى ناب عن الضيم والحيف

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى
ابن زكريا بن شيرزاد قال لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الحال مع
مونس ونصر والقواد لمحاربة القرمطي حين وافى من زبارا (٢) عرضنا
الجيش لانه كان ديوان المرض الى صاحبي ابن الحال وكنت اكتب عليه
وعلى امره كله فأمره المقتدر بمرض الجيش بزبارا لثلا يكون قد اخلى (٣)
ممن جرد الى الحرب احد فتقدم الي ابن الحال بذلك فمرضهم فكانت
العسدة من سائر الفرسان والرجالة مع من جرد من الحجرية وخدم الدار

١ م ، ع : كذا في الاصل والغير بفتح العين الحمار الوحشي وبالكسر الابل .

٢ م ، ع : قال ياقوت في معجم البلدان زبارا موضع اطلنه من نواحي الكوفة

ذكر في قتال القرامطة ايام المقتدر ولم يضبطه . ٣ م ، ع : اخلى الرجل انفرد واخلاه
غيره ولعله خلى اي ترك .

أثنى وخمسين ألف رجل مرتزقواً واحداً وخمسين. الشك من ابن شيرزاد وهذا سوى من تبعهم ممن لا رزق له على السلطان وإنما رزقه على صاحبه . قال أبو جعفر وكان قد تخلف ببغداد نازوك وعسكره برسمه وورسم الشرطة سبعة آلاف فارس وراجل وبقي في دار الخليفة ممن لم يخرج ألف غلام من الحجرية وألف خادم (١) أقل أو أكثر ممن ترك لحراسة الدار وهذه العدة سوى من كان في النواحي من الشجن (٢) إلا من استدعي ممن كان في السواد لمعاونة بغداد مثل طريق خراسان وطريق دجلة وسقي الفرات وهذه النواحي القريبة .

حدثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي قال كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير بالموصل فحملوني إلى حي لهم بالبادية على أيام منها فأقمت في الحي شهوراً فكنت يوماً جالساً فرأيت فتى بدوياً يسمى بعساف حدث (٣) السن حسن الوجه راكباً . فقال لي صاحب البيت هذا رجل من بني نمير وهو جار لنا وهو شاعر فيجب أن تسمع من شعره ، فقات نم : فسأله النزول فنزل وذاكرته بالشعر فوجدته كثير الرواية لاشعار البادية في زمانه فما انشدني بيتاً اعرفه ولا نسب شيئاً مما انشده إلى شاعر اعرفه : متأخر أو متقدم ووجدته لا يلحن البتة . وانشدني شيئاً كثيراً

«١» م ، ع : كذا في الأصل ولعله أو أقل الخ . «٢» م ، ع : الشحنة ممن فيه الكفاية لضبط البلد أو الكورة من جهة السلطان والرابطة من الخيل .

«٣» م ، ع : جمهور اللغويين يقولون حدث فإن ذكرت السن قالوا حديث السن ونقل عن ابن سيده حدث السن وحديثها .

فماق بحفظي من ذلك قصيدة استعدته اياها دفعات حتى حفظتها وقد شذ
عني منها ابيات . قال وكان هذا في سنة ٣٣٦ واسم الشاعر عساف النميري .
قال ولا اعرف اسم ابيه ولا نسبه . والقصيدة :

نظرت واعلام السرية دوننا	بمئي فتى صب يرى الهجر مفرما
واشرف ركب يهلك الطرف دونه	يظل به الحبشية (١) الحو جثما
واكرهت طرف العين حتى كأتني (٢)	ارى بفضاء الارض سترأ منهما
اذا القوم قالوا اصح شيء (٣) حسبته	اصم وعن رد المشورة اعجما
دعاهن من نجد لحوران بعدما	رمين بسهم الحب قلباً متيما
تعرض (٤) لي يوم اللوى عن مشورة	واودعن في ذات الوشاحين مرثما (٥)
وقان اقتلنه (٦) يا مليح فانه	متى مارمى كانت مراميه (٧) حذما
دماء الغواني عند ذا مستحلة	فان نرم رشقاً (٨) نلق سهماً مسهما
فابتد على اللبات وحفاً (٩) كأنه	عنا قيد عذاب تفرعن سلما

«١» م ، ع : الحبشية ضرب من النمل سود عظام . واخو السود . ومن النمل نمل
حمر يقال لها نمل سليمان وجثم جمع جاثم اي لا بد . والمعنى انه يتراءى له من كثرة تحديقته
في الركب خيالات نمل اسود بينه وبين الركب . «٢» بالاصل كانا . «٣» بالاصل سا .
م ، ع الصواب صح شيئاً وهو اقرب الى ما في الاصل . والمراد انه صح قليلاً من عشقه .
«٤» لعله تعرضن . «٥» م ، ع كذا في الاصل والظاهر انه محرف عن مزعم اي
مطمع . يقال زعم في غير مزعم . طمع في غير مطعم . اي انهن اودعن فيها طمعهن
وثقهن في ان تكون هي العاملة على قتله . «٦» م ، ع كذا في الاصل والظاهر اقتليه
يا مليحة . «٧» م ، ع المرامي جمع مرماة وهي السهم وحذما قاطعات . «٨» م ، ع يقال
رموا رشقاً واحداً اي وجهاً واحداً بجميع سهامهم . «٩» م ، ع الوجد الشبر الكثير
الحسن الاسود .

وجيداً كجمار «١» الفسيلة بزه من الليف جانبه وكان مكرماً
وعبتي غضيض الطرف من جدل (٢) المها نكيل المآقي قرنه حين كتما
وابيض براق الغروب (٣) كأنه حصي برد همت به ان تبسما
قالت انا سعدى تبدلت بيننا صدوداً ومحمود العشيرة ضيفما
فقلت هنيئاً ذاك شيء يسرني غناها وان تلقى من العيش انما
ولكن سليني عن حراجيج (٤) ضمير سواهم (٥) يحذفن (٦) السريح المخدما
وخرق (٧) كأن البق (٨) يلدغ دفا اذا المعجب الساري عاينها ترنا
وعن فتية شعث اللمام (٩) رمى بهم هوي (١٠) المطايا مخرما (١١) ثم مخرما
سروا لست نار هوين (١٢) وكلهم من البرد ما يبدي البنان المبكما
فلما اتونا جانب الحي عرسوا غرائي وما ذاقوا من الامس مطعمما

«١» م، ع : الجمار شحم النخل . والفسيلة النخلة الصغيرة . «٢» م، ع : جمع جادل وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها اذا قوي وتبع امه وكم اي طلع من كمات النخلة اخرجت كأمها وهو زعاء الطلع وغطاء النور . «٣» م، ع : جمع غرب وهو الماء الذي يجري على الأسنان . «٤» م، ع : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الارض . «٥» م، ع : جمع ساهمة وهي الضامرة المتغيرة . «٦» م، ع : كذا في الاصل والصواب يحذفن السريح المخدما . والسريح جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها اخفاف الابل . والسريح الخدم هو المشدود الى الخدمة وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير قال الاعشى : (وطايفن مشياً في السريح الخدم)

«٧» م، ع : كذا في الاصل والصواب وحرف : وهي الناقة الشديدة ودفا جنبها او صفحة جنبها . «٨» م، ع : البق عظام البعوض . «٩» م، ع : جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . «١٠» م، ع : اي سرعة . «١١» م، ع : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل والرمل . «١٢» م، ع : هويا .

فجئتهم قبل القرى وقريتهم قري لم يكن نزراً ولم يأت مغنماً
 وماء قديم قد مضى دون عهده لواردته عشرون حولاً متمماً
 وعن شرب (١) شعث النواصي كأنها سراحين يحملان الوشيح المقومتما
 عليهم منا كل اروع ماجد كريم اذا عارض (٢) الموت اوسماً (٣)
 اخو حملات يعلم القوم انه ضروب بنصل السيف ضرباً غشمشياً (٤)
 لحقت بهم جمع القطامي بعدما دنا من يسير (٥) الصبح ان يتسككاً
 غداة التقينا لا سفيرة بيننا سوى مخلصات (٦) تترك الهام اقمماً (٧)
 يكر عليهم مخطفات (٨) كأنها صقور المضري كان للصيد مطعماً
 كأن على المشوين (٩) منا ومنهم عما ثم تسقى حالك اللون عندما
 سلو قرن مدفوع (١٠) فقد كان شاهداً غداة التقينا ايناً كان اكرماً
 للبحث صالة

١، م، ع : اي ضمير . ٢، م، ع : العارض السحاب المعترض في الافق .
 ٣، م، ع : كذا في الاصل وصوابه اوشم ومن قولهم اوشمت السماء بدا منها برق
 واوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً قال الشاعر : (حتى اذا ما أوشم الرواعد)
 ٤، م، ع : رجل غشمشم جري، ماض لا يثنيه شيء عما يريد ، ويقال ضرب غشمشم
 ومنه قول القحيف بن عمير :

لقد لقيت افناء بكر بن وائل وهزان بالبطحاء ضرباً غشمشياً

٥، م، ع : كذا في الاصل . والصواب بشير الصبح اي المبشر به .

٦، م، ع : اي سيوف اخلصت اي جعلت خالصة قال الحصين بن الحمام

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطر دأ من نسج داود مبهماً

٧، م، ع : الاقيم الذي اصابه داء فقتله . ٨، م، ع : ضوامر . ٩، م، ع : يقال

أشوى الرجل اذا اصاب شواه وهي جلدة الرأس . واليدان والرجلان . والاول هو

المراد . ١٠، لعله مدفوع .

الاستاذ جبر ضومط



أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بيروت الأميركية واحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق توفاه الله ليلة الاحد الواقع في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ في الثانية والسبعين من عمره بعد ان جامد في خدمة العلم والادب واللغة العربية اربعاً وخمسين سنة ، وقد أقيمت له جنازة مهيبه وسير بنعشه مرفوعاً على اكف تلاميذه وعارفي فضله الى منلدى الجامعة الكبير حيث صلي عليه ، ثم نقل الى سوق الغرب يشيعه موكب عظيم من زملائه وأصدقائه وتلاميذه ودُفن بكل احترام في مدفن أسرته .

(نشأته) — كانت ولادة الاستاذ جبر ضومط في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٩ في برج صافينا من اعمال طرابلس الشام من اهل بن فاضلين ولكنه مالبت ان مئني بفقد والده وهو في الثانية من عمره فقامت والدته بتربيته وأحسنات فيما مع انه كان وحيداً لها . تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الاميركان - في مسقط رأسه ثم انتقل

منها الى مدرسة عبيه العالية ١٨٧٠ ودرس فيها سنتين متواليتين استعداداً لدخول المدرسة الكلية في بيروت وفي سنة ١٨٧٢ التحق بالقسم العلمي من هذه الكلية (بكلية العلوم والآداب) ونال رتبة بكالوريوس علوم ١٨٧٦ وكان ممتازاً بقوة عقله ومقدرته على حل المسائل الرياضية .

(حياته التعليمية) — بعد ان أحوز البكالوريا فقد حرص وعلم في مدرسة المرسلين الاميركية نحو نصف سنة ثم انتقل منها الى طرابلس الشام ونولي التدريس في مدرستي الاميركان العاليتين فيها مدة ثماني سنوات كان في خلالها يطالع مؤلفات الفيلسوفين هربوت سبنسر وشارلس دارون وقد نشرت بعض مقالاته في ذلك العهد مجلة المقتطف والنشرة الاسبوعية في بيروت .

(أسفاره وأعماله فيها) — وكأنه سئم التدريس المتواصل وهو لا يزال في لبنان شبابه وعنفوان طموحه فغادر طرابلس في سنة ١٨٨٤ الى الاسكندرية واشتغل مدة في إدارة جريدة المحروسة وترجم لها كتاب دفاع عن عرابي باشا لحام انكليزي . ثم برحها الى مصر وكانت بريطانيا العظمى في حاجة الى تراجمة للحملة السودانية التي عباها لانقاذ غردون باشا فتطوع الاستاذ ضومط مع صديقه جرجي زيدان لهذه الخدمة وعينا ترجمائين في تلك الحملة وصحبهما الى السودان وعادا في العام التالي بعد ان عانيا من اختبارات الحملات العسكرية وأهوالها ما عانياه — وما بقي اثره بليغاً في نفس الاستاذ ضومط أورثه الكره الشديد للسياسة الاستعمارية كل ايام حياته .

وأقام الصديقان جبرضومط وجرجي زيدان في بيروت بدرسان العبرانية والسريانية استعداداً للاشتغال في إحدى جامعات اوربا . وسافرا الى انكلترا وأقاما في لندن مدة من الزمن يترددان الى المتحف البريطاني والى بعض مكاتب لندن الشهيرة . اما الاستاذ ضومط فقد كان من نتائج درسه لاثني اللسانين انه وضع باكورة مؤلفاته كتاب « خواطر في اللغة » ثم عاد الصديقان الى الوطن للعمل بين اخوانهم .

(استئناف الخطة التعليمية) — كان الاستاذ ضومط قبل سفره الى بلاد الانكليز قد علم في مدرسة كفتين العالية للروم الارثوذكس بضعة اشهر فلما آب من سفره عاد الى وظيفة التعليم في هذه المدرسة ولازمها ثلاثة أعوام حتى انتدبته الكلية السورية

الانجليزية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) لادارة الدروس العربية فيها وكان ذلك سنة ١٨٨٩ على اثر استقالة سلفه الاستاذ المهندس يوسف افتيموس . وقام الاستاذ ضومط بادارة الدروس وأعباء التعليم والتهديب خبير قيام مع ما كانت بلاقيه مدرسو العربية من مشكلات الهمم سواء أكان ذلك من اولياء الطلبة ام من الحكومة الحميدية في ذلك العهد .

وقدرت الكلية مواهبه العقلية وجهوده في التعليم فحنته رتبة معلم علوم سنة ١٩٠١ ورفعت مقامه الى كرمي أستاذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩ على اثر اعلان الدستور وثبته الحياة القومية في السلطنة العثمانية .

(مؤلفاته) — ومما يدل على مقدرة الاستاذ ضومط العقلية واجتهاده العلمي مع انه كان يلقي الدروس العربية بنفسه على الصفوف العالية ويقوم بالواجبات المدرسية المتعددة وكان رب أسرة كبيرة — فانه تمكن مع كل ذلك من وضع المؤلفات القيمة في الموضوعات التي درسها .

كانت باكورة مؤلفاته خواطرها في اللغة — الكتاب الذي طبعه بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦ وقد تناول فيه اكثر المبادئ التي سارت عليها اللغة في نشوئها . قال الدكتور بعقوب صروف (في المقالة التي أعدها قبيل وفاته لتتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذهبي) « المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قل منهم من يُبقي أثراً يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومئتي سنة الى الآن يعدون بالمئات او الالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيديويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وأمثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو . ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من يبحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصاريفها . فأننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعد بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنحت في كلماتها حتى بلغت مابلغته . وهذا شأن العربية — ولكني لا أعلم ان احداً أطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع لمعرفة العبرانية والسريانية . . .

ولو عرف الحميربة والحديثية لژاد توسعا في البحث وكشفاً للغوامض . فهو مثل ورنر وآيل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك ودارون في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعضها، ومثل مندل في كشف تاموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء . . . فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون منضلعاً من العربية والسريانية ومن الحميربة والحديثية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيحيط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية ؟ » .

وألف كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيانات وطبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٨٩٦ ونحاً في تأليفه نحواً جديداً يلائم حال الطلبة في هذا العصر وما هم عليه من تعدد الدروس اليومية وانقلاب نسق التدريس من مجرد سماع شرح الاستاذ الى أمثلة معينة يكلفون درسها بانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني . وقد أكثر من الأمثلة والايضاحات والاعادات على ما يقتضيه الاسلوب التعليمي لكي يقرب لافهام الطلبة ما كان بعيد المنال عليهم .

ثم لم يلبث ان أردف كتاب الخواطر الحسان بكتاب فلسفة البلاغة وطبعه بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ وقد حاول في هذا المؤلف ان يقرر المبدأ العام الذي تنتهي اليه كل قواعد البلاغة وتتشعب عنه جميع فروعها وضوابطها الكثيرة وهو الاقتصار على انتباه السامع وعلى التأثير فيه .

وكانت الحاجة ماسة الى مؤلف جديد في علم النحو فنشط الاستاذ ضومط لسد هذه الحاجة ووضع كتاب الخواطر العرب في النحو والاعراب وطبعته المطبعة الادبية في بيروت . وقد أراد به ان يكون لفهم الطالب أكثر مما هو لحفظه ولتنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة به . وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيها يحتاج فيه الى العقل فهي مما لا يعتمد به .

ومما يدل على ما أحرز كتاب الخواطر العرب من المكانة عند أئمة اللغة كتاب بحث به الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبيد مفتي الديار المصرية قال فيه يخاطب

الاستاذ ضومط — « قصرت في الاسراع الى شكرك لما أتيحت به اهل لغتك من ذلك الكتاب الذي تجلى فيه ذكاؤك واعتدال رأيك في أحسن صورة — كتاب لم تفتك فيه فضيلة الابداع ، ولم تنقصك مزينة حسن الاتباع . اقتنيت اثر سلفك سيفي تجويد الرأي واحترام مقام العقل ، فلم يهبط بك التقليد الى ما يحبط بالعمل و يسقط من قيمة الكد في الجد . ثم ابتدعت في تركيب كتابك على ما هو أقرب الى الفهم وأدنى الى التقريب من حقيقة العلم . . . جزاك الله عن نفسك خير ما يجزى به عامل عن عمله ، وجزاك عن اهل لغتك أفضل ما يجزى به محسن عن احسانه » .

وكان كاتب هذه الرسالة بدرّس علم الصرف في الدائرة الاستعمارية من المدرسة الكلية في ذلك العهد وكان الاستاذ ضومط لا يزال ينوي تجميع مؤلفاته في علوم اللغة فاتفقنا على وضع كتاب « فك التقليد » في علم الصرف وطبعناه في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ وقد قلنا في مقدمته اننا نطاولنا فيه الى الدعوى اننا مجتهدون لم نتبع ولم نقلد . وسواء أصبحت هذه الدعوى ام لم تصح فاننا ننبه بها كثيرين الى ان الاجتهاد في هذا الفن لم يزل بابه مفتوحاً لكل مؤلف . وحسبنا ان ننبه الخواطر الى هذه الحقيقة الراهنة ، فان اكثير الطلبة والمدرسين ان لم نقل كلهم يؤخذ من ظاهراً احوالهم انهم يعدون علم الصرف من العلوم التي أغلق فيها باب الاجتهاد فما كتب فقد كُتب لا يجوز لمؤلف ان يتطاول الى خلاقه . وفي هذا ما فيه من جمود الفكر وجمود لغتنا العربية الشريفة على ما كانت عليه في علم أفراد قلائل منذ بضع مئات من السنين الى الآن » .

وكان آخر ما نشره الاستاذ ضومط بحث في من هو كاتب سفر التكوين وأجاب على سؤاله هذا بقوله هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لا موسى الحكيم — بانيارأبه هذا على ما استنتج من درس اسفار العهد القديم ولا سيما الاسفار الخمسة ونقد سفر التكوين وتحليله باعتبار ان يوسف كاتبه لا موسى .

وقد جمعت المقالات التي نشرها الاستاذ ضومط في مجلتي المقتطف والهلل و طبعت معاً في كتاب واحد بمطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ تحت عنوان فلسفة اللغة العربية وتطورها .

(تقاعده عن التدريس ويوبله الذهبي) — وفي سنة ١٩٢٢ تقاعد الاستاذ ضومط

بن اعمال التدريس فأطلقت عليه عمدة الجامعة لقب أستاذ شرف للغة العربية . وفي
أواخر نيسان سنة ١٩٢٨ احتفل تلاميذه واصدقاؤه الكثيرون ببوبله الذهبي . اقاموا
الحفلة في منتدى الجامعة الاكبر وشهدا جمهور عظيم من وجوه بيروت وادباؤها وفلاستها
بنقدمهم رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومتها . وتكلم في الحفلة فريق من زملاء
الاستاذ وتلاميذه وتليت رسائل وبرقيات التهنئة من الكثيرين ممن لم يتمكنوا من حضور
الحفلة . وناب عن المجمع العلمي العربي في دمشق الاستاذ فارس بك الخوري . ومما زاد
في رونق ذلك البوبل ان نخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قام في مستهل الحفلة وعلق على
صدر الاستاذ ضومط وسام الاستحقاق اللبناني وقد اهدت اليه ايضا رئاسة حكومة سورية
الجليلة وسام الاستحقاق السوري .

(اخلاقه وصفاته العلمية) — تحلّى الاستاذ ضومط بصفات المعلم الصالح — امثلك
ناصية الموضوعات التي كان يدرسها بما خصه الله من قوى العقل الثاقب ومن الجهد في
الاكباب على الدرس والنقضي في المسائل التي كانت يعالجها . اكنسب محبة تلاميذه
واحترامهم بغزارة علمه وكرم اخلاقه — بلطفه في معاملتهم واخلاصه في ارشادهم وقد
كان يجرهم مجرى بنيه . اختط لنفسه أسلوباً جديداً في التعليم وحسب الى تلاميذه
درس العلوم العربية على صعوبتها . كان مع جراته العلمية وديعاً متواضعاً بعيداً عن
الدعوى لا يغمط حق زميل او يحاول الخط من كرامته اذا تحدث عنه . كان ذا شخصية
محترمة عالماً عاملاً بعلمه لا يكذب قوله فعله . وفوق هذا كله كان شديد الوطنية يحض
الناس على التثبث بكل ما يعزز الوطن ويحفظ بقوماته الادبية والاقتصادية والاخلاقية .
وان في كثير من خطبه العمومية ومن المقالات التي نشرت في المجلات ما يؤيد ذلك .
هذا غيض من فيض مما يجب ان يقال في أستاذنا الفقيه الخالد الذكروني ما خلف
بعده من الاثر الباقي والسيرة الصالحة .

بيروت : بولس الخولي
عضو المجمع العلمي العربي

نجوى آدم

رمت يا آدم أبداً ما أحيط بها
رمت به في عراء كله عجب
اني نلت لم تأخذ نواظره
شمس تضاحك من طياء هامتها
وأنجم في كفاف الأفق لاهية
فقال آدم : ما للشمس باسمه
فما الذي في مجال الطرف يطربني
أم نظرة من رفيف الفجر ناعسة
أم نفثة من شفاء الورد ناعمة
أم موجة في عصف الريح صاخبة
أم هبة من نسيم البان اينة
هواي في شبح نشوان من مراح
أعطيه حيي و يعطيني محبتيه
نشدو قوافي الهوى في ظل الفشا

عن عالم مانج الظلما غريب
فخار آدم في تلك الأعاجيب
الأتحاسين من شتى الأساليب
روضاً يبدد برمان التعاشيب
في أفقها بين تشريق وتغريب
هيهات مائة صنت نجوي وتعذبي
أصحوه الجو أم وفق الشايب
كانها غمزة من عين محبوب
كانها فرجة عن صدر مكروب
كانها غصبة في وجه مغضوب
لناعم الخلد في صبح وتأويب
ألهوبه في دجى ليلى وبلهوبي
ندوب في مثل في الحب مفروب
حياتنا في الهوى شعر المنايب

وبينا آدم في خلوة قلبي
يبعد الغم عنه او يقربه
أذروح حواء في عطفه وامضة
فيها من العالم المجهول أمثلة
فقال آدم لما حاج هاتجه
ما الموج ما الفجر ما الريحان من أربي
فما نفث هذا الورد في سحر

في جاحم من أجمع الغم مشبوب
حيران في بعده عنه وثقريب
العوبة العين ، ويحاً للأعيب
من كل فن وفيها كل أسلوب
مرحبا بسناها اي ترحيب
لولاك لم ألق للريحان من طيب
الا ليقترب عنه ثغر رعبوب

يا دمية حجبت عني محاسنها	حتى تذوقتُ حسناً غير محبوب
كأنما وهبتك الشمس رونقها	يا خير موهبة في خير موهوب
ألقت شعاعاً على عينيك مؤثلقاً	بريق عينيك مأمولي ومرهوبي
هذي الروائع فيها الحس منقذ	إذا نعمتُ فلم أنعم به كذوب
غداً كصفوح اليم ماثية	تكاد تلع في سود الغرايب
وبسمة كحنيف الروض مائدة	تحنو على الجرب الاشجان مشجوب
حتى تسل من الملهوف لفته	فلست نلتى عليه ظل نقطيب

ميهات ماملات عيني ولا أذني عوالم حسها حس الأناصيب
 شقيق جبري
 عضو المجمع الملحي



آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع

« من كتاب نهاية الأرب »

نشرت مجلة المجمع العلمي في عددها السابع من أعداد سنة ١٩٢٩ فصلاً^(١) ممتعاً للاستاذ المغربي عن تصحيح الجزء السابع من كتاب نهاية الأرب الذي تقوم بنشره دار الكتب المصرية ، وقد أورد الاستاذ في هذا الفصل طائفة من عبارات هذا الجزء وذكر ان التغيير في بعضها صواب ، وفي البعض الآخر أصوب ، ونحن مع شكرنا الخالص لحسن جهاده وفضل اجتهاده ، نرى ان نبين له وللقراء والادباء وجهة نظرنا في هذه العبارات التي اعتبرها خطأ واعتبرناها نحن صواباً خدمة للعلم وتحقيقاً للبحث :

(١) - جاء في ص ٣ س ٥ من هذا الجزء (اني صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلاء ، وأخرس الفصحاء ، وفلحد المؤرخين) ٥٨ . وقد أراد المؤلف بقوله : (وفلحد المؤرخين) انه قد ذكر في القرآن من انباء القرون الاولى ، وقصص الانبياء والرسل الماضين ، وأحوال الامم السالفة ما لا علم به للقصاص وأصحاب الاخبار من علماء الاديان الأخرى الذين كانوا في هذا العصر ولم يمكنهم الوصول الى معرفته قبل القرآن ، وقد عد الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الانباء والقصص من وجوه الإعجاز في كتابه ، ودليلاً من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى في سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

ذلك ما فهمناه من كلمة : « المؤرخين » في عبارة المؤلف ، وذكر الاستاذ ان صواب

(١) نشرت هذا الفصل في مجلد السنة التاسعة (ص ٣٨٥) وفيه ٦٤ تصحيحاً وقد ناقشني الاستاذ صاحب هذا المقال في صحة نصفها وسكت عن البساق . ولم أر لزوماً لاعادة القول فيما ناقشني فيه لظهور امره .

« المغربي »

العبارة : (وفلّ حد المعارضين) واحتج لذلك (بانه لم يكن في بلاد العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخون) اهـ . ونحن نقول : ان الذي كان غير معروف في بلاد العرب انما هي التسمية بالمؤرخين فقط لأنها تسمية ظهرت في العصور الحديثة ، اما العلم بمسمى التاريخ وهو القصص والأخبار فذلك كان معروفاً لديهم ، شائماً بين علماء الأديان في هذا العهد ، ويدل على ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه حكايته عن الكفار في تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (وقالوا أساطير الاولين اكتبناها فهي قمل على بكرة وأصيل) وإذن فلا نرى مقتضياً لتخبر كلمة (المؤرخين) الموجودة في الأصل (بالمعارضين) مع ظهور المعنى السابق وبعد الثانية في رسم الحروف من الاولى وان كان المعنى يستقيم بها ايضاً .

(٢) - وجاء في (ص ١٩ س ٦) بعد ان أورد المؤلف قوله تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) قال : (فوصف نفسه تعالى جدّه بان علم بالقلم كما وصف به نفسه بالكرم) اهـ كلام المؤلف ويريد بهذه العبارة انه كما وصف نفسه تعالى بالتعليم بالقلم وصف نفسه بسبب ذلك التعليم بانه كريم ، فالباء في قوله : « به » للسببية والماء ضمير يعود على التعليم بالقلم ، وإذن فقوله : (به) غير زائد ولا حشو وليس من العوالب إسقاطه كما رآه الاستاذ ، بل لو أسقط لضاع بذلك معنى في العبارة لا يؤدي الا به .

(٣) - وجاء في (ص ١٩ س ٦) (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) قال الاستاذ : صوابه : (واعتدّ ذلك) بإسقاط باء الجر . واحتج لذلك بان (اعتدّ) هنا بمعنى (عدّ) وهو (يتعدى بنفسه) اهـ كلام الاستاذ : وأقول : ورد في المصباح المنير انه يقال : اعتدّدت بالشئ على افتعلت ، اي ادخلته في العدّ والحساب ، والشئ معتد به ، اي محسوب غير ماقط اهـ كلام المصباح ، وعلى هذا فإثبات الباء في قوله : (بذلك) صحيح لا خطأ فيه ، لان اعتدّ كما يتعدى بنفسه يتعدى كذلك بالحرف .

(٤) - وجاء في (ص ١٩ س ١١) في ذكر الدواة وما يجب على الكاتب من اصلاحها ، قال : (فليتم ربها واصلاحها) اهـ . وقوله : (ربها) بالباء الموحدة يحتمل معنيين اولهما انه مصدر قولهم : رب فلان الامر اذا أصله وأحسن القيام عليه ، يريد انه يجب على الكاتب ان يتعمد دواته ويحسن القيام عليها بسائر ضروريات التحسين ، وإذن فيكون

عطف الاصلاح عليه من قبيل عطف التفسير وثاني المعنيين ان المراد بالرب هنا : التطبيب يقال : رب فلان الدهن اذا طيبه ، وقد كان بعض الكتاب كالحسن بن سهل وغيره يطيبون دوائهم بالمسك وغيره من انواع الطيب وعلى هذا فقوله (رباتها) صحيح لا بعد فيه ولا تكلف ولا ينبغي لنا ان نغيره الى ما اختاره الاستاذ من اثباتها بالياء المثناة لتجنية مادام الاصل مستقيماً .

(٥) — وجاء في (ص ٢٥ س ٢) في صفة الاقلام : (نفصح باود القدود) اه . ذكر الاستاذ ان صوابه (نفصح اود) الخ ونقول انه يريد بقوله (نفصح باود القدود) ان هذه الاقلام تحاكي القدود محاكاة تامة حتى كأنها تدبر عنها تعبيراً فصيحاً ان يراها وهذا أبلغ في التشبيه وأدق في أدائه ، فان هذه العبارة تتضمن تشبيهين : احدهما تشبيه الاقلام بالقدود ، وثانيهما تشبيه تلك المشابهة بتعبير اللفظ عن المعنى في وضوحها ودلائلها على ان هذا التعبير قد ورد في الشعر ، قال الشاعر :

وطرف يترك الأبطال صرعى بلا جرح ويعبث بالحلوم
ووجه منصف بالصبح تبدو على فسماته سيما النعيم

(٦) — وجاء في (ص ٣٧ س ٧) في الكلام على اللفظ المجازي وسبب تسميته مجازاً ما نصه : « وصف بانه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصل او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ، ولكنه مجازه وتمداده يقع فيه كالواقف بمكان غيره » اه كلام المؤلف . ويقول الاستاذ : « ان صوابه (يقف فيه) بالفاء بدل (يقع) بالعين المهملة » اه ونقول : ان الوقوع هنا يعني الحصول ، والمراد ان الكلمة المجازية حين استعمالها في غير ما وضعت له قد وقعت اي حصلت في غير مكانها الاصل ، وكثيراً ما يستعمل الوقوع بالعين وصفاً للألفاظ فيقال : هذه كلمة وقعت موقعها وهذا اللفظ وقع في موقع هذا ، ولم نجدهم استعمالوا في ذلك الوقوف بالفاء فلم يقولوا : هذه كلمة وقعت في مكانها او وقعت موقف كذا ، واما قول المؤلف بعد ذلك (كالواقف في موقف غيره) فهو تشبيه لتقريب المعنى .

(٧) — وجاء في (ص ٦١ س ١٤) في الكلام على الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل بان الاول يفيد الثبوت بخلاف الثاني ما نصه : « بل جعل الانطلاق

او البسط مثلاً صفة ثابتة ثبوت الطول او القصير « الخ كلام المؤلف ، قال الاستاذ : « صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) » اهـ . ونقول : ان إسقاط كلمة كهذه من الاصول التي بين ايدينا بدونت حجة قوية لاسقاطها امر خطير لا يصح ان نرتكبه ، والا فقد اخللنا بالأمانة الواجب على المصحح مراعاتها ، ومع ان المصادر التي بين ايدينا لهذا الكلام قد تضافرت على اثبات هذه الكلمة فان المعنى على اثباتها مستقيم لا غبار عليه واما احتياج الاستاذ لرأيه بانه لم يسبق في كلام المؤلف مثال فيه وصف بالانطلاق ، فهو احتياج لا يسوغ لنا إسقاط هذه الكلمة لجواز ان يكون المؤلف قد اكتفى عن ذكر هذا المثال بالبيت الآتي بعد هذه العبارة وهو قوله :

لا بألف الدرهم المضروب صرنا لكن يمر عليها وهو منطلق

واما استظهار الاستاذ ان يكون هذا البيت كان متقدماً في الكلام ، وقد أخرج سهواً فيمنعه ان ارتباط الكلام واتساقه من اول الفصل الى هذا البيت لا يجعلنا نشعر بان البيت في غير موضعه بل اننا لا نجد في الكلام السابق موضعاً يصح ان يكون هذا البيت فيه . (٨) — وجاء في (ص ٩٧ من ١٦) هذا البيت :

حدا بابي ام الرئال فأجفنت نعماته من عارض متلب

وقلنا في تفسير لفظ (المتلب) ان معناه المتخزم بالسلاح ، يريد المنتهي للحر ، وقد نقلنا هذه الكلمة عن كتاب حسن التوسل اذ كان لفظها في الاصل عرفاً ، وقد اعترض الاستاذ على هذا التفسير « بان (المتلب) بهذا المعنى لا يناسب ان يكون صفة للعارض فان العارض هو السحاب المعترض في الأفق » واستظهر « ان لفظ العارض محرف عن كلمة (الفارس) واذن يستقيم الوصف » اهـ كلام الاستاذ . ونقول : ان العارض هنا معناه الجيش تشبيهاً له في كثرتة وكثافته بالسحاب المتراكم في الأفق ، وهو جيش المهلب بن ابي صفرة الذي كان يقاوم قطري بن الفجاءة ، وقد شاع بين الشعراء استعارة لفظ العارض للجيش ، ومنه قول المهدي يري اهل أنف عاذ :

من الأسي اهل أنف حين جاءهم جيش الحمار ولاقوا عارضاً يردا . . .

يريد ولاقوا جيشاً كالعارض الكثير البرد ، واذن فوصف العارض بالمتلب مستقيم لا غبار عليه من النقد ولا ينبغي ان نستبدل لفظ (العارض) الوارد في الاصل : بلفظ

(الفارس) كما رآه الاستاذ مع استقامة المعنى على الاول ، وبعد الكلمتين في رسم الحروف من بعضها .

(٩) — وجاء في (ص ١٢٥ س ١١) في الكلام على عتاب المرء نفسه ، قال المؤلف : « ان هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم ينشد عليه اي ابن المعتز سوى بيتين ذكر ان الآمدي انشدهما عن الجاحظ » اه كلام المؤلف . وقد كتبنا على قوله : (الآمدي) مانعه : « كذا في الاصل وحسن التوصل ، والذي سببه تخيير التعبير وخزانة الأدب المحمدي : (الأسدي) ولم نقف فيما بين أيدينا من المظان على ما يرجع احدي الرواة (اه) وقد اعترض الاستاذ على شكنا هذا في انه : (الأسدي) او (الآمدي) ورجح ان يكون المنشد هو (الأسدي) واحتج لذلك « بان الآمدي وهو ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى قد توفي بعد ابن المعتز بزمان بعيد » اه . ونقول : اننا لم نشك هذا الشك الا بعد ان راجعنا كتب الأدب التي بين أيدينا والمعاجم التي اشتملت على اسماء الرواة فلم نقف على من ينسب الى بني أسد من رواة الشعر والخبار ونحن مع علمنا بان ابا القاسم الحسن بن بشر قد توفي بعد ابن المعتز بزمان بعيد فليس ذلك مزبلاً لشكنا لجواز ان يكون الذي أنشد البيتين رجل آخر غير ابي القاسم ينسب الى (آمد) فان (آمد) من البلاد التي ينسب اليها خلق كثير من اهل العلم ، في كل فن كما في ياقوت .

(١٠) — وجاء في (ص ١٨٦ س ٨) قال المؤلف : « وليكن ما نختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله » اخ كلام المؤلف ، وقد اعترض الاستاذ على قوله (بمثل) بان الباء زائدة ورأى ان الصواب إسقاطها محتجاً لذلك بان (مثل) خبر لقوله (يكن) اه . ونقول : وما المانع من ان يكون قوله : (بمثل) متعلقاً بمحذوف خبر لقوله (يكن) وفي كتب النحوات الخبر كما يكون مفرداً يكون جملة وشبه جملة كذلك و يريدون بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وإذن فيكون تقدير الكلام « وليكن ما نختم به فصولك مقترناً بمثل (نسأل الله) » اخ بقول : « انه يتعين على الكاتب في ختام رسائله في التعزية مثلاً ان يقرنه بالدعاء للمكثوب اليه ان يدفع الله عنه المحذور ، ويصرف عنه المكروه » اخ وقد بني الاستاذ تقدمه على ظنه « ان الباء في قوله : (بمثل) زائدة فقال :

(ان هذا ليس من المواضع التي تجوز فيها زيادة الباء) اه وليس كذلك كما بينا ، فان الباء اصلية في الكلام .

(١١) — وجاء في (ص ١٩٥ س ١٠) بصف استسلام عدو : (فلاذ بالالتجاء الى سلمنا ، وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحملنا) الخ وقد ضبطنا (اسناد) بكسر الهمزة وهو مصدر قولك : أسندت كذا الى كذا اذا جعلته متكئاً له ومعتمداً ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان ذلك العدو قد عاذ من بأسنا بان أسند رجاءه الينا اي جعل حملنا متكئاً لرجائه ، ومعتمداً لآماله ، وقد اعترض الاستاذ علي ضبط (اسناد) بكسر الهمزة وقال : « ان المعنى لا يستقيم عليه واسه صوب ان تكون (اسناد) بفتح الهمزة على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما اه . ونقول : ان قول الكاتب بعد : (الى كفنا عنه) يؤيد ما أثبتنا كما يمنع ما رآه الاستاذ ، وقد اعترف هو بذلك ، و يرجع ما أثبتنا ايضاً مقابلته الاسناد في هذه الجملة بالالتجاء في الجملة السابقة ، فكلنا الكائين من واد واحد ، فاذا صح ان يلوذ العدو بالالتجاء وهو مصدر صح ان يعود باسناد رجائه اذ لا فرق بينهما ، على ان الكاتب لا يريد بالالتجاء والاسناد معناه المصدرية ، وهو نفس الحدث بل يريد المعنى الحاصل به ، والفرق بينهما في كتب القواعد مشهور .

(١٢) — وجاء في (ص ١٩٩ س ١٧) في وصف مارق بمالي الاعداء : « وجر نفسه بموالاة النثار عناء كان عنه في غني ، وأوقع روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا » الخ . قال الاستاذ : قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونته اه . ونقول : وكذلك (المظافرة) بالظاء مصدر ظافره اذا ناصره ، وهو مشتق من الظفر بفتح الظاء والفاء وهو النصر ، فمعنى المظافرة ، المناصرة ، وهذه الكلمة وان لم ينص عليها في كتب اللغة مادة (ظفر) الا ان صيغة المفاعلة قياسية في كل فعل يراد جعله مشتركاً بين اثنين كما نص على ذلك في كتب القواعد ، واذا قد نصوا على قياسية الصيغة فلا موجب لتبني أمثلتها في كتب اللغة .

(١٣) — وجاء في (ص ٢٠١ س ٨) ذكر المؤلف « انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناسير والتواقيع امور : منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة »

الخ . والمراد بالحال هنا الصفة التي يتصف بها من صدر له التقليد او التوقيع كاخبرة
بغنون الحرب حتى استحق ان يقلده الملك قيادة جيشه ، او الحذق بالامور الحسابية حتى
استحق ان يجعله الملك على ديوان خراجه ، او العلم الواسع بالفقه واحكام الشريعة حتى
كان املاً لان يتولى القضاء او الافتاء مثلاً ، ذلك ما فهمناه من كلمة (الحال) بالخاء
المهملة . وقد قال الاستاذ : « لعل صوابه (المال) بالميم ، واحتج لذلك بان توافيق الملوك
كما تصدر بالرتب تصدر كذلك بالمال اه . ونقول : اذا صح المعنى على الاولى فلا موجب
لتغييرها بالثانية مادام الاصل مستقيماً لا عوج فيه .

(١٤) -- وجاء في (ص ٢٠٤ س ١١) « وأظلت على الأعداء سيوفنا التي هي على من
كفر النعمة دعوة نوح » الخ . يقال : أظله الشيء اذا غشبه كما في القاموس ، يربد
لكاتب بهذه العبارة ان السيوف قد غشيت الأعداء فأبادتهم كما أبادت فرم نوح
دعوته عليهم ، وقد استصوب الاستاذ ان تكون الكلمة (وأظلت على الأعداء) الخ
بالطاء المهمة واحتج لذلك (بان الاضطلال بالظاء المنجحة للرحمة اما السيوف لا تظللهم
برحمتها) اه . ونقول ان تفسير اهل اللغة الاضطلال بالغشيان عام ليس مقيداً بالرحمة
او العذاب ، على ان الظل ، وهو اسم الاضطلال قد ورد استعماله في العذاب ايضاً كما
ورد استعماله في الرحمة . قال تعالى : « الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني
من اللهب » واذا سلنا ان الاضطلال يستعمل في الرحمة فلم لا يكون استعماله هنا في
العذاب من قبيل التهم الذي يستعمله البلغاء كثيراً على حد قوله تعالى : « فبشرهم
بعذاب اليم » ويقول الاستاذ (ان فعل الاضطلال يتعدى بنفسه لا بالحرف) . ونقول
(ان هذا الفعل يتعدى « بعلی » ايضاً) فيقال أظل عليه ، كما يقال (أظله) كما في
كتاب أقرب الموارد . « للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

الامتيازات الأجنبية

« تأليف محمد عبد الباري »

(الامتيازات الأجنبية) — علة الشرق عامة ، والدول الإسلامية منه خاصة . كانت منحة الكريم المضيف ، قلدها عنق المضيف الضعيف . فعادت مع الأيام غلاً في عنقه ، ما يستطيع منه فكاً ، ولا يطيق معه حراكاً . . .
وليس يعرف شر هذه الامتيازات ، الا امرؤ قضى عليه نكد الطالع ان يعامل في بلده اجنبياً سيئ المعاملة شرس الطبيعة ، او آخر عانى القضاء . وكان احد الخصمين في احدى قضايا اجنبية ، فهناك القانون مدوس ، والحق مضاع . فلا أوراق تبلغ ، ولا مجالس تعقد ، ولا أحكام تنفذ — ان هي نفذت — الا بشق الأنفس ، وبعد السنين الطوال .

فليس عجباً بعد هذا ان لا تعد في الدول المستقلة دولة ترهقها هذه الامتيازات ، ولا غريباً ان يكون هم الدولة اول ما تستقل ان تفلت من رقة هذا القيد مهما كلفها الامر . ومن لم تستطع من الدول غلاباً ، كما فعلت تركيا والفرس والافغان والصين واليابان ، حاولته طلاباً ، كما تفعل الدول المستضعفة الى اليوم ، ومنهن : نحن ومصر .

شتان ما يومي على كورها . ويوم حيان اخي جابر

هذا مادعا السيد الفاضل محمد عبد الباري الى ان يضع كتابه (الامتيازات الأجنبية)
واقدم هذا الكتاب الدكتور عبد الرزاق السنهوري بمقدمة ممتعة ملأى بالانظار القانونية ، تعرض فيها للمقترحات البريطانية فنقدتها نقداً صحيحاً وجرحها من حيث اساسها باستقلال مصر القضائي . ثم تناول المؤلف الكلام فبرهن على « ان في الامتيازات معارضة لمبدأ المساواة ، وهدم لاهم اركان القانون العام ، وقضاء على سلطان الدولة » .
ومضى يقدم الحجة بعد الحجة على فساد هذا النظام ، ويهدم المذرة بعد المذرة يستند اليها الغاصب في نبريز موقفه وتمسكه بالامتيازات ، ولو ان الحق يتال بنفسه

وقوته ، لكان خليةً يمثل الحجج التي أدلى بها المؤلف ان تدفع عن مصر هذا الكابوس .
ولكنك تسمع من ؟

وهل الابقاء على هذه الامتيازات ، وتوسيع ولايتها بشمولها من لم تكن تشمل من قبل ،
والاستمساك بها من غير تبديل ولا تعديل ، الا دليل على ان الغرب يريد ان يبقى هذه
الامتيازات في حيث يستطيع من بلاد الشرق لسبب آخر غير الحاجة اليها من وجهة
الحق والعدل ، وحماية القلة ، الجنسية او المذهبية ؟

واستنتج المؤلف ان الامتيازات ليس مصدرها اسلامياً « وانما هي من اصل روماني
عرفته اوربا قبل ان تعرف الاسلام . وأساس هذا النظام فكرة (محلية القوانين
ومركزتها) واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية
الرافية مباشر تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية ، ولم يفرضوا تطبيق القانون
الروماني العام الا في الامور ذات الارتباط بالشؤون الرومانية العامة » .

والكتاب قيم مفيد ، لا يستغني عنه رجل يعني بدراسة القوانين في البلاد العربية
التي تزح تحت هذا النير .
عارف النكدي



نبيل الوطر

« من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة »

« الحسني اليمني الصنعائي »

عما ثلج به النفس ، ان هذه النهضة العربية لا يختص بها قطر دون قطر ، بل هي تكاد
تعم الافطار العربية جميعاً ، على تفاوت بينهن تقضيه حال كل قطر ، من سبق في الأخذ
باسباب النهضة الحديثة ، او موقع جغرافي ، او غير ذلك من العوامل الاجتماعية .
وهذا الكتاب الذي جاءنا من اليمن فساق هذه الكلمة ، يقع في اربعمائة صفحة وينف
فيه مئتان وخمس عشرة ترجمة من رجال اليمن جلهم ممن عانى الفقه ، وقال الشعر ، وعرف
بالنقوى والزهد . وقد أورد المؤلف رجاله على النمط الذي فعله ابن خلكان وابن البسام
وغيرهما من الفراء في التراجم .

وفي هذا الكتاب كثير من الشعر ، منه طائفة تكاد تعد في الطبقة الوسطى اودونها قليلاً . وهذا الشعر في جملة أشبه بما كانت ينظمه شعراء الشام ومصر لمئة او مئة وخمسين سنة خلت . اي في القرن الثاني للهجرة . أوزان والفاظ ونوايخ . لا يؤخذ على أشقائنا في اليمن ان يكون بيننا وبينهم قرن من الزمن . فلقد خالطت مصر والشام ، الغرب ولا يستاه برهة من الدهر أثرت في نهضته وادبه هذا الاثر . واليمن — من حسن حفظها — لم نوفق الى هذه الخلطة ، او بعبارة اصح لم تصب بها . فظل أديها فاصراً بعيداً عن الروح الجديد .

واذا كان هذا الانزواء ناقصاً في ادبها ، فلقد كان حافظاً لاستقلالها ، وماذا على اليمن ان يظل أديها حيث هو ، واستقلالها خالصاً تاماً لا يشوبه حماية ولا استعمار . واي شيء في هذه الصناعة اللفظية ، والبضاعة الكلامية ، في جانب الحرية الحقيقية ، والحياة القومية .

على ان في مكنة اخواننا في اليمن ان يستمعينوا بادب اخوانهم العرب المخلصين : سيفي مصر والشام ، فيستفيدوا من النهضة الغربية بالواسطة لا مباشرة . فيفوزوا بالحسينيين : الادب عالياً ، والاستقلال باقياً . عارف النكدي

السوريون في مصر

رسالة للغوري بولس قرألي سيفي هجرة السوريين المسيحيين الى مصر . وطأ لها بموجز عن تاريخ القطر الشقيق ، منذ التقديم الى ايام محمد علي باشا مؤسس الأسرة المحمدية العلوية . عارف

في اوقات الفراغ

— بقلم —

«الدكتور حسين هيكل»

رسائل في الأدب والتاريخ والأخلاق والفلسفة كتبها الدكتور حسين هيكل بك وجمعها في كتاب أهداه الى احمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية اعترافاً بفضلها عليه . —

يصعب في مثل هذا المقام ان أطيل الكلام على خصائص هذه الرسائل ، فمن جملة هذه الخصائص الرأي المختر ، والفكر المديد ، وابس بقليل ان يكون الكاتب في عصرنا هذا صاحب رأي في موضوعات شتى كالفلسفة والأخلاق والتاريخ وأشياء ذلك ، ان العصر انما هو عصر تفكير ، والكاتب كل الكاتب من انبسط مداه في أفق هذا التفكير ، غير ان الفكر وحده قد لا يخلد صاحبه فلا بد لهذا الفكر من قالب لفظي يجمع شيئاً من روح اللغة وعبقريتها ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا يوافقنا على هذا المذهب ، ان له رأياً في مسائل القوالب اللفظية غير رأينا ، والبك شيئاً من هذا الرأي :

«الأدب لا يقوم على الألفاظ ولا على العبارات التي يستعملها الكاتب بمقدار ما يقوم على الصور والمعاني التي تلهم بها خيالاتهم ونجدوها فرائضهم» .

فالدكتور حسين هيكل بك من أصحاب مذهب المعاني فالعبرة في نظر الدكتور بالمعنى لا بالمبنى ، فلو جربنا على هذا المذهب لما كان فرق بين الأدباء وبين غير الأدباء لان المعاني كما قال شيخنا الجاحظ في التقديم مطروحة في الطريق بعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وعلى هذا الرأي اكبر كتاب فرانسة في عصرنا ، منهم «اميل فاگه» و «اناتول فرانس» . —

اما وقد عرفنا مذهب الدكتور حسين هيكل بك في الصيغ اللفظية فلا عجب اذا وجدنا في كتابته شيئاً من المسامحة والمساهلة في هذه الصيغ فقد نستفيض العجمة في كتاباته في بعض الأحوال فاذا كنت تعرف اللغة الفرنسية وقرأت كلام الدكتور

تصورت لك في الحال العبارة الفرنسية التي نقابل عبارته ، من هذا القبيل قوله : «اتكون عندهم فكرة عامة من عالم بأسره ، فهذا التركيب انما هو تركيب فرنسي محض واليك التركيب الفرنسي : « alin qu, ils aient une idée générale de tout un monde » فقد ينقل الدكتور العبارة الفرنسية حرفاً حرفاً دون ان يزيدها او ان ينقصها شيئاً اي دون ان يخلع عليها يرداً عربياً يستر عجمتها ، ومن هذا القبيل كثير من عباراته ، منها قوله : اني اعاقى الأهمية الكبرى على الكاتب ، فالذي يستخرج من هذا ان الدكتور حسين هيكل بك تفكر تفكيراً أعجمياً اي انه تزدهم في صدره أفكار اقتبسها من قوم غير قومه فاذا أحب ان يؤدي الى قومه هذه الأفكار المخمرة في ذهنه أدائها بصورها الأعجمية ، اما ان يكون الدكتور حسين هيكل بك أعجمي المعنى فهذا لا سبيل لنا الى مؤاخذه به فان أفكارنا اذا لم يمتزج بها في هذا العصر كثير من الأفكار الأوروبية المستحسنة جمدت ونضب معينها ، واما ان يكون الدكتور أعجمي المبنى فهذا ما يسوءنا جداً لانه مصقول العقل مهذب الفكر فلا ينبغي لهذا الفكر الصقيل ان تظهر عليه آثار العجمة . —

وقد يقول لنا قائل : واي غضاضة على الدكتور حسين هيكل بك في هذا كله ، أما نفهمون كلامه ؟ أما ندر كون صراميه ؟ فسواء أكان أسلوبه أعجمي الطراز أم كان عربي النمط ان كلامه مفهوم ، قد يقول لنا قائل هذا كله وشبه هذا ، فنحن نقول له : كل هذا صحيح ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا تزال لغوته عبقرية اللغة وروحها فقد اخذت بمخزني أسلوبه رائحة غريبة ، فأسلوبه فيه شيء من رائحة اللغة الفرنسية وفيه شيء آخر من العربية غير المصقولة . —

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي

مبادئ الميكانيكا

« تأليف السيدين الدكتور احمد عبد السلام الكرداني المفتش بوزارة المعارف »

« وحسن الجندي المدرس بالمدرسة الخديوية بمصر »

يقع في ٣٧٢ صفحة وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة

سنة ١٩٢٩ م

قابلت هذا الكتاب بكتاب فرنسي كنا ندرس به في فرنسا وهو (كالكتاب الذي نبحث عنه) وضم وفق منهج مدارس التجهيز فاذا بكتابنا العربي يفوق الكتاب الفرنسي بكثرة تمريناته ووضوح اشكاله ووفرة امثاله . ولقنته جيدة اجمالاً واغلاطه العربية والمطبعة قليلة . وفيه بعض مصطلحات يستعملها المصريون تخالف مصطلحاتنا في الشام وربما كتبنا عنها على حدة .

والذي يعلم شدة حاجة اللغة العربية الى كتب مدرسية كهذا الكتاب ويدرك ما في تصنيفها من صعوبة لا يسهه الا الارتياح الى هذا المصنف المفيد فلعل مؤلفيه الفاضلين يتمكنان من تأليف كتاب ثالث مسهب وفق منهج مدارس الهندسة او على الأقل وفق منهج المدارس الزراعية العليا فيكون لهم على البلاد العربية يد جديدة تضاف الى هذه اليد .

مصطفى الشهابي



مجلد الجمع لعلي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هـ

درس

في حياة أسامة بن منقذ
و «كتاب الاعتبار»

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كلمون خطابه الذي يعدّ حقة باعتبار نتائجه الصليبية أفعّل خطاب في التاريخ ، وُلد لبني منقذ الامراء في شيزر على العاصمي (وذلك يوم الاحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ - ٤ تموز سنة ١٠٩٥) غلام أطلق عليه والداه اسماً تحمّلي به - في صدر الاسلام اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام^(١) ، وكان ذلك الاسم قد ورد في الرُقْم الحميرية السابقة للاسلام^(٢) . ذلك أسامة بن منقذ ، مؤلف كتابنا هذا وبطله .

عاش أسامة شهيداً فارساً ، واشتهر مجاهداً مقاتلاً ، ولمع أدبياً وشاعراً ، ونلّهي صياداً وجوّاباً . نشأ على ضفاف العاصمي بجوار حماة ، وقضى معظم ايام شبابه في البلاط النوري بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وغالب سني كهولته في الدار الانابكية بالموصل ، وفي حصن كيفا على دجلة . زار بيت المقدس في فلسطين وحج الى

(١) أسامة بن زيد . (٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أقي به من صنعاء الوحالة بر كهاردت زبرت عليه كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم «أسامة بن عامر» راجع :

M. lidzbarski - Ephemeris Fur Semitische Epigraphik

(١٩٠٢ Giessen) مجلد ١ صفحة ٢٢١ - ٢٢٢ .

الحرمين ، ولنقل بين معظم العواصم الاسلامية مدنية ودينية . عاش نور الدين زنكي ، وصاحب الخليفة الحافظ . وخلفه الظاهر ، ونعرف بنفسه الى بوهمند ونكرد وفألك من الافرنج الصليبيين ، وخصه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قريبا ، صدقه صلاح الدين بعطفه . آخي الافرنج — ولا سيما الفرسان منهم — في وقت السلم ، وقائلهم سيف حال الحرب ، كما قاتل غيرهم من الاسماعيلية وسائر العرب ، فضلاً عن الأسد والوحوش الضواري . وفي آخر ايامه دون لنا كل ما خبره بالذات ، وعرفه من مصادره الاصلية ، في مذكرات شائقة رائعة قل نظيرها — من حيث الامانة في النقل والصدق في الرواية والدقة في الملاحظة وطيب النكهة في التعبير — في آداب اللغة العربية .

نحية أسامة إذن تمثل لنا ازدهار الفروسية الاسلامية العربية في ربوع الشام في أواسط القرون الوسطى . التي بلغت زهوها الكامل في عهد صلاح الدين ، وصيرته لتضمن موجز تاريخ البلاد في القرن الثاني عشر — قرن التجهيزات الصليبية الثلاث الاولى — ومذكراته الموسومة « بكتاب الاعتبار » مرآة تُجلى فيها المدنية الشامية في أجلى مظاهرها — لا لذاتها فقط بل بالمقابلة مع المدنية الافرنجية التي قامت الى جانبها . وأسامة لو عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً في المجمع العلمي العربي ، وكان بينه مجالس الأدب بدمشق ، وراسل « الهلال » و « المقطم » ، ولأكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان ويراقب نمو النبات ، ولنالت جياده العربية جوائز السبق في بيروت ، ولكان بلا تردد في اثناء الحرب العظمى جيشاً من المتطوعة تولى قيادته بنفسه .

على بعد (١٥) ميلاً الى الشمال من حماة أكمة صخرية منتصبة على ضفة العاصي الغربية يكاملها حصن لم يزل قائماً الى اليوم معروفاً باسم « سيهر » تحريف شيزر . شيزر هو المرسح الذي تمثلت عليه معظم الحوادث المدونة في الكتاب والتي جرت وقائعها في ايام أسامة النقي . الهضبة لنشوتها سماها مؤلفو العرب « عرف الديك » . نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث ، فهي إذن شبه جزيرة بوضعها الجغرافي . غير ان الانسان كذل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر ،

مما زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول اليه . وشيزر قسما : قسم في القلعة على
الرابطة وهو البلد ، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو المدينة . والقلعة أبواب ثلاثة أهمها
يفتح الى الجسر . وعلى الجسر حصن أطلق عليه اسم « حصن الجسر » .

إذا غزا غاز البلاد السورية من الشمال فأمامه طريقان : طريق بحرية تمر في
اللاذقية فالساحل الفينيقي — وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة
الأشوريين ، وطريق داخلية تمشي العاصي الى حماة فحمص ثم تمتط غربا مع وادي
النهر الكبير الى شمالي طرابلس ، أو انها تستمر من حمص في سهل البقاع وتصل بالساحل
الغربي جنوباً عند سفوح سلسلة لبنان . والطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين
المصريين والبابليين مثل رمسيس ونبوخذ نصر ، وآثرها أكثر الصليبيين . ولا بد ان
طرق هذه الطريق الثانية من اجتياز أفامية (قلعة المضيق) واختارها الجنوبية شيزر
المسلطة على وادي العاصي . هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربية .

شيزر اسم في رأس قائمة المدن السورية المتوغلة في القدم . ذكرها طيمس للمرة
الاولى بالهيروغليفية نحو سنة ١٥٠٠ (ق . م) وهو يصف إحدى حملاته من مصر باسم
« ستزار » أو « شيزار » وذكرها بعده خلفه البعيد المنحوت الثاني^(١) . ووردت بصيغة
« زيزار » في رقم تل العمارنة المسماة . وسماها اليونان الأقدمون « سديزارا » ،
والبيزنطيون « شيزر » . وفي أواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقس الاول
مهاجرين من لارسا في تساليا وغير اسمها الى « لارسا » . على ان الاسم السامي الاصلي
مالث ان عاد فتغلب وظهر بالعربية في صيغة « شيزر » . وعلى هذه الصورة ورد الاسم
في بيت قديم لامري القيس :

نقطع أسباب الأمانة والهوى عشية رحلنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيد الله بن قيس الرقييات :

فواخزنا اذ فارقونا وجادروا سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا^(٢)

(١) راجع (١٩٠٦) J. H. Breasted Ancient records of egypt (chicago)

مجلد ٢ فقرة ٥٨٤ و ٣١٤ . (٢) ياقوت « معجم البلدان » (ليدزغ ١٨٦٨) ٣ : ٣٥٣

اما مؤرخو الافرنج الصليبيون فأطلقوا عليها اسم « قيسريّة » (Coesarea) او « قيسريّة العاصي » للتميز .

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فبفتحوا من المدن الشامية ، وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، فتلقاه اهل شيزر « بكفّ روث ومهم المقلّسون » ورضوا بمثل ما رضي به اهل حماة ^(١) . وبالنظر لموقع البلدة الجغرافي ، وباعتبار كونها مفتاح سوربة الداخلية ، بقيت مطمح ابصار البيزنطيين الذين استخلصوها صراراً من ايدي العرب وخسروها ، الى ان اخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعها فيه عن الدولة سديد الملك ابوالحسن علي جد أسامة من ايدي الامبراطور الكيس كومنينس .

وكان صالح بن مرداس صاحب حلب قد منح الامراء المنقذين من بني كنانة عام ١٠٤٥ إقطاعاً في جوار شيزر . فتمكن احد هؤلاء الامراء (مقلّد) من الاستيلاء على كفر طاب سنة ١٠٤١ . وجاء بعده خلفه ابوالنورج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبني حصن الجسر عند قدمي شيزر ليقطع عنها المدد . ولكن البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى ايام سديد الملك . فسديد الملك اذن هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر . ولدن وفاته عام ١٠٨١ عقبه ابنه عن الدولة ابوالمرحف نصر ^(٢) ، وهو مع اشتهاره بالورع وحب السلام تولى الى حين أفامية وكفر طاب واللاذقية عدا شيزر .

توفي ابوالمرحف بلاعقب عام ١٠٩٨ ، فانتقلت الامارة من بعده الى اخيه الأصغر محمد الدين ابي سلامة مرشد (١٠٦٨-١١٣٧) ، والد مؤلف كتابنا أسامة . ولكن محمد الدين شغف بالصيد ونسخ القرآن اكثر من السياسة ، فننازل عن السيادة ل اخيه الأصغر عن الدين ابي المساكر سلطان مردداً (والله لا وليتها . ولا أخرجن من الدنيا كما

(١) البلاذري «فتوح البلدان» (لیدن ١٨٦٦) ١٣١ . (٢) فصل ذلك ابن الاثير

« كامل التواريخ » في Recueil des Historiens des Croisades Historiens

Orientaux (paris ١٨٧٢) ٥٠٤ : ١

دخاتها (١) .

وكانت شيزر على عهد سلطان عم أسامة عرضة لغزوات متتابعة يفزوها بنو كلاب في حلب ، وكذلك الاسماعيلية والروم البيزنطيون والافرنج الصليبيون رشقها الامبراطور جان كومنينس عام ١١٣٨ بالبنجنيق عشرة ايام متوالية . وحاول الافرنج الاستيلاء عليها سرايا ، ولكن على غير جدوى . فأخذتها من السقوط مناعتها الطبيعية وحصونها القوية ، وزعامتها النقدية .

وفي خلال إمارة (سلطان) جرت معظم الحوادث التي دوّنها أسامة في مذكراته ، وهو شاهد عيان لها ، فخلد وقائعها وجعلها ارثاً لنا . ومع ان أسامة كان احد اخوة اربعة هو ثانيهم ، فان عمه سلطاناً - ولم يكن له اولاد ولد ذكر - خص أسامة بعطفه ورعايته ، ودرّبه على الفنون الحربية ، وكان يمتحن بالسؤال حضور ذهنه في ساعة القتال (٢) ونشأ نشأة من يريد ان يجعل منه خلفاً له . وكثيراً ما وكل اليه قضاء مصالح اهل بيته مثل مرافقته لزوجته عمه واولادها من شيزر في ايام الحر الى مصياد (٣) . اما بعد ان رزق العم ولداً يخلفه فوجه نظره نحو ابن اخيه تغيرت ، والحسد أخذ يعمل فيه ، مما جعل أسامة الشاب يغادر شيزر موقتاً عام ١١٢٩ ، ثم اطردت هجرته بعد وفاة والده أخي سلطان في ٣٠ ايار سنة ١١٣٢ . وكانت جدة (٤) أسامة لابيه حذرنه مرة من عمه وقد رأت حفيدها داخل البلدة مساء وببده رأس أسد ضخيم كان قد اصطاده ، فأسدته النصح مشيرة الى الأثر الذي يحدثه عمله هذا في نفس عمه قائلة له « ما يقر بك هذا منه وانه

(١) ابوشامة « كتاب الروضتين في اخبار الدولتين » (مصر ١٢٨٨) ١ : ١١١-١١٢

وابن الاثير في (Recueil) ١ : ٥٠٤ . (٢) « كتاب الاعتبار » (لیدن ١٨٨٤) ٧٦ ولا بد من التنبيه الى ان الاشارات فيما بعد كلها الى هذه الطبعة - طبعة درنبورغ - وبما نتم الطبعة الجديدة المبنية على المخطوطة الاصلية والتي تدولى الآن طبعتها في مطبعة جامعة برنستون العربية . (٣) كتاب الاعتبار ١٠٩ .

(٤) ابن الاثير « تاريخ الدولة الأتابكية » في (paris ١٨٨٢) « Recueil »

مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٠ يجعلها والدته .

يزيدك منه بعداً ويزيده منك وحشةً ونفوراً^(١) . ومع هذا فإن (كتاب الاعتبار) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان . وخلاصتها ان امرأة كان قد تزوجها سلطان وطلقها فوكت أسيرة في بلاد الفرنج ، ففكَّ للحال أسرها وسلمها الى أهلها قائلاً « ما أدعُ امرأة تزوجنُها وانكشفت عليَّ في أمر الفرنج^(٢) » .

نوسيف سلطان حوالي عام ١١٥٤ خلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد ، وهو آخر الاسراء من بني منقذ وفي ابامه جرت في شيزر مأساة مفعمة قضت على بني منقذ بأسرهم . وذلك خلال ختان ولد لتاج الدولة فقد أُولم الوالد وليمة حضرها جميع آلِه ، وفي اثناها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي « ملك فيه مالا يحصى » والذي خرب حماة وشيزر وكفرطاب والمعة وأفامية وحمص وحصن الكراد الخ^(٣) » « ولم ينج من بني منقذ احد^(٤) سوى زوجة تاج الدولة التي انتقلت من تحت الردم ، الا ان نور الدين صاحب دمشق عاد فمهر شيزر .

(التأثير الاكبر سيفه نفسية أسامة كان لعمه سلطان وبعده لوالده) = تمثل صورة الوالد التي ابقاها لنا أسامة سيفه مذكراته رجل تقوى وسلام لانهمه شؤون هذا العالم الفاني ، بفرغ « زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله^(٥) » . مع ذلك لا يجب ان يُفهم من ذلك انه كان منقاعاً جباناً . ففي غير مكان يذكر أسامة ان والده لم يكن « له شغل سوى الحرب وجهاد الفرنج ونسخ كتاب الله^(٦) » ثم يقتبس عنه عبارة قالها لما حذرّه ولده في معركة : « يا ولدي في طالعي اني لا ارتاع^(٧) » . ولنستشهد الآن ببعض الوقائع الدالة على نوع التربية التي تروباها أسامة سيفه ظلّ والده وعمه ، ومسرّها كلها في قول أسامة « ما رأيت الوالد رحمه الله ، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر ، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اشفاقه وابشاره لي^(٨) » . أسامة وهو دون العاشرة^(٩) ، يطعم خادمه طعنة نجبي قاضية دون ان يستوجب سخط والده

(١) كتاب الاعتبار ٩٣ . (٢) ص ٥٣ . (٣) ابن الاثير في « Recueil »

١ : ٥٠٣ . (٤) ايضاً ٥٠٥ ، ٥٠٦ . (٥) كتاب الاعتبار ١٤٤ .

(٦) ايضاً ١٩٩ . (٧) ايضاً ٤١ . (٨) ايضاً ٧٦ . (٩) ايضاً ١٠٧ .

ببأثر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف أنه في أول قتال حضره حمل على أفرنجي طمعه تخرج من السرج خلفه جسمه وقوة الطعنة^(١) . يرى حيلة وهو صبي على حائط الدار فيتسلق إليها ويأخذ يحرز رأسها بسكينه الصغير وهي تلثف على يده ووالده يراه ولا ينهيه^(٢) . تعود رهائن من أفرنج وأرمن كانت في شيزر إلى بلادها فنقم في أيدي صاحب حمص وهو مسلم ، فتصدر أوامر والد أسامة له في هذه الصيغة « اتبعهم بمن معك وارموا أنفسكم عليهم واستخلصوا رهائنكم^(٣) » الكلمات الأخيرة (ارموا بأنفسكم) نفع من نفس أسامة موقعا شديداً .

وللدلالة على الرابط البنوي الذي كان يربط الابن بالوالد يكفي الاستشهاد بعبارة أوردها أسامة بعد أن أطلب بحسن خط والده : « وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وإنما ذكرته لأستدعي الرحمة (على الوالد) من وقف عليه^(٤) » .

أما والده أسامة فلنسا ان نتحقق المعدن التي جبلت منه من مراجعة حادثة ذكرها أسامة^(٥) . ومفادها ان الاسماعيلية مرة هاجمت شيزر والرجال مختلفون ، فوزعت أم أسامة السلاح والبست ابنتها الخف والازار واجلستها على روشن يشرف على الوادي حتى اذا ما انتهى الاعداء إليها تدفعها وترميها إلى الوادي فنراها ميتة ولا أسيرة في أيدي « الفلاحين والحلّاجين^(٦) » . حقاً ان والدته بكده كانت من « أمهات الرجال^(٧) » .

تلك هي البيئة التي نشأ فيها أسامة وترعرع . فتصائب عوده وهو صرن ، والف افتمام المخاطر والمغامرات ، ونشأ على مبادئ الفروسية والشهامة . وذلك في عصر تلاحت فيه الحروب ، وتعاينت الغزوات من الأفرنج والعرب - من مسيحيين ومسلمين ، وفي بلاد كثرت فيها الوحوش الضاربة والحيوانات المفترسة . حتى ان أسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح مستعد للعدو المفاجي^(٨) . ولم يشهد أسامة القتال في شيزر وحماة في شمالي سورية فقط ، بل في عسقلان وبيت جبريل

٠ (١) كتاب الاعتبار ٣٠ . (٢) ايضاً ٧٦ . (٣) ايضاً ٣٩ .

(٤) ايضاً ٩٢ . (٥) ايضاً ٩٣ . (٦) ايضاً ١٤٦ .

من أعمال فلسطين ، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر ، وفي ديار بكر والموصل . فلا غرو إذا أصبح اسم أسامة في التواريخ الاسلامية مرادفاً للبطولة .

ولقد دناه الذهبي « احد أبطال الاسلام »^(١) ووصفه ابن الاثير بأنه « كان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها »^(٢) . وأسامه نفسه أجمل اختبارات الحربة بقوله في آخر ايامه « فكم لقيت من الأهوال ، ولتحميت المخاوف والاضطراب ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الاسود ، ومُربتُ بالسبوف ، وطُعنْتُ بالرماح ، وجُرحتُ بالسهم والجروح »^(٣) ! هتاف ليس المقصود منه التأثير الخطابي فقط بل تبين الحقائق ومن خلال كل هذه التجارب تدبين انا شخصية أسامة . فاذا بها شخصية مستقلة تستقبل الأفراس ، وتودع الأحران ، تواجه الظفر وتجاهه الفشل ، بروح الصبر والتسليم . النصر — باعتبار أسامة — من الله^(٤) . وكذلك الهزيمة . الموت لا « يقدمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر »^(٥) . « الله مقدر الأقدار ، وموقت الآجال والأعمار »^(٥) . في الجملة الاخيرة منضم من فلسفة الحياة بأسرها كما فهمها أسامة .

وفي مجمل معاملاته مع اصدقائه وخصومه يدهشنا بميله للنصفة والعدالة . هاكه مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج . الرفيق يشير باخذه على غرة ، ولكن جواب أسامة : « ما هذا انصاف ، بل نحمل عليهم انا وانت »^(٦) . والمبهج انه لا يتم سرد هذه الحادثة ، التي هنرم فيها مع رفيقه ثمانية ، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها « رويجل »^(٦) . يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي متعباً بالملقابلة مع الطب العربي^(٧) — وهي من أبدع قصص الكتاب — ثم يردفها باخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب^(٨) . بطنب بوالده صياداً . ولكن سلامة ذوقه توحى اليه على الأثر « ما أدري : كنتُ أراه بعين المحبة . كما قال القائل : وكل ما يفعل المحبوب

(١) « دول الاسلام » (حيدرآباد ١٣٣٧) ٢ : ٧١ . (٢) « الدولة الانابكية »

في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٧ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢١ — ١٢٢

(٤) ايضاً ١٠٩ . (٥) ايضاً ١٢١ . (٦) ايضاً ٤٣ . (٧) ايضاً ٩٧ — ٩٨ .

(٨) ايضاً ٩٨ .

محبوب . ما أدري : أكان نظري فيه على التحقيق . وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه ^(١) .

قضى أمامة سنين غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (١١٤٤ - ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشت فيها جرائم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار : بد الوالد على الابن ، والابن على الوالد ، وبد الخليفة على الجميع . ابن الاثير ^(٢) يدعي ان أمامة هو الذي أشار على عباس بن ابي الفتوح بقتل العادل وزير الظاهر ^(٣) . ولكن مذكرات أمامة لا تدل على انه لوّث يديه في حال من الأحوال . صلاح الدين الغساني ، ذلك الجلف التركي ، يوسّط من يشاء من رجاله (اي بأمر بقطعهم من الوسط شطرين) لسبب او لغير سبب ، فلا يتردد أمامة في الشفاعة بهم ^(٤) . عم أمامة يجلوه عن مسقط رأسه ، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وصائر آله في شيزر ، فيرثيهم أمامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب :

لم يترك الدهر لي من بعد فقدم قلباً أجشمه صبراً وسلوانا
فلورأوني لقالوا مات أمعدنا وعاش اللهم والأحزان أشقانا
لم يترك الموت منهم من يجترني عنهم فبوضح ما قالوه تيبانا
بادوا جميعاً وما شادوا فواجباً للخطب أملك عمارة وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم كذلك كانوا بها من قبل مكانا

الى ان يقول :

بنو أبي وبنو عمي دمي دمهم وان أروني مناواة وشنا نا ^(٥)

وان احترام أمامة للنساء لاصري يسترعي انتباهنا . فانا نراه يضع تأليفاً موسوماً « باخبار النساء » ويخصص في (كتاب الاعتبار ^(٦)) صفحات للاشادة باعمال البطولة التي قام بها بعضهن وبينهن والدته . وفي قصته مع خادمتها العجوز التي أفرد لها بيتاً في

(١) « كتاب الاعتبار » ص ١٤٤ . (٢) « كامل التواريخ » أيسالا ١٨٥١

١١ : ١٢١ . (٣) فابا « كتاب الاعتبار » ٦ . (٤) ايضاً ١١٦ - ١١٧ .

(٥) ابوشامة ١ : ١٠٦ . (٦) ٨٧ - ٩٧ .

داره وكان يناديها « يا أمي »^(١) نافذة نطل منها على الشيء اللطيف ضمن أعماق نفسه . وما أطف ملاحظته بعد ن اقتدى أسيرة مسلمة مع غيرها من يد الأفرنج فهربوا قبل ان يدفع الفداء فألزمه الأفرنجي القيمة كلها « وهان ذلك علي » لمسرقي بخلاص أولئك المساكين^(٢) .

حين لم يكن أسامة منهمكاً بقتال الأعداء من البشر كان يشغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سوريّة الشمالية يومئذ . لا شيء بها ، او بصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحمر الوحش بالبازي والباشق وفي شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة . وتري زبدة اختباراتة ضمنها فصلاً في الصيد ختم به كتابه ، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه . أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد سبعين سنة^(٣) وانه حضر قتال الأسد في مواقف لا تحصى ، وقتل عدة منها لم يشاركه في قتلها احد^(٤) وان الخليفة الحافظ عناء في سؤاله الإنكاري « واي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟ »^(٥) لذاته في درس الحيوان جملة . يكتشف ان « الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان »^(٦) وان « الأسد اذا خرج من موضع لا بد له من الرجوع اليه »^(٧) وان « الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه ، وفيه غفلة وبله ، ما لم يُجرح ، فاذا جرح فحينئذ هو الأسد »^(٨) .

وان النمر « دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً »^(٩) . على ان صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم : « ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبات عليه فارة مات ، ولا ترتد الفارة عن جريح النمر »^(٩) . ولما عرض الأفرنجي في حيفا (فهداً) لبيع أدرك أسامة لأول نظرة من طول الوجه وزرقة العينين انه نمر لا فهد ولا يصلح للشراء^(١٠) . ومن دقيق ملاحظاته ان العُباري اذا اقترب منها الصقر (استقبلته

(١) كتاب الاعتبار ص ١٣٨ . (٢) ايضاً ٦٢ . (٣) ايضاً ١٦٧ .

(٤) ايضاً ٨١ و ١٠٦ . (٥) ايضاً ١٤٢ . (٦) ايضاً ٧٨ . (٧) ايضاً ٧٨ لم

أجد في الكتب العلمية ما يثبت صحة هذه الملاحظة . (٨) ايضاً ٨١ .

(٩) ايضاً ٨٢ .

بذنبها . فاذا دنا منها سلجت عليه بأث ريشه وملأت عينيه وطارت ^(١) » .

نظر أسامة للصيد كسبب للهو — ظاهر من البيت الذي استعمل به فعله :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب ^(٢)

ونزعته الارستقراطية تلوح من عدم تلبية طلب نور الدين عندما سأله ان يصلح الباز فرفض وأجاب — لما أظهر نور الدين عجبه كيف ان أسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن إصلاح الباز — « يامولاي ما كنا نصلحها نحن ، كن لنا باز ياربة وغلان يعلحونها ^(٣) » .

درس أسامة النحو عشر سنين على (ابوالطاميطلي ، سيديويه زمانه) الذي كان قد تولى دار العلم بطرابلس ^(٤) . ولا شك ان سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخط والشعر والقرآن — وهي فروع الثقافة في ذلك العصر . فتهذب أسامة على الطريقة التي كان يتهذب بها أشرف العرب في زمانه . ونشأ رابطة كاتباً ، واديباً شاعراً .

بهذه الصفة الاخيرة عرفه معظم الذين ترجموه . فالذهبي ^(٥) يذكر عن لسان أسامة انه قال كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي ، والراجع انه لم يتصل بجيل أسامة هذا المقدار من الابيات . ويقول عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع بأسامة في دمشق في « خريدة القصر وجريدة العصر ^(٦) » : « أسامة كسبه ، في قوة نثره ونظمه حلوا المجالسة ، حالي المساجلة ، ندي الندي بماء الفكاهة ، حالي النجم في سماء النباهة » . ابن عساكر تليد أسامة ، ذكر في (التاريخ الكبير ^(٧)) ان لأسامة « يدأ ببضاء في الأدب والكتابة والشعر » واقتبس عن لسانه اقدم قوله ان أسامة « شاعر اهل الدهر ، مالت عنان النظم والنثر » وان مقطعاته « أحلى من الشهد

(١) كتاب الاعتبار ١٠٣ قابل C. H. Stockley, Big Game Shooting in the indian Empire (London ١٩٢٨)

(٢) كتاب الاعتبار ١٣٩ . (٣) ايضاً ١٤٤ . (٤) ايضاً ١٥٣ .

(٥) ملحق (Paris ١٨٨٩) « Vie d' ousama » Derenbourg, ص ٥٩٥

(٦) (باريز ١٨٨٧) ١٢٢ .

(٧) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤٠٠ — ٤٠١ .

والله من النوم بعد طول السهر» . واقتبس ياقوت في (معجم البلدان ^(١)) من أعلام أسامة . وأناد أبو شامة ^(٢) ان صلاح الدين الأيوبي كان «عنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامة وهو به مشغوف ، وخاطره على تأمله موقوف ، والى استحضانه مصروف» . وصالح بن يحيى (٣) يفاخر باقتناء ديوان شعر «عز الدين ا» أسامة بن منقذ بخطه . وعليه فيكون أسامة قد عُرف لمعظم الذين ترجموا له بشاعريته .

وهالك أباتاً تدل على قوة الابداع في أسامة الشاعر قالها في خرس له قلعه :

وصاحب لا أمل الدهر صيغته يشقى لنفسي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا لناظري^(٤) افترقنا فرقة الابد

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب ، وكان قد زار المسجد قبلاً في طريقه

الى الحج :

لك الحمد يا مولاي لكم لك منة عليّ وفضل لا يحيط بها شكري

نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو موفور النصيب من الاجر

ومنه رحلت العيس في عامي الذي مضى نحو بيت الله والركن والحجر

فأديت مفروضاً وأسقطت ثقل ما تحملت من وزر المسببة عن ظهري^(٥)

وأخرى تعرب عن حنينه لوطنه الشامي وتوق نفسه للرجوع الى اهله ، وقد كتبها

على حائط دار سكنها بالموصل :

دار سكنت بها كرهاً وما سكنت روجي الى شجن فيها ولا مكن

والقبر أستر لي منها وأجل لي إن صدني الدهر عن عودي الى وطني^(٦)

واليك ما كتب في صدر كتاب الى بعض اهله :

(١) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤١٧ . (٢) ١ : ٢٤٧ . (٣) « تاريخ بيروت »

(بيروت ١٩٠٢) ٣٥ - ٣٦ . (٤) الذهبي ملحق (Vie d, ousama) ٥٩٦ .

قابل ابن عساكر ٢ : ٤٠٢ ، ابن خلكان ١ : ١١٢ ، أبو شامة ١ : ٢٦٤ ، عماد الدين

الكانب ١٢٣ . (٥) ابن الاثير « الدولة الاتابكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢

ص ٢٠٨ . (٦) ابن عساكر ٢ : ٤٠١ .

شكا ألم الفراقِ الناسُ قبلي ورُوع بالنوى حبي وميتُ
وأما مثل ما ضمتُ ضلوعي فاني ما سمعت ولا رأيت (١)
وبنضح شفف أسامة بالكتب من ملاحظة أبدأها عندما عادت أسرته من مصر
فوقعت في ابدي الافرنج وخسر الكثير من المال فلم يأسف عليه أسفه على ما فقد من
الكتب وعددها أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاسخة « فان ذهابها (على ما قال)
حزاة في قلبي ما عشت (٢) »
« للبحث صلة »

جامعة برنستون : فيليب حبي
عضو المجمع العلمي العربي

—*—

(١) ابن خلكان ١ : ١١١ .

(٢) « كتاب الاعتبار » ٢٦ .

اخلاق المتنبي (١)

- ١٠ -

ليس من المستسهل ان أخوض في شيء من الكلام على اخلاق المتنبي وعلى طبائعه ، وعلى الخصوص فان ابا الطيب لم يكتب ترجمته بقلمه وان اهل عصره لم يمض لم قول واف في هذا الباب ، فلا نعرف هياته ولا نعرف تركيب خلقته ، ولو كنا نحيط بطائفة من هذا الامر لاستطعنا ان نستدل بذلك بعض الاستدلال على معرفة اخلاق المتنبي وطبائعه ، فما وصل اليها من أقوال اهل زمانه في هذا الموضوع لا ينفع غايلاً . -

ان ابا عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي لما قدم عليه المتنبي في سنة عشرين وثلاثمائة اي لما كان عمره سبع عشرة سنة وصفه فقال : قدم اللاذقية وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه فأكرمته وعظمتها لما رأيت من فصاحته وحسن ممتنه ، واضاف الى هذا كله انه لم يسمع منه كلمة هنزل قط .

والذي أعلمنا به ابو الفرج وقد كان ابو الطيب بأنس به وبأمنه على غيبته ان سيف الدولة كان يفتاخر من تعاطم المتنبي .

وقد عاتب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة لما غمز غلانه على المتنبي فقال له سيف الدولة : بتعاطم تلك العظيمة وبنزل تلك المنزلة لولا حمايته .

وحكي عن ابي حمزة البصري انه بلا من ابي الطيب خلافاً محموداً منها عفة المذهب ، والصدق وبلا منه ثلاث خلال ذميمة وذلك انه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن .

ووصفه ابن فورجة فقال فيه : كان داهيةً مراللسان شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً باخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بخله وشره على المال .

والذي دلنا عليه الوحيد ان المتنبي كان من رأيي ، وسوء رأيه أخرجه من

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

حضرة سيف الدولة ، وعرضه لعداوة الناس .

وقد ذكر ابو علي الحاتمي ان ابا الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والمظمة فلا يرى احداً الا ويرى لنفسه مزية عليه حتى ثقلت وطأته على اهل الأدب بمدينة السلام وبلغ من شذوذه انه لبس صرة سبعة اقبية المونة وكان الوقت أحر ما يكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس وشهد له ابو علي هذا بالفضيلة وصفاء الذهن ، وجودة القدر .

وكان ابو علي الفارسي قبل معرفته بالمتنبي يستثقله عرفج زيه وعلى ما كان يأخذ به نفسه من الكبرياء .

هذا ما نلاحظه البنا من وصف بعض ظواهر المتنبي وبواطنه بوجه القريب ، ولم يكن في مختلف هذا الوصف شيء من الخروج من المقدار ، فمن المحقق ان الرجل كان قليل الميل الى الهزل ، فان روحاً مثل روحه نزاعة الى العظمة والعلو لاشأان لها في الهزل ، فقد كانت حياته جداً كل الجدة لبس فيها متسع للهزل ، واب رجلاً بضرب في مناكب الارض وبواديهما وحواضرها ابتغاء لأمر جل ان يسمى :

بقولون لي ما أنت سيف في كل بلدة وما تبغي ، ما تبغي جل ان يسمى

ان رجلاً هذا هو مظهره في الحياة لا يجد لغير الجدة معنى ، ولئن عبث سيف قليل من شعره ، مثل عبثه في قوله وقد صر برجلين قد فتلا جرذاً وأبرزاه بعجبان الناس من كبره :

وايكما كان من خلفه فان به غضة من الذنب .

او مثل عبثه في قوله :

اذا شاء اب يلهو بلحية أحمق أراء غباري ثم قال له : الحق

نعم فما كان العبث من مذهبه .

ومن المحقق ان ابا الطيب كان صادقاً عنيف المذهب :

ومن هوى الصدق سيفي قولي وعادته رغبت عن شعري في الرأس مكذوب

فلسنا نجد في اضماف شعره نزعة الى اللهو والطرب ، فقد كان ينظر الى الحياة من ناحيتها السوداء وقلما نظر اليها من الناحية البيضاء اللامعة ، فما تغنى في شعره بشيء من نصارة الحياة ولذتها ، وانما أعرب في شعره عن الألم وقلما يجتمع اللهو وألم النفس ، وللهو

نفوس لا سبيل للألم إليها ، أما الأبيات التي تدل على ألم روحه فهي كثيرة . فمنها :
 فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهيب اللثام
 ومنها :

رمانى الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
 فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال
 ولقد أكثر من الإشارة الى تضافر المصائب فمن قوله في مصر وقد أصابته حمي :
 أنبت الدهر عندي كل نبت فكيف وصلت انت من الزحام
 وفي هذه القصيدة يقول :

وان أسلم فما أبقى ولكن سلت من الحمام الى الحمام
 فحياته في نظره موت له ، فما أقل سروره :
 وقت يضيع وعمر ليت مدنه في غير أمته من سالف الام
 أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وانيناه على الهرم
 على انه قد جاء في شعره ما يدل على ذوقه شيئاً من اللذات ، فنه قوله :
 در در الصبا ابام تجر بسر ذبولي بدر أثلة عودي
 ومنه قوله :

إنم ولد فللأمر أواخر ابدأ اذا كانت لمن أوائل
 مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
 للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
 ولكن مذهبه في اللذات العفة التامة :

اني على شغفي بما سيفي خمرها لأعف عما في سراويلها
 وترى المروءة والفتوة والابوة في كل مليحة خمراتها
 من الثلاث المانعاني لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
 نعم هذا هو مذهبه : المروءة والفتوة والابوة ، وان بيتاً مثل هذا البيت :
 اذا كان الشباب السكر والشيب هما فالحياة هي الحمام

لا يصدر عن قلب قضي صاحبه شرح الشباب في شيء من الامور وفي شيء من نوابغ
اللاهوت ، فما اصدق في هذا الكلام :
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه .

اما شجاعته فلا ريب فيها وان رجلاً يقولون له : كمنت لك جماعة تريد بك الشر
تخذ معك من يسير بين يديك فيغناظ من هذا القول غيظاً شديداً ويقول : والله
لا ارضى ان يتحدث الناس باني مسرت في خفارة احد غير سبني ، ان رجلاً مثل هذا
يخذرونه من الموت فلا يبالي بتخذيرهم استصغاراً لشأن الموت ، واحتقاراً لمن كمن له ،
فيقيم سيفه الذي حذروه منه لا يدخل الخوف قلبه ، ولقد أعانه على هذه الشجاعة صحبته
للأعراب ، وإلفته لغزومهم ، وسيره في البوادي ، ومصاحبته لسيف الدولة في كثير من
غزواته ، فالرجل كان شجاعاً لاشك في شجاعته والذي يرى حيانه موتاً يستوي عنده
الموت والحياة .

وغاية المفرط في سلمه كفاية المفرط في حربه

فلا قضي حاجته طالب فؤاده يحقق من رعبه

واما شرهه على المال فهذا امر طبيعي ، فقد ذاق المنبي في حادثة سنه ألم الفقر ،
فما زال يسمى في طلب المال حتى اجتمع له شيء منه ، فحرص على ثروته ولم يبتدر
ولا يعرف قيمة المال الا الذي يتعب في جمعه ، والمنبي لم يغن من غير ان يساوره كثير
من الألم ، واي ألم أعظم من ألم الحساد ، فهل يلام على حرصه ولا سيما ان الرجل كان
محمداً الشأن حتى كان حساده يتمنون موته ، فكانوا يبغيضونه ، ويتربصون به الدوائر ،
هل يلام على اتخاذه المال جنة يدفع بها عن نفسه اذا أعرضت الدنيا عنه في يوم من الايام
فما ذا كان يلاقي من الناس في حالة اعراضها ، أفكان يلاقي منهم غير الشيانة ؟

على اني أعني ان الرجل كان مقتصداً ولم يكن بخيلاً والفرق بين البخل وبين
الاقتصاد ظاهر ، فما أظن ان ابا الطيب كان من البخلاء الذين ينشأ بخلهم عن مرض
من أمراض العقل فلا يجدون في انفسهم سلطاناً عليه ، وانما كان مقتصداً بحسب للا امور
حساباً وبعد لها عدتها حتى لا يفاجئه الزمان بمكارهه .

واما ضعف عقيدته وورقة دينه فهذا امر صحيح ، وكثيراً ما قرع المنبيء هذا الباب كما قال الثعالبي ، وقد رويت لكم الايات التي دلت على اخلاله بالدين واستهانته باصره والظاهر ان الرجل كان على مذهب المتشككين .

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقبل تخلص نفس المرء سائلة وقبل تشرك جسم المرء في العطب

ولكن أظهور أخلاق المنبيء التعظم وقلة المداراة ، وقد أثبت هذه الأخلاق ما كان يقع له في مجالس سيف الدولة وكافور وفي بغداد ، فأبو الطيب كانت قليل المداراة للناس ، وقد شهدتم كيف كان يتعرض لأكابر الادباء ويستأنس بتجهيلهم ، وليس معنى هذا ان ابا الطيب كان يجهل بعواقب تعرضه للناس ، ويخواتيم قلة المداراة ، ولكن الرجل كان شاذ الخلق ، يصعب عليه ان يداجي ويداري ، ولو فعل شيئاً من ذلك لملك القلوب ، ونحن نشاهد في عصرنا من لا يداجي ولا يداري ، فتنبض القلوب عنه ويسطون السنتهم فيه ، والناس ينقادون عادة من نواحي العاطفة والهوى ، قرب ابتسام بتسمه ينزع ما وفر سيف الصدور من غل او حقد ، ورب نقطيبة نقطبه يفر من انما البغضاء في القلوب ، هذه هي طبيعة البشر . ولكن ابا الطيب اكبر من ان يحتاج الى شيء من المداراة والمداجاة ، فكان يجري على طبيعته لا يعبأ بشيء من غضب الناس عليه او طعنهم فيه ، فان له من الثقة بخلود عبقريته ما يجعله يحتقر اولئك الغاضبين الطاعنين .

ليت ثنائي الذي أصوغ فدى من صيف فيه فانه خالد

فالطعن على اهل العبقرية يذهب جُفاء ، وتمكث عبقريتهم في الارض ، فلا الافراط في الشناء على اهل البلاهة يهد لهم سبيلاً الى الخلود ، ولا الافراط في تنقص اهل العبقرية يغلق الأبواب في وجه خلودهم ، نعم كانت ابا الطيب يعرف هذا كله ، ولكنه أرفع من ان يُسرف الى المداجاة والمداراة . ماداجي ولا داري الا كل من لا يثق بقوة نفسه ، وكل من يحتاج الى قوة غيره ، ويستعين بها على حياته .

على ان ابا الطيب كان يجاري الناس في بعض الاحاين في الخداع ، وما بجاراته هذه الا هناء بالناس :

ولما صار وُدّ الناس خبياً جزيت على ابتسام بابتسام ،
وصرت اشك فيمن اصطفيه لعلي انه بعض الأنام
فالرجل كان قليل المداراة ، وقلة مداراته أوغرت الصدور ، وهاجت الضغائن ،
ولكن ابا الطيب كان يستخر من حسد الحساد ، واغتياظ المغتاضين ، فلم يفكر فيهم ولا
شغل ذهنه بهم ، فقد صأح الأدب بابيات هزلاً بثرثرة الثرثار وهذر المهذار ،
أفأجد حاجة الى ان أعيد هذه الايات وقد سمعتموها في المجلس الماضي و بكفيني ان
أشير منها الى بيت واحد :

ومن بك ذا فمٍ مريضٍ يحمد مرأً به الماء الزلالا

او الى بيت آخر :

وأنتع من ناداك من لا يجيبه وأغبط من عاداك من لا تشاكه

بهذه الايات واشباهها كان المتنبي يستحق المتطاولين للوقية فيه ، فما أصدق الذي
وصفه بمرارة اللسان ، واي مرارة أمر من هذه المرارة ، ولو جمعوا كل ما قالوه فيه من
طعن لما وازن حرفاً من هذه الايات :

بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تفسر رياح الورد بالجهل

نعم كان ابو الطيب مرّ اللسان ، فاذا غضب على احد أذاقه مرارة هذا اللسان
فانه لما فارق سيف الدولة لم ينج سيف الدولة من قوارصه ، وفي اول قصيدة قالها - في
كافور أثر من هذه القوارص :

حببتك قلبي قبل حبك من تأبى وقد كان غداراً فكن أنت رافياً

وأعلم ان البين يشكيك بعسده فلست فؤادي ان رأيتك شاكياً

فان دموع العين غدر بريها اذا كن اثر الغادرين جوارياً

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسواً ولا المالب باقياً

وللنفس أخلاق تدل على الفنى أكان سخاء ما أتى أم تساخياً

فهذا الشعر كله تعريض بملك حلب ، والظاهر ان سيف الدولة كان يؤلم المتنبي

في عطاياه ، فكأن ينعم عليه ولكنه كان يبطل نعمته بالبن والاذى فاذا تأخر مدح
ابي الطيب عنه أنكر له بالحال^(١)

أرى ذلك القرب صار ازوراراً وصار طوبى السلام اختصاراً
تركنتي اليوم بي خجلة أموت مراراً وأحيا مراراً
أسارقك اللحظ مستحيماً وازجر في الخيل مهري مراراً

فكان المتنبي يضطر الى الاعتذار :

كفرت مكارمك الباهرات انت كان ذلك مني اختياراً
ولكن حمى الشعر الأقليل هم حمى النوم الأغراراً

ولا يخفى ما في الاعتذار من إعنات النفس والتشديد عليها ، وإذا علمنا ان الشاعر
قد تعرض له في بعض الحالات عوارض يعاف فيها حياته ، فيستعصي عليه الكلام
أدركنا الألم الذي كان يساور ابا الطيب في ازورار سيف الدولة عنه اذا ابطأ عليه
مدحه ، فكأن سيف الدولة يقول له : انا اشتريت شعرك بالمال ، وقد أخذت مالي
فاعطني شعرك ، وكل هذا لا يخلو من منة واذى ، وكل هذا لا يخلو من ايلام وايحاج ،
وعلى الخصوص اذا كانت الروح الاليمة مثل روح ابي الطيب يجر كهاقل شيء ، ومن
الذي يحق له ان يلجأ الى المنة ، أسيف الدولة أم المتنبي ، أفكان سيف الدولة لولا المتنبي
الا ملكاً من أولئك الملوك الذين ذهبوا بين سمع الأرض وبصرها ولم يبق لهم الا القليل
من الذكر ، أفكان سيف الدولة لولا ابو الطيب يخلد هذا الخلود على شبيبة الزمان وعلى
هرمه ، فالمتنبي لم يسي الى سيف الدولة ، وانما سيف الدولة هو الذي بدأ بالاساءة ،
ومع هذا كله فقد كان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة بعد الانصراف عنه .

(١) كان سيف الدولة اذا تأخر عنه مدح المتنبي شق عليه واكثر أذاه وأحضر
من لا خبر فيه وتقدم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب فلا يجيب ابو الطيب احداً
عن شيء فيزبد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتأذى ابو الطيب على ترك قول الشعر
و يلع سيف الدولة فيما كان يفعله الى ان زاد الأمر وكثر عليه فقال قصيدته التي اولها .
واحر قلباء ممن قلبه شيم ومن يجسمي وحالي عنده سقم .

رمى والنقي رمي ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفي وقومي وأسهمي
نعم ترك المتنبي مجالاً للصحة فلم يغضب على سيف الدولة كل الغضب :
فراق ومن فارقت غير مذم وأم ومن يممت خير ميم
ولما خرج أبو الطيب من مصر الى العراق كتب اليه سيف الدولة بالعودة اليه وألح
عليه ، فلم يرض بذلك أبو الطيب ، وهذا يدل على أن أثر الجرح في نفسه بليغ .

نعم غادر المتنبي سيف الدولة ولم ينفذ كل ما في قلبه من محبة سيف الدولة ، وإنما
اقتصر على الإشارة الى التنبؤ والمن ، فلم تظهر مرارة لسانه الظهور كله ، ولكنه لما ترك
كافوراً عرض علينا هذه المرارة في أوضح معارضها ، فان كافوراً أساء الى أبي الطيب من
اول اتصاله به ، فقد أظهر له التهمة اول يوم ولم يسمح له بان ينشده وهو قاعد ، ولم يسمح
له بان يجلس في مجلسه ، ووعده بان يوليّه فأخلف الميعاد ، وفي خاتمة الامر نوى ان يقتله ،
أفيلام أبو الطيب اذا تشفى من غيظه ، وعلى الخصوص بعد ان أطمعه كافور في الولاية
ولم يذقه حلاوتها ، وانتم تعلمون كم كانت الولاية تشغل باله ، أفيلام أبو الطيب اذا آذاه
كافور فردّ اليه شيئاً من الاذى :

أمينك واخلاقاً وغدراً وخسة وجبتاً أشنعاً لحت لي ام مخازيا

لم يتزبد المتنبي في هذا الهجو ، رمى كافوراً بالكذب ، وقد كذب عليه ، ورماه
بالاخلاف وقد أخلف وعده ، ورماه بالغدر ، وقد غدر به فأراد قتله ورماه بالجبن وقد
كان يخافه اذا هو ولا .

ليس من العجب بعد هذا كله ان تظهر مرارة لسان المتنبي في أهاجيه في كافور
ولست أنبهكم على موطن من موطن هذه المرارة فارجعوا الى كل أهاجيه فيه فانها آلم
ما يكون من الشعر :

من علم الأسود الخفي مكرمة	أفومه البيض أم آباؤه الصيد
أم اذنه في يد الخناس دامية	أم قدره وهو بالفلسين مردود
اولى اللثام كويفير بمذرة	في كل لؤم وبعض العذر تنفيذ
وذاك ان الفحول البيض عاجزة	عن الجميل فكيف الخصب السود

وما هي عطايا كافور الى جنب ما قاله المتنبي فيه ، وما هو حظ كافور من الخلود لولا شعر ابي الطيب الذي خالده .

على ان ابا الطيب لم يكن قليل الوفاء ، فما عرض بسيف الدولة الا لأن سيف الدولة كان يؤله في عطاياه ، وما أخش في هجاء كافور الا لأن كافوراً أراد قتله ، ولقد وفي ببعض المهود ، وفاء دل على ان الرجل كان صادق الود فقد توفي ابو شجاع فأتى بمصر سنة خمسين وثلاث مائة فترثه المتنبي بعد خروجه منها اي بعد انقطاع رغبته في كل عطية من عطايا فانك ، وتوفيت اخذت سيف الدولة بميسافارقين ، وورد خبرها الى الكوفة فترثها ابو الطيب وعزى اخاها بها سنة اثنيتين وخمسين وثلاث مائة اي بعد مفارقتها سيف الدولة وبعد عزمه على ان لا يعود الى مجالس سيف الدولة ، وجاء في هذه القصيدة ابيات دلت على حسن وفائه :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

نبين لكم ان ابا الطيب كان لا بداري والفسالب على الذين نقل مداراتهم التعظيم والكبرياء وقد يكون تعظيمهم في بعض الاحيان خلقاً ظاهراً بظنه الناس خلقاً باطناً فقد نغش الظواهر فلا نتم عن حقائق البواطن ، ولسنا ندري أكان ابو الطيب من اصحاب العنجهية الظاهرة أم تمكنت الكبرياء من باطنه ، فكان متعظماً للظاهر والباطن ، فالذي دل عليه شعره انه اكثر من الفخر بنفسه في كل حال من احواله ، فلا يجب ان نشبهه باحد لأنه لا شبه له :

أعط عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوق ولا احد مثلي

وقد كان يشعر بعجبه ، ويوضح سبب هذا العجب :

ان اكن مجباً فمجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزبد

ولكن الذي يزعم في بعض الاحوال ان لفظة « انا » لا يكاد يخلو منها شعره ،

فلقد حار في الشيء الذي يشبه به نفسه ، فمرة هو صخرة الوادي والجوزاء :

انا صخرة الوادي اذا ما زومت واذا نطقت فاني الجوزاء

ومرة هو الاديب الذي لا ادب غيره :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي وامسحت كلماتي من به صم
وحينا هو المبدع لكل شيء .

انا السابق الهادي الى ما اقوله اذ القول قبل القائلين مقول
وحيناً هو السميري :

وما انا الا سميري حملته فزين معروضك وراع مسودا
وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

لقد امتلأ ابو الطيب عجباً ، واظن انه كان يقلق اهل عصره في بعض الاحيان
بهذا العجب ، فلو حدثنا يحدث ، واخذ في كل فرصة يتحدثنا عن نفسه و يردد لفظة «انا»
« انا » لما فرغ من احاديثه دون ان يغادر في قلوبنا شيئاً من الملل ، لقد يحنل المرء اذا
نفخر بنفسه مرة او مرتين ولكنه اذا جعل هجيراً هذا الفخر فقد ثقل وطأته علينا ،
ولا شك في ان ابا الطيب قد ثقلت وطأته على اهل عصره في بعض الاحيان .

ان تعظمه ظاهراً في شعره لا يكاد يخفيه فهو كثير التكلم على نفسه ، لا يبالي بما ينشئ
هذا التكلم من الآثار في النفوس ، ولم يقتصر على التغني بجمال عبقريته ولكنه جاوز
هذا التغني الى شيء من العجب والفخر ، وقد يكون هذا المذهب مدعاة الى الاضجار ، اننا
نحب ان يذوق الناس محاسننا من تلقاء انفسهم اي من دون ان نذيقهم اياها ، اننا نحب
ان يشعروا بهذه المحاسن من غير ان نشعرهم بها فاذا توخينا اظهارها والنبيه عليها والاشارة
اليها فقد يذهب شيء من آثارها في النفوس ، وربما عادت هذه المحاسن مساويء ،
فابو الطيب كان يحب ان يذيق الناس محاسنه بنفسه فهو لا يريد ان يدع لهم مجالاً لذوقها
بانفسهم ، ولعل هذا السر في ثقل وطأته على الناس ، وقد يكون السبب في لجوئه
الى هذا المذهب ان الناس كانوا يبخسونه حقه ، ويطمسون من آثار حسناته فكان
يضطر الى الثويه بحسناته :

واذا خفيت على الغبي فعاذر ان لا ثرافي مقلة عمياء

نعم كان ابو الطيب متعظماً في الظاهر وفي الباطن وكثيراً ما كان يجعل نفسه في
اماديج بمنزلة الملوك الذين كان يمدحهم :

انما التهنأت للاكفاء ولمن يدعي من البعداء

وانا منك لا يهني^١ عضو بالمسرات سائر الاعضاء
 وربما كان حظه من مدح نفسه في بعض شعره أوفى من حظ الممدوحين ، وقد
 حملة تعظمه هذا على احتقار الناس ، وما ذهب عنكم امر هذا الاحتقار ، واقعد هنأ
 بكافور نفسه في أماديجه فيه ، فأخاف به ان يهزأ به بغير كافور فكان كثيراً ما ياجأ
 الى التصغير حتى قال فيه ابوالملاء : ان الرجل كان مولعاً بالتصغير لا يفتح من ذلك بخاسة
 المغير والصحيح انه أولع بالتصغير فلم يكتف بتصغير الأحمق :
 مقالي للأحمق باحليم

او بتصغير الخادم :

ونام الخو يدم عن ليلنا

او بصغير الشاعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شو يعر

ولكنه صفر اهل زمانه كلهم :

أذم الى هذا الزمان اهيله

دمشق : في ١٩ نيسان سنة ١٩٣٠



المقارنة

بين المعري والخيام (١)

نقوم محاضرتي على المقارنة بين شخصيتي شاعرين حكيمين هما ابو العلاء المعري العربي وعمر الخيام الفارسي واكبر الظن ان ليس في الحاضرين الكرام من لا يعرف شيخ المعرفة الكبير او يجهل ادبه ورأيه في الحياة ونظره في الكون ، اذ انه اشهر من نار على علم ، لذلك ارى من الضرورة ان اتكلم اولاً عن شخصية عمر الخيام . حتى اذا اطلعتم عليها وفهمتم مناحيها ، سهل علينا جميعنا الانتقال الى الامام برأي هذا الحكيم الفارسي ومعرفة اوجه الشبه بينه وبين حكيمنا الجليل ابي العلاء . وقبل ان اخوض هذا البحث ارجو ان بين لكم وجه اعتدائي الى هذا الموضوع وما هي الاسباب التي دفعني الى معالجته وما علاقة فتى عربي بالفارسية وما هي صلته بهذا المفكر الفارسي ؟ .

ولدت في كربلاء ، ولا اغالي اذا قلت انها المدينة التي يجمع اليها في كل عام مائة الف فارسي ، لزيارة تربة سيدنا الحسين الشهيد واخوانه ، ولا يفتقر هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغني والامير بالملكوت فيها بضعة ايام ، بل فيهم من يبقى فيها بجواراً اعواماً طويلة ، وفيهم من ينقل اليها تجارته واعماله ويتخذها له موطاً ثانياً . فبمقتضى هذا الاختلاط اصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم بالفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

ولما فتحت عيني في كربلاء وترعرعت فيها ، واخذت اميز بين الخير والشر ، والنار والنور ، وجدت نفسي اتكلم بالفارسية العامية كباقى الفتيان ، بيد اني وجدت في بيت ابي عجوزاً شهماً قد وهن عظمها ، وفشا المشيب في رأسها ، ووجدت كل من في البيت بضمير لها حياءً كثيراً ويحترمها احتراماً شديداً ، وكانت (زن اغا) او (بي بي جان) المرأة الناهية في طول البيت وعرضه لا يعصى لما امر ، ولا ترد لها ارادة ، وقد نشأت على احترامها كسائر افراد العائلة غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي ،

(١) محاضرة القاها في بهو المجمع العلمي العربي الاستاذ السيد احمد حامد الصراف

وقد قصت عليّ أمي امرها فعملت انها كانت زوجة غني فارسي ، كان قد هجر وطنه شيراز
 وشد الرحال الى كربلاء ، زائراً فطاب له العيش فيها ، فأصبح مجاوراً ، وقد توثقت بينه
 وبين جدي اوامر المحبة والوداد ، فمكثا بتمهـاديـان وبتزاوران ، غير ان نكد طالعه
 جره الى استعمال الافيون فاستنزفت امواله فأنزل من عرش الثراء واجلس على بساط
 الفقر ، فهجـره خدامه وتركته حاشيته ، واصبح مشغلاً بالديون ، واخيراً صرعه هذه
 الآفة وسلبته روحه ، وبقيت زوجته وحيدة لا معين لها ولا نصير ، الى ان طعنها الفقر
 ووطئها الحزن فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جري لها هنأته الحمية وحركته المروءة
 فنقلها الى بيته وجاء لها بالاطباء فعالجوها حتى شفيت وقوي جسدها ، فجعلها مربية
 لاولاده وبناته ، وكان يحترمها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً . وكانت (زن اغا)
 احدي حفيدات (فتح علي شاه) ملك فارس القاجاري وهي على جانب عظيم من الفضل
 والادب والاخلاق وكانت ليديـة تجيد الانشاء وتنظم القريض في الفارسية ، وتسلط
 اروع الشعر واحسنه في الفارسية وكانت تلم بنكات الشعراء وتحفظ الشيء الكثير من
 الامثال الفارسية والعربية ، وقد تولت (زن اغا) تعليم امي واخواتها ، ادركتها ولم يبق
 فيهما غير تاب واحد ، وكنا اذا اجتمعنا عندها في ليالي الشتاء حدثتنا حديثاً لذبداً عن
 نكات الشعراء والادباء حتى يتغشانا النعاس فنصرفنا الى مضاجعنا واحداً اثر واحد .
 ففي احدي ليالي الشتاء من سنة ١٩١٨ اجتمعنا عند (زن اغا) وكانت تدير علينا
 اكواب الشاي وقد امسكت بيدها غليونها الطويل واستعدت لنقص علينا مما خزنته
 في صدرها .

قالت : احدثنكم الليلة عن أحد القلندرية واسمه عمر الخيام وكان سكيراً مدمناً
 للخمرة مفتوناً بالمشعة كافئنان ابي نواس بها :

حمل ذات يوم ابريق خمرته وصعد الجبل ليحسو كؤوسها وكانت تصعبه ابنته وبينما
 كانت يمتع نفسه بلذبت طعمها هبت ريح شديدة فخطمت ابريق مدامه وانسكب ما في
 الابريق على الارض فغضب وقال مخاطباً الرب بهذه الرباعية :

ابريق مي مـزاشكـني ربي : برمن درعـيش رابـسـني ربي

برخالـك فـكـندي مي كـلـكون سرا : خـا كـم بـدهـن مـكـر تـومـسـني ربي

اي - يا آلهي حنمت ابريق خمرني واوصدت باب الطرب في وجهي وقد سكبت
على الارض خمرني البلازوردية تراب بفحي فهل انت مثلي مسكران يا آلهي .
ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه حالاً فقالت له ابنته باليتي لقد اسود وجهك
فطاب المرأة ونظر الى وجهه فالفاء اسود فاحمراً فعلم ان الله قد غضب عليه فخاطب الله
مستغفراً بهذه الرباعية .

ناكرده كمنه درجهان كېست بكو وانكس كه كمنه نكردجون زېست بكو
من بد كنم وتوبه مكافات دهی بس فرق ميان من وتوجبست بكو
اي - يا آلهي قل لي من الذي لم يرتكب خطأ في هذه الحياة وكيف عاش انسان ولم
يرتكب خطيئة ؟ انا اعمل سوءاً وانت تقابلني بسوء مثله اذا اي فرق بيني وبينك يا آلهي .
وبعد انشاد هذه الرباعية عاد وجهه الى ما كان عليه .

بهذا حدثتني (زناغا) عن عمر الخيام قبل اثني عشر عاماً ، وقد بعثت هذه
الاسطورة اللذيذة في نفسي رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه ، فطلبت اليها ان
تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره ما لا يتفق مع الشرع فالحجت عايتها
الحاشد بدياً فاخذت تدرسني رباعياته . واذا بي امام شاعر حكيم وفلكي شهير وفيلسوف
مفكر له نظرة في الحياة غير هذه النظرات ونأمل في الكون غير هذه التأملات ، وانه لم
يكن بالقلندري الكبير وانما كان رجلاً فذاً منقطع النظير وانه بعد بلامدافع من حكماء
المسلمين المفكرين .

اما وقد اطلعتم الآن على الاسباب التي دفعتني الى البحث في ادب الخيام حتى انكم
ان تستفسروا مني سائلين من هو عمر الخيام ، وفي اي عصر عاش ، وما هو رأيه في
الحياة وما هو اثر ادبه ورأيه في الفرد وفي المجتمع ؟ :

في سنة ١٩٢٧ نشر العالم الكبير الدكتور (ميلار) مقالاً في جريدة (المورنن
وست) ادعى فيها ان شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وايهام . وقد نسجت
حوله اساطير غامضة تدعو الى الشك في وجوده ، وجاء ببراهين واهية واهنة انكر فيها
عمر الخيام وزعم انه كلن شخصاً موهوماً قد تخيلته اديغة الناس تخيلاً قانبري له اذ ذ

العالم الجليل القدر (السر دنيسون روس) مدير مدرسة الدراسات الشرقية في لندن وفند اقواله بدلائل فتجهر في خمس نقاط ، ولما كنت قد قضيت بضعة اعوام في درس حياة هذا الحكيم وادبه شعرت بفي نفسي بقوة الرد عليه فرددت عليه بمقال اثبت فيه شخصية المجووث عنه بثلاث عشرة وثيقة تاريخية لا غبار عليها ، واذ كان الذي يهمننا انما هو الاطلاع على ترجمته لذلك اكنفي بسرد الوثائق الهامة منها :

ان من اقدم الوثائق التاريخية التي ورد فيها اخبار عن عمر الخيام وحوادثه كتاب (جهار مقاله) لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي المروزي السمرقندي الذي تلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ هـ فقد قيل له ان استاذہ توفي منذ اربع سنوات . والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي خصها باخبار الفلكيين ماتعز به : في سنة ٥٠٦ هـ جريفة في مدينة (بلخ) وفي صرح سراي (امير بوسعد جره) حظيت بمقابلة الاستاذ عمر الخيام والامام مظفر اسفزاری وفي اثناء الحديث سمعت حجة الحق اي (عمر الخيام) يقول انني اذا مت فان قبري سيكون في مكان تنهب عليه نسمات الشمال وبتنشر عليه الزهر والورد — وقد اخذني العجب من قوله لاني كنت اعتقد ان خياما لا يتكلم الا عن روبة . وفي سنة ٥٣٠ هـ جريفة بلغني ان التراب قد اخفي ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلي يتيماً . واذ كان له حق التعليم علي ذهبت الى زيارة قبره يوم الجمعة وهي رجل بدلي على قبره فأخذني الى مزار حيرة والنفث الى اليسار فالتفت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد نبت حول القبر اشجار المشمش وكان منوراً وكان الزهر ينساقط على قبره حتى توارى قبره . وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ فكيت ولم اجد في هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جنانه بمنه وكرمه . وبين هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود : وقد ذكر عمر الخيام في كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذي الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ .

عمر الخيام نيسابوري الآثار والميلاد كان تلو ابي علي (ابن سينا) في معرفة اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سي الخلق ضيق العطن نأمل كتاباً باصباح سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقبول بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت . وله حنة بال تصنيف

والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ، رسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكانت عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير على الخبير سقطنا فسئل عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلى كلام كل واحد منهم وذكر الشواذ وعلمها وفضل وجهاً واحداً فقال الغزالي كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من ادمه ^(١) اهلك وارض عني فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء . واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها . ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخيام الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وذن بالخوض في محل النزاع وكان هذا من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذنت الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام .

وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك بخاري يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .

ومن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ قال :

امام خراسان وعلامة الزمان بعلم علم اليونان ويبحث على طالب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وبأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخراً الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتجاهروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حياة للشرع الواسع وبجامع الاغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أمره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج متافاة لا ثقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجم من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويفقدو ويكتم اسرارهم ولا بد ان تبدو

(١) كذا في الاصل .

وكان عديم القرنين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لورزق العصمة وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه . فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغته يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازماني موعدي او مواءدي
ليس قضى الافلاك من دورها بان تعبد الي نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما تجر ذراها بانقضاء القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة فواعجبي من ذا القريب المباعدي
اذا كانت محصول الحياة منية فسيان حالاً كل ساع وقاعد

جاء في (ج ٤ ص ٦١) من تاريخ روضة الصفا للمؤرخ الفارسي الشهير خواند مير نقلا عن وصايا الوزير نظام الملك ما ملخصه :

فرأت اربع سنين على الاستاذ موفق الدين النيسابوري فصادفت عنده تلميذين ذكبين عمر الخيام وحسن الصباح ، فصادقتهما وكنا بعد الدرس نجتمع لتكراره والمذاكرة فيه وعندما اجتمعنا يوماً لمثل ذلك قال لنا حسن الصباح لقد اشتهرت ان من يقرأ القرآن او الحديث على الاستاذ موفق الدين يصبح ذا حظ عظيم ومنزلة سامية فاذا كان احداً مصداقاً لذلك فما الذي يجب عليه لصديقه فقلت له فما رأيك انت قال ان يشرك كل منا صديقه فيما يناله من النفع فانفقنا على ما رآه .

وبعد حين من الدهر جاءني عمر الخيام على عهد السلطان البارسلان السلجوقي فقابلته بمزبد الحفاوة وقلت له الآن وجب علي ان ابين درجة علمك وفضلك للسلطان واطلب منه ان يجعلك ملازماً لمجلسه حتى نكون شريكين في الجاه عنده كما كنا شريكين في الدرس لدى موفق الدين ، فقال اشكر لك حسن ظنك بي ، ولكن افضل ان تأمرني بشيء اصالح به شأني كي اتمكن من ممارسة العلو ومزاولة الفنون لان ملازمتي لمجلس السلطان تمنعني عما اتوخاه ، فجعلت له راتباً سنوياً قدره ١٢٠٠٠ ذهباً يتقاضاها من املاك نيسابور .

وبعد بركة من الزمن قدم عمر الخيام مرو على عهد السلطان ملك شاه السلجوقي وكان قد اشتهر في العلوم شهرة فائقة ولا سيما في الرياضيات وعلم الفلك فنال حظوة عظيمة

عنده وحاز منزلة كبار العلماء والحكماء ، ولم يجد نظام الملك في حسن الصباح خيراً لأنه اراد مزاحمته في الديوان .

ولقد علمت الآن ان عمر الخيام نيسابوري المنشأ وأنه عاش في اكناف الدولة السلجوقية وعاصر ملكشاه البارسلان وقد نلنا في عنفوان شبابه لموفق الدين النيسابوري مع نظام الملك والحسن الصباح في مدرسة واحدة وأنه زار بغداد وتجاوز مع الامام الغزالي في قضايا شرعية وفلكية وقد اتى عليه الامام الغزالي وان له تأليف قيمة في العلوم الشائعة في عصره وأنه قد توفي في اوائل القرن السادس الهجري . بقي علينا ان نفهم ماهي الافكار التي تجول في خاطر الحكيم وما هي تلك النظرة التي كان يرسلها الى الحياة وما هي فلسفة هذا الرجل الذي ملأت شهرته ارجاء العالم واستهوى شعره الناس .

ارى ان اتلو على مسامعكم طرفاً من شعره ليتوضح لكم جلياً رأيه الصريح قال :
 زان بيش كه غمها شديغون آرند فرماي كه تاباده كلكوت آرند
 توزر نه اي غافل نادان كه ترا در خاك نهند و باز بيرون آرند
 قبل ان مهاجمك همومك صرم ان ياتوك بدمامة وردية . انت لست ذهباً ايها الجاهل
 الفر ليدفوك في التراب ثم يخرجوك .

اي أنكه نتيجسه جهار وهفتي در هفت وجهار دائم اتدر نفتي
 مي خور كه هزار بار بيش ت كفتم باز آمدت نيست جور فني رفي .
 يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات حتى م انت لئالم بالتفكر فيها اشرب
 الخمره فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت ذهبت . . .
 جام ومي وساقى بر لب كشت . بهترز بهشتي كه خير بودش دشت .
 مشغو سخن بهشت ودوزخ از كس كه رفته بدوزخ و كه آمد ز بهشت .
 ان خيراً من الفردوس الذي وعدته كأس وخمرة وساق في جنب روضة . لا تسمع من
 من احد حديث الجنة والجحيم من ذا الذي ذهب الي الجحيم ومن ذا الذي جاء من الجنة .
 چون حاصل آدمي درين جاي دودر . تجرد رد دل و دادن جان نيست ذكر . . .
 خرم دل آنكه بك نفس زنده بنود . وآسوده كسي كه خود نژاد از مادر . . .

ان حاصل الانسان من هذه الدار ذات البابين الالم وزهوق الروح . فمنبثنا لمن يعيش ساعة وطوبى لمن لم يولد من امه .

روزي که دومهلتت ميخوري ناب کاین عمر دوروزه برتکرده درياب
داني که جهات رويجرايي دارد تومنيز شب وروزهي باش خراب
اشرب الخمره الصافية سرنين في كل يوم . فان هذا العمر القليل لا يعود اليك
مرة اخرى مادمت تعلم ان مصير الكون الى الخراب . انت ايضا كن خراباً ليلاً ونهاراً .
از حادثه زمان آينده مبرس وزهرجه رسد جوينست بآينده مبرس
اين بکدمه تقدر اغتيت ميدان از رفته مينديش وزآينده مبرس
لا تسأل عن حادث الزمان الآتي وعن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم اغتيم الساعة
التي انت فيها ولا تفكر فيما مضى ولا تحفل بما يأتي .

لقد بان لكم رأي عمر الخيام في الحياة عريان صريحاً فان نظرة واحدة الى المعاني
التي تضمنتها هذه الرباعيات تكفي لان توضح للباحث ان الطريق الذي يوصينا الخيام
ان نسلكه هو طريق مظلم خطر يضل الانسان فيه ولا يهتدي الى السبيل السوي فان
هذه الفلسفة السلبية التي بمقتضاها يتجرد الانسان عن كل شيء سوى الساعة التي يعيش
فيها فلسفة هدم وتخريب لا فلسفة بناء وتعمير لانها فلسفة ترمي الى هدم امسنا الذي
نحن ابناؤه والذي نستمد منه عناصر القوة في يومنا لنعيش في غد عيشة رغدة .

امس واليوم وغد سلسلة ذات حلقات ثلاث لا ننقسم عراها ولا ننفك احداها عن
الاخرى ولا يمكن تصور تجزئتها لانها الحياة والحياة لا تنجزاً لان عناصر الحياة قوة
واحدة في شكل مادة واحدة وان اختلاف مظاهرها وحياتنا اليومية حافلة بالاحلام
والاماني والآلام وغيرها مما يختلج في الصدر في كل لحظة ويرد على الخاطر في كل
برهة والانسان لا يستطيع ان يتغلى عن امانيه وآلامه واحلامه وخيالاته واوهامه اذ
لا مندوحة له من هذه السلسلة التي لا تنفك تتجدد في كل يوم بل في كل لحظة ، على
ان هذه الانفعالات كلها وليدة الحوادث وكل حادث يستحيل الى ماضٍ بمجرد وقوعه
وهذه المشاكل او الانفعالات النفسية تحتاج الى متسع من الوقت لحلها وهذا الوقت هو
الغد فأمس واليوم وغد حلقات الحياة والوجود وكلها سلاسل وفيود لا يمكن التلصص منها .

إذا فما هو السر الذي جعل الناس يتهافون ويتلذذون بآرائه وكمالاته .
 لقد أراد عمر الخيام أن يحل المعضلة العظيمة التي لم يستطع أن يحلها أحد قبله ، أراد
 أن يفهم الحياة ففشل ولما فشل تشاءم ولما تشاءم أخذ يصور الحياة بأشنع صورة وزعم أنها
 ملأى بالآوجاع والآتراح مترعة بالأذى ، لذلك حث على عدم الاهتمام بها وأوصى بطلب
 اللذة اغتناماً لهذه الفرصة فهذه الفلسفة السلبية تلائم ذوق الفرد خصوصاً البائس المتألم ،
 ورأى الخيام في الحياة يتلخص فيما يلي :
 ما دام ليس في إمكاننا إيقاف دورة الفلك وما دمنا لا نعرف من أين جئنا وإلى أين
 نذهب وما دمنا مسيرين لا نخير بين وما دام العمر قصيراً والحياة أذى فيجب قتل هذا
 الوقت المؤلم القصير بالخمرة وعدم الاهتمام بالتقاليد .
 هذه كلمة موجزة في فلسفة عمر الخيام ، والآن نعود إلى أصل الموضوع وهو المقارنة
 بين المعري والخيام .

كنت في أثناء درسي لرباعيات الخيام أشعر بوجود نسب مثين وقرابة فكرية بين
 هاتين الشخصيتين وكنت كلما امتعت النظر في فلسفة الخيام ازدادت عقيدة بوجود شبه
 عظيم بين هذين الفذيين ، ولو أن توأمين نشأ في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة
 وتربيا في بيئة واحدة وطراً عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به
 شريكين فيه فتماثلت أخلاقهما وطباعهما وثقافتهن آراؤهما ونظراتهما في الكون ، لقنا
 أن المعري والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكان المشيئة الإلهية قد
 قدتها من أديم واحد وجبلت طينتهما في آنية واحدة وفي آت واحد وحبتهما طبعين
 وفكرين متقاربين متشابهين .

أن من غريب الاتفاق أن يكون الحكماء متماثلين في الأخلاق فكلاهما كان منقبض
 النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بأيديهم ما فتألم مستهزأ بهم مستحقاً
 بمقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لأمور غامضة أجل شأنها وأعظم قدرها
 من حطامها وكلاهما متطلع تائق إلى أسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما إبي النفس صادق

القول مطلق الرأي جري على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وزهياً وفضة ، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وبرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تأليفهما فقليلة ايضاً واما السياسة في زمانها فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري . واما فارس فقد كانت رحي الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانه نشأ في اكناف الدوا السجوفية التركية التي قامت مقام لدولة الغزنوية ولم نعم تلك الدولة الا بالسبف وكار، الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥ الذي كان يحل عمر الخيام اجلاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الآخر (نظام الملك) بطعنة باطني . تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما تشعبت آراؤهم في السنة التي توفي بها فال مؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ - ٥٣٠ وعمر كل حال فانه توفي في اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام - وهو تلميذ خيام - انه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات .

وذكر البيهقي في كتابه حكماء الاسلام وفاته فقال : حكى لي خننه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل في بحث الآهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلي واوصي ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول في سجوده اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي وان معرفتي اياك وسيلتي اليك ومات رحمه الله تعالى . اما ابو العلاء المعري فقد اجمعوا على انه ولد في سنة ٣٦٣ هجرية وتوفي في عاشر ربيع الاول من سنة ٤٤٩ . فعلى هذا يكون المعري اقدم من الخيام بما يزيد على نصف

قرن وهي مدة كافية لنشر كتب أبي العلاء ورسائله ودواوينه في اقطار العالم الاسلامي ولا يبعد ان يكون الخيام افثنى كتب أبي العلاء في طريقه الى الحجاز واطلع عليها . على اننا لا نريد ان نتهم الخيام ولا نغض من قدره ولا نقدح في علمه وفضله وعبقريته انما نريد ان نبحث عن هذه الآراء المتشابهة التي اشترك فيها الحكميان ، فالمعري . مقدم على زميله وعربي بحت لا يعرف إلا اللغة العربية والخيام متأخر فارسي مستعرب يعرف اللغتين وله شعران عربي وفارسي .

فهل الخيام عيال على المعري في مذهبه الفلسفي والشعري ينبغي ان نذكر أمثلة بهذا الخصوص .

« اتهامها بالزندقة »

كان كل واحد من الشيخين متهماً بضعف الايمان والمروق عن الشريعة وموصوماً بالتمبير الذي كانت شائعاً في ذلك العصر وهو (الزندقة) ذلك الجرم الذي ما الصق باحد الا كان جزاؤه الموت وكانت فرائص الاحرار ترتعد خوفاً منها وقد ذهب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس والحلاج والسروردي وغيرهم ضحايا هذه التهمة .

اما ابو العلاء فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريمة فقرأ (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً) يريد بذلك إهانة الشيخ ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقع فهجاه ببنتين .

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لم الدنيا قال المنازي والآخرة فقال ابو العلاء (والآخرة ؟) ثم اطرق ولم يكلمني حتى قتت عنه .

وزاره بعض القضاة فقال له ابو العلاء لم اهج احداً . قال صدقت الا الانبياء قال فغيرلونه .

وقد ابتلي عمر الخيام بما ابتلي به صاحبه فقد وصمه (شيخ نجم الدين الرازي) في كتابه (مرصاد العباد) الذي الفه سنة ٦٢١ هجرية بأنه ممن يدين بدين الفلاسفة والدهريين الطبيعيين وكان القائلون بهذا المذهب كفاراً ضاللاً في نظر الناس وقد احتج نجم الدين على ضلاله وزندقته باحدى رباعياته وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

ومما يؤيد ظن الناس به ظناً سيئاً واتهامهم له بالزندقة قول (القفطي) (ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من لسان قلمه وحج متافاة لا نقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ٠٠٠ الخ) وقول القفطي فيه بدل على ان الناس كانوا بناوئونه و يتناوشونه بالكلام القارص البذي ولا اشك في ان الذين كانوا يتهمون عليه و يغرون العوام بايذائه هم رجال الدين وهذا شأنهم في كل عصر مع الاحرار والعطاء الا ان الخيام لم يقصر في رد كيدهم في فجورهم واظهار ما يبطنونه من المكر والخبث فقد قذعهم في كثير من ربايعياته فمن ذلك قوله في المني واظنه كان من مناوئيه :

اي مني شهر ازتوير كار تريم باين همه مستي زتوهشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان انصاف بده كدام خو فخور تريم
يا مني المدينة انا احسن منك عملاً ومع كثرة مكرونا فانا اصحى منك انا اشرب
دم العنقود وانت تشرب دم الناس فانصف فأينا شراب الدماء .
« اعتقادهما بالجبر »

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعري في مقدمة (اللزوميات) على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما افه بقضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً اياه ومناضلاً عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلي الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد
...

ما باختيار ميلادي ولا هومي ولا حيائي فهل لي بمد تخير
...

جئنا على كره ونرحل رُغماً ولعلنا ما بين ذلك نجبر
...

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها ليس بمجبرني النقل
...

ولم نحلل بدنينا اختباراً ولكن جاء ذلك على اضطرار
 اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل
 فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازم التضاد والشر
 عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع
 القول بامتناع تعدد الواجب . (الثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه
 بالتحقيق : الجبرية القائلون بالجبر ونفي الاختيار عن الممكن ام القدرية الناصبون الى
 العبد خلق افعاله . (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعاني اي انه صفة
 زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم .
 فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حل فيه هذه الابطال تحليلات دقيقة وكان جوابه
 على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب
 الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجج
 في هذيانه ويتغفل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً وما يؤيد ذلك قوله في
 احدي رباعياته .

آورد باضطرام اول بوجود جز حيرتم از جهان جيزي تفزود
 رفتيم با كراه وندانيم جسه بود زين آمدن وماندن ورقن مقصود
 جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين ولم
 نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

بر هككارم هزار جاد ام نهي كوي كه بكيرمت اكر كام نهي
 يك ذره ز حكم تو جهان خالي نيست حكم تو كني وعاصيم نام نهي
 تضع الاشرار يا آهي في الف مكان من سبيلي ونقول انك اذا وطأناها فاننا نهلكك
 لا تخلو ذرة في العالم من حكمك انت نعمك ونقدر علي وانت تسميني بالمعاصي .
 « البعث بعد الموت »

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد في الدنيا ، وكان فلاسفة
 اليونان الآلهيون ولا سيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون
 ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التي لا تلبث

ان بتطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدمي عقلي وهناك تحيي حياة إما شقية وامام سعيدة لقاء ما أثنه في الحياة من آثام أو أعمال مبرورة . اما ارباب الدبانات فرأيهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث والمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه تارة منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأب الزاعمين حشر الاجساد ومستهمزاً باقوالهم وطوراً معترفاً به مما يصعب على الباحث ان يصدر حكماً قطعياً ورأياً نهائياً بالسلب او الايجاب وقد لمس خيام هذا الموضوع استطراداً وذلك اثناء بحثه عن الخمرة وحشه الناس على شربها فن قوله :
 زآن بیش که غمها شبنون آرند فرماید که تاباده کلکون آرند .
 نوزرنه ای غافل نادان که ترا در خاک نهند و باز بیرون آرند .
 صاحب قبل ان تهجم عليك غموك على غرة مرليأتوك بالخمرة اللازوردية . ايها الغافل الجاهل انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى .
 ما لعبه كمانيم وفلك لعبت باز ازروي حقيقتي نه ازوري مجاز .
 باز بجه كنان بديهر نطع وجود رفتيم بصندوق عدم يك يك باز .
 نحن ألعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .
 فقله (انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد) دليل على انه لم يكن معتقداً بالحشر والنشر كما يعتقد به المسلمون غير اننا نراه في موضوع آخر يبرم ما نقضه .

از خالق كرد كار و زرب رحيم نو ميد نيم به جرم وعصيان عظيم
 كرمست و خراب مرده باشم امروز فردا بخشد به استخوانهاي رميم
 لست قانطاً من رحمة الله للرحيم الجرمي وعصيان العظيمين وان انا مت اليوم سكران فانه
 سيفتر (غداً) رميم عظامي .

وكلمة (غدا) هنا لا تفسر الا بهوم القيامة التي يكون بها البعث والحساب والعقاب والعذاب .

وعمر الخيام بنقضه وابرامه يشبه ابوالعلاء المعري فان الثاني اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً فكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فمن قوله الذي أثبت فيه البعث :
واني لأرجو مده يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمين الى البسرى
اذا راكب نالت به الشأ وناقة فما أيتني الا الظوالم والحسرى
وان أعف بعد الموت مما يربيني فاحظي الادنى ولا يدي الحسرى
ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحاً :
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تخطئنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك
وقوله :

اما الجسوم فللنراب مآلها وعيت بالارواح اتي تسلك
على انني ارتأي ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معنقد بحشر الاجسام وخلود
الأرواح واما الابهات التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها نقيية وخوفاً من
الناس وسخط الجمهور عليهما (والشك) ولا ريب أثبت في الانسان من اليقين ولا سيما في
فضية هي اقرب الى الخيال الشعري من الحقيقة اليه .
وكان ابوالعلاء المعري يرى النقيية ومداراة الناس ويحتاط في اظهار آرائه ويعول
على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفي لزومياته شعر كثير نستدل به
على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى في الصديق مهلكة وبعد ذلك فاكذب فاعداً وقم
وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فافصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسي من معايبها اني أعيش بنمويه وتدلّيس
اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل او من رهط ابليس

فهذه الآيات تدل على أن أبا العلاء كان سيئ الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) حنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو أبي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع الأذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزير جمال الدين أبي الحسين علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي » مانعه : « ولما قدح أهل زمانه في دينه وأظهروا ما أمره من مكنونه خشي على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحجج متافاة لائقية وأبدى أمراراً من السرار غير نقية » .
وعما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض ربايعاته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم انشاء ما يمكنه ضميره خوف البؤله من صغار العقول وضعفاء الحلووم .

باهر بد ونيك راز نتوانم كفت كوته ستخنم دراز نتوانم كفت
حالي دارم كه شرح نتوانم داد رازي دارم كه باز نتوانم كفت
لا أستطيع أن أبوح بسرّي لكل طيب وخبيث أنا فقير الكلام لا أستطيع أن
أطيله . لي حال لا أستطيع أن أشرحها وسراً لا أستطيع أن أقوله .

ولاسيّما أن عصر الخيام كان عصرًا طافحاً بجماعات من المتصوفة العمي الأبصار والقلوب
وزمر عظمية من المتزهدين الناسكين الذين أعمى التعصب الممقوت أفئدتهم وأطفأ سراج
عقولهم فكان من حقه أن يشكتم وأن لا يروح بأرائه افتداءً بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء
الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .
وقد انعظ الشيوخ بالفجائع والرزايا التي أنزلت بزملائهم وأنسابهم في الرأي من
الأحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من أجل
ذلك عذاباً بالياً .

والنطم الذي أضحج عليه صالح بن عبد القدوس ، والسياط التي ألمبت جسد الحكيم
الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذي صلب عليه الصوفي الشهير أبو منصور الحلاج ،
والسيف الذي برعنق الفيلسوف السهروردي وغيرهم من الفطاحل الأفاضل إلى غير ذلك
من الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبثاً ودروساً .

« التناصح »

التناصح مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا أن الإنسان

إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة وقد مدعهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام وذلك منذ أواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبدالله بن سبا^(١) الذي قال اعلي عليه السلام (أنت أنت) أي أنت الآله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الآهي في الأئمة بعد علي . ومثل هؤلاء اصحاب ابي كامل^(٢) الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ منتقلاً من شخص الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص بكوت امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على اصنافهم منفقون على التناسخ والحلول واقدم كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من النجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كإشراق الشمس في كوة او كإشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بجيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والنسخ والنسخ والنسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافات .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوكوفسكي في تاريخ الالفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة في حاجة الى ترميم واصلاح فكان مرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حميراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتكرب من الحمير وقرأ في أذنه هذه الرباعية :

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢ و ١٣٣ من كتاب الملل والنحل .

اي رفته و باز آمده بل هم كشته نامت زميات نا مها كم كشته
 ناخن همه جمع آمده و هم كشته ريش از يس كون در آمده دم كشته
 ايس . يا ايها الذي ذهب وعاد سرّة أخرى وصار (كالانعام بل هم اضل سبيلا)
 قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في عجزك
 فصارت ذيلاً .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن مر ذلك فأجابهم ان الروح التي حلت في
 جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها
 غير انه لما شاهد رفقاءه الاقدمين رضي بالدخول .

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلاً ان يعتقد بانها من
 القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الأحاديث التي يخلطها العوام لان هذا الرجل الذي
 دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على
 رجاحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان ينفوه بهذا الرأي المبطل
 المأفون . هذا من جهة ومن جهة أخرى ان ربا عيانه التي اشتهر بها والتي أودعها آراءه
 الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكرانه البعث والحشر والنشر وبقية
 بالعدم المحض لذلك يطلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران
 وفي لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهتد به النقل
 فلا تقبلن ما يخبرونك ضلالة — اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل
 « تشاؤمها » .

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وآراءهما في الكون تدل على انهما كانا (متشائمين)
 متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود
 خطب والحياة خطب والموت خطب والناس أشرار ذوو غدر وخيث وطباع فاسدة وان
 كل شيء في الكون خبيث رديء وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان آلام الحياة
 وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وأفراحها .

والتشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة اوجاعهم وهذا المرض العضال يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة بالامراض القليلة الأرزاق الفقيرة التي مافيها عمل ولا كسب وكثيراً مايحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقفي لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور خرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت الحاجة زال التشاؤم سريعاً .

اما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم شأنه كبير فانه يتولد في نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وامور مبہمة لم يتوصل العقل للبشرية الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخلقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون ومنشئه وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود ومتناهي او هو غير محدود وغير متناهٍ والأزلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الأمرار والألغاز التي ماتأمل فيها احد الارجعت تأملاته على أعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك فسرّاً لا اختياراً والشك الذي هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد (التشاؤم) ويورث الألم واليأس . وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليفة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولا ريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء بأس مظلم مخيف وخيالات مرعبة واحلام محزنة والانسان مفلتور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكدر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشاؤم الذي لامندوحة عنه ما دام موقفاً بها .

وقد أعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء أوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما أوجده وان هناك حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم

طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وانت هناك تاراً ملتجة فيها ألوان من العذاب
أعدت للمجرمين الآثمين .
فهذا الأمل الرائم يفتح المعتقدين راحةً وسلاماً وأماناً في الحياة فطوبى للمعتقداً المؤمن
وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعري الذي تدل كلماته وأقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً في وجود
خالق صانع مدبر ، حائراً في سبب الخليفة والايجاد والفناء ، شاكاً في العقائد التي من
ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (منشأماً) وهذا هو الواقع
وانك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيغاته الأليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلمس
بأسه وقتلوطه في شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتبابه العظيم .
وهذه الآراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصاب والمكبات التي ألمت به بفقدان
بصره وموت أبيه وأمه وفقره وروحه هي التي أشعلت في قلب الشيخ جذوة اليأس والألم
فراح يكيل للأديان السباب وللأنبياء الشتم وللناس القذع ، ما فتئ الحياة وسكانها مرسلات
خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلاً عن الناس ، منزوياً قابلاً في كسر داره
لنقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف اللضي واليأس والبؤس وهل هناك برهان أقوى
على مقتته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره .

هذا جنس ابى عا ي وما جنبى على احد

وقوله :

اراني في الثلاثة من مجوني فلا تسأل عن الخبر النبى
لفقدى ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقتته الناس :

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب في أومه والناس كالنناس
ونفكرت نفس الليب وقد رأت أشخاص جن أم أشخاص أناس

عرب وعجم دائلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

والشر طبع قد بثت غريزته مقسومة بين أنواع وأجناس

سجايبا كلها غدر وخيبت توارثها أناس عن أناس

وقد تزاممت هذه الافكار في دماغ عمر الخيام كما تزاممت في دماغ صاحبه المعري
وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهته
للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لو لم يكن مخلوقاً في الدنيا .

كرآمدنم بمن بدى نامدى ورنيز شدن بمن بدى كى شدى

به زان بندى كه اندرين عالم خاك نه آمدى نه شدى نه بدى

لو كان محبتي باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بددي لما رغبت ان اخلق . الا فضل
أنني لم اكن في هذا العالم ولم اجئ اليه ولم اخلق ولم ابق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتفقا
وانفقا على تشخيص الداء الا انها اختلفا في الدواء .

« الخمرة — المنية »

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة . وكان
المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء
الموت . وفي طاقنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد
ذهب في المغالاة بمدحها والامراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل به ضن
الباحثين ان يسيثوا به الظنون ويعتبروا أقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب
الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس
ونسكناً للآوجاع وتخفيفاً للآلام والاكدار وما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا
المعنى قوله :

بزجاجتين قطعت عمري وعليها عولت أمري

فزجاجة ملئت بخمر وزجاجة ملئت بخمر

فبذي أدون حكمتي وبذي ازيل هموم صدري
وتدل رباعياته على انه لم يشرب لجرد اللهو والعبث وانما اتخذها دواءً كما يتخذ المريض
الدواء لمرضه وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد الهموم وتفريج
الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :

مى خوردن من نه از برای طرب است في بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه بخیوری بر آرم نفسي مى خوردن ومست بودم زین سبب است
ليس شرب الخمر من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب . انما أريد ان النفس
المصداء وانا ذاهل عن نفسي فشرب الخمر وسكري لهذا السبب .

از آمدن بهار واز رفتن دی اوراق وجود مایمى کرد دطی
مى خورمخور اندوه كه گفتست حكيم غمهای جهان جوز هر و تریاكش مى
بين مجي الربيع وذهابه لنطوي اوراق وجودنا . أشرب الخمر ولا نألم فقد قال
الحكيم ان آلام الحياة سم ودر ياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة
الحب) او (خمر الحقيقة) او (السكر المقدس) وهي الخمر الخيالية التي ينشدها شعراء
الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن
باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعة الحمراء بنت
الكروم لآبادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كائيتان في دحض
هذا الزعم .

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بدیعة تدل على انه كان ممن دارس الخمر
ومارس شربها دهر أطويلاً فهو في وصفه الرائع أشبه بابي نواس في وصفه لها حتى لقد سن
للسكاري قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

كرباده خوري تو باخرد مندان خور يا باصنى لاله رخی خندان خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز اندك خور و كه كاه خور و بنهان خور
اذا شئت شرب الخمر فاشربها مع العقلاء او مع ملج صحوك ذي محيا منير ولا تشرب
كثيراً ولا تفحش في الكلام اشرب قليلاً وبين آونة وأخرى وفي الخفاء .

أما شيخ المعرفة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى وأكثر من ذم الخمرة وقبحها وندد
بشاربيها وزعم أنها سالبة العقول هانكة الوفار مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة في
لؤميانه فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهي عدوة من الصهب مشت في مفاصلك السكر

البابلية باب كل بلية	فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره	واذى النديم وفرقة الاحباب
ام الحباب وان أميت لمهبها	بمزاجها وافت ككأم حباب
هتكت حجاب المحضات وجشمت	مهرت العبد نهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم	لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألقيت	صهب الدنان اعادي الالباب

دبيب نمال من عقبار تغالها بجسمك شر من ديبب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت قلاها اصيلات النهى والتجارب

تجزع موت لا تجزع لذة من الخمر في كاساتهم والابارق
قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطباً وشرّاً يجب التخلص منها
أما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة لإنجيته منها هي (الخمرة) وأما المعري فقد ذمها وكان
يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمنى لها في كثير من
شعره فمن قوله :

أما حيائي فإني عندها فرج	فليت شعري عن موتي اذا قدما
صحبت عيشاً أعانيه ويغلبني	مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زماناً شمره لب	اذا دنا خبوت عاد فاخذنا
من باعني بحياي نبتة مرحة	بايعته واحبات الله من ندما

رب متى ارحل عن هذه الـ دنيـا فاني قد اطلت المقام
لم ادر ما نفعي ولكنه في النخس مذ كان جرى واستقام
فلا صدقي يترجى يدي ولا عدوي يتخشى انتقام
والعيش سقم للنفى منصب والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثوي ومثوام وما رأينا احداً منه قام

* * *

ملأت عيشي فعوجي يا منية بي وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدي سيوجد امسي لا ينار عني في ذلك خلق وامسي لا يصير غدي
« مصير الجسم بعد الموت »

وقد اختلف الحكماء ايضا في قضية مصير الجسم بعد موته فكانت ابو العلاء تارة
يحمل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس
ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :

خفف الوطأ ما أظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجساد
مر ان اسطعت في المواء وبدأ لا اختيالاً على رفات العباد
ومن قوله في عدم تكريمه :

تكرم اوصال النقي بعد موته وهن اذا ظال الزمان هباء
وقد غالى المعر في عدم الاعناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهند حرق
أمواتهم .

فالعجب لتجربى اهل الهند منهم وذاك ارواح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشون من ضيع تسرى اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غبا واذهب للنحس كراء والريح
وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكانت مبالغا في تكريم الجسد موصيا
الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلا انها اجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .
اي كوزه كران بكوش اكره شياري تاجند كني بر كل آدم خواري
انكشت فريدون وكف كينسرو بر جرخ نهاده جه مي بنسداري

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتهين : حتى م تظلمون طينة ابن آدم . انكم قد
وضعتم اصبع فريدون وكف كينسرو على الدولاب فماذا تظنون ؟
دي كوزه كري بديدم اندر بازار بر باره كلي لكدمي زد بسيار
وان كل بر بان حال باوي ميكفت من همجوتوبوده ام مرانيه كودار
رايت امس خزافاً في السوق وكان ير كل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول
للخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملني بالحصني .
وقد عاش الشيخان عزيزين ولم يتزوجا وكان رأي المعري في المرأة مبثماً وكان يكره
النسل ويرى الزواج إثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجني على غيره كما جنى عليه ابوه
وفي ذلك يقول :

وارحت اولادي فهم في نعمة الـ مدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لمانوا شدة ترمي بهم في موبقات الآجل

فالبث وحيداً لا وصية نمة في ذراك ولا وصيف
ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه في الزواج والمرأة والنسل .
لقد علمت ايها السادة مما تقدم ذكره ان عمر الخيام لم يأتنا بشيء جديد وانما كرر
ما تكلم به قبله شيخ المعرة وترنم بعين النغمة التي كان يترنم بها حكيمنا الجليل . فسلام
على الجزيرة وسلام على ربوع الشام منبت الفحول العظام .

احمد حامد الصراف

المرافي

رسالة الكرم

- ٢ -

« اول ما ينبت من الحب والغرس »

اول ما ينبت من الحببة نسيبه الحببة ما لم نغرسه بايدينا فنزعه ثم نغرسه . فاذا غرسناه سميناه غرساً . هكذا جاء في الكتاب المنسوب للاصمعي ولم أر من ذكر الحببة بهذا المعنى . والذي في اللسان والتاج ان الحببة واحدة الحنن وهو صغار القردان ولا معنى له هنا واعلمها بحرفة عن الحببة . ويؤيد هذا ما جاء في الخخصص فقد قال فيه : قال بعض الطائفتين اول ما ينبت من الحببة يسمى الحببة ما لم ننزعه فنغرسه بايدينا فاذا نزعناه ثم غرسناه سميناه غرساً وسيأتي عن التاج ان الحببة كشبة العنب اول ما ينبت من الحب ما لم يغرس جمعه حي كهدى .

وقال في الخخصص ايضاً اذا نبتت حبة العنب وهي العجمة والحصرمة والفردد وهي طائفة . والنواة فهي حببة ما لم ينزع نباتها من موضعه فيغرس فاذا نزع ثم غرس سمي 'غرسه' (هكذا ضبط بالشكل بضم الغين ولم ارها لغيره) وسيأتي تحته بق اسمها في الغراس . الاصمعي عن ابي الخطاب . العنب اول ما يغرس يكون غرسه ثم تصرم في قمر قابل اي يقطع من غصونها ما يبس منها اجمع حتى يبقى منها اصلها ثم نخرج لها شكر فاذا علفت الفريسة قطعت من وجه الارض وترك اصلها وعروقها في الارض فاذا قطع رأسها دُمَّتْ بالدِّم من اي التي على اصلها الدمن وهو السرجين .

فاذا نبت اصلها الذي في الارض ثانياً فهي نشأة . وقد أنشأت اذا نبتت . وفي القاموس النشئة والنشأة ما نهض من كل نبات ولكنه لم يغلظ بعد ونحوه في اللسان . ويأتي نشأ بمعنى حي ، وارنفع ، وربا ، وشب ، وبدا .

ويقال مري عرق الشجرة في الارض يسري مرياً ، دب تحت الارض . وقد تقدم ان عروق كل شيء اطناب تنشعب منه واحدها عروق والعرقاة بالكسر جمع عروق وعرقاة وقال الليث العرقاة من الشجر أرومة الأوسط ومنه تنشعب العروق . ويقال أنشع الشجر والكوم اذا نبت بعدما قطع .

الغرس — عتاقيل الكرم ماغرس منه . ولم يذكر لها واحد . قال الشاعر :
 نجذ رقاب الاوس من كل جانب بجذ عتاقيل السكروم خبيرها
 القليل — قضبان الكرم للغرس وهو ما أخذ من أمهاته ثم غرس والافتسال قطع
 غصنة الكرم للغرس . وامم الغصن الفصل .
 العكيس — القضيب من الحيلة يعكس تحت الارض الى وضع آخر . (الاصمعي)
 العكيسة التي تمس الارض في قضبانها وهي أغلظ من الشكر .
 الشكير كقضيب الكرم يغرس من قضيبه جمعه شُكُر كقَضُب والفعل منه شكير
 كفرح وأشكر واستكر .

وشُكُر الكرم (قضبان الطوال) وقيل قضبانه الأعلى .
 وفي المخصص فان غرس الكرم من قضيبه فامم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو
 ايضاً زرجونة ثم قال والحيلة كالشكير .

والشكير ما ينبت من القضبان الغضة الرخصة بين القضبان العاسية . وما ينبت حول
 الشجرة من اصلها . او ما ينبت في اصلها من الورق ليس بالكبار والشكير ما ينبت في
 اصول الشجر الكبار . والورق الصغار ينبت بعد الكبار وقيل الشكير الشجر الذي
 ينبت حول الشجر .

الغريسة شجر العنب اول ما يغرس ، والنواة التي تزرع ، والغرس بانفتح الشجر الذي
 يغرس وألجم أغراس وغراس والغرس القضيب الذي ينزع من الحبة ثم يغرس .
 والغراس بالكسر زمن الغرس ووقته وما يغرس من الشجر والمغرس موضع الغرس وجمعه
 مغارس وغرس الشجر من باب ضرب وأغرسه ايضاً بمعنى أثبتته في الارض فالشجر مغروس
 وغراس وغرس كما تقدم ولم نجد غرسة بضم الغين او بفتحها في اللسان والناج والمصباح
 ولعل الاولى تحريف والثانية واحدة الغرس فتأمل .

ويقال نبئت الزرع والشجر نبيئاً اذا غرسه ، والنسابت من كل شيء الطري حين
 بنبت صغيراً . ويقال استأصلت الشجرة نبئت وثبت أصلها .

« التطعيم »

أطعم الغصن إطماساً وطممه نطعياً إذا وصل به غصناً من غير شجره فطعم الغصن
أي قبل الوصل .

الغروز بالضم : الاغصان تغرز في قضبان الكرم للوصل واحدها غرز بالفتح والتغاريز
ماحول من قبيل النخل وغيره الواحد تغريز سمي بذلك لانه يحول من موضع الى موضع
فيغرز وهو التغريز .

وغرز عوداً في الارض وركزه بمعنى واحد ، وكل ما سَمَرَ في شيء فقد غُرَزَ وغُرِزَ
« ماء الكرم »

أغطي الكرم اذا جرى فيه الماء وزاد ونما .
التوجيم : ان ينطُف^(١) الماء من عود النواحي اذا كسر يقال وَحَمَّتْ الكرمَةُ نُتَوَحَّمُ .
الدماع كزمان وغراب ما يسيل من الكرم في ايام الربيع . كذا في اللسان والمخصص
وافنصر الصاغاني على الاول قال في التاج وفي نسخ الصحاح والاساس بالتخفيف .
النسخ بالضم ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت .
وقد تقدم ذكر الطل وهو الندى الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها .

« الأبن والزمع وما شاكلها »

واذا جرى الماء بعد الخطاب قيل أَفْطَرَّتْ شكره ثم يقال ازغبت .
ويقال ازغب الكرم وازغاب كاحمر واحمر اذا صار سفيأبن (عقد) الاغصان التي
تخرج منها العناقيد مثل الزغب^(٢) وذلك اذا جرى فيه الماء وبدأ يورق .
الأبن جمع أبنه بالضم وهي العقدة في العود او العصا ويقال لها عين وجمعها عيون
وقد تقدم ان قطع الشجر أبنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قطعة .
الزمع محركة أبن تكون في مخارج عنافيد الكرم . وقيل الزمعة الحبة اذا كانت مثل
رأس الدرة واحدتها زمعة بالتحريك وتجمع على زمعات . ويقال ازمعت الحبة اذا عظمت

(١) نطَف الماء ينطِف وينطُف قطر قليلاً قليلاً .

(٢) الزغب اول ما يبدو من شعر الصبي والمهر وريش الفرخ .

زمرتها ودنا خروج الحجة منها . وفي اللسان الزمرة الطلعة في نوأمي الكرم بعد ما يصُوف^(١) .
 وقيل العقدة في مخرج العنقود . وفي الاصمعي اذا رأيت فيه الطلع قلت أزمع وفيه ايضا
 العنب اول شيء يخرج منه ان تعظم الزمرة فاذا عظمت جداً سميناها بنبقة ثم يكون
 حثراً ثم يكون غصناً^(٢) وذلك اول ما بعد فلا يزال غصناً حتى يأخذ في النضج ويرى
 فيه السواد .

فاذا عظمت الزمرة سميت بنبقة كسفينه .

ويقال اكمت البنية^(٣) اذا ابيضت وخرج عليها مثل القطر .
 وفي المخصص والبنائى . هي الكوافير اي الاغطية .
 ويقال اكبح الكرم بالخاء المعجمة اكبحاً اذا تحرك للابراق . واكبح بالخاء المعجمة

(١) هكذا ضبط في اللسان في مادة زمع وقد ذكر في مادة : صوف ، صوف الكرم
 بتشديد الواو وهو الموافق لما في التاج والاصمعي والمخصص .
 (٢) هكذا في نسخة الاصمعي وكتب الشارح في ذيلها عند هذه اللفظة اي (غصناً)
 ومنه أغصن العنقود وغصن اذا كبر حبه شيئاً . ومن البين ان قوله ثم يكون غصناً وذلك
 اول ما بعد الخ ينافي قولهم أغصن العنقود اذا كبر حبه شيئاً فني العبارتين تباين بين .
 والظاهر ان في العبارة تحريفاً لم يقطن له الشارح وان اصلها هكذا : ثم يكون غصناً .
 وقد وقع في عبارة اللسان في تفسير الغض خطأ : وذلك انه قال والغض الحثين
 من حين يعقد الى ان يسود ويبيض وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج الخ . ولا معنى
 للعين ولا يجدر في هذا المقام والصواب في الاول الحثين وفي الثاني يجدر كما تدل عليه
 عبارة المخصص فقد جاء فيه : اذا صار حب العنب فوق النفض قيل جدر ثم يكون
 غصناً . ثم قال والغض من صفات الحثين . ثم قال وقيل هو غض من حين يعقد الى ان
 يسود ويبيض . وقيل هو بعد ان يجدر الى ان ينضج وقد جاء عن الاصمعي ما يؤيد ذلك
 فيما نقله عن ابن الخطاب : ثم يجدر اذا كان فوق ذلك . قال يخرج مثل الجدري ثم
 يكون غصناً ثم يرق حتى يلين ويطيب وسيأتي ذلك مفصلاً في مواضعه .
 (٣) في اللسان الزمرة .

بدت زمعاته وذلك حين يتحرك الاوراق .
وفي اللسان حثرة الكرم زمعته بعد الاكباخ وسيأتي الحثر في العنقود .
« نقطينه »

ويقال قطن الكرم نقطيناً وعطب تعطيباً اذا بدت زمعاته وظهرت . وفي المخصص
اذا تحرك الاوراق فبدت زمعاته ظهر لها عطب فيقال قد عطب الكرم وقطن واكبح وفي
اللسان العُطْب والعُطْب القطن واحدنه عطبة .
« تجبيه ونفثه »

جدر الكرم كدفرح اذا حجب وهم بالاوراق . وفي اللسان جدر التبت يجدر وجدر
جدارة وجدر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او نصف شهر .
الأصمعي صوف الكرم بدت عيونه . وفي المخصص فاذا بدت عيون النواصي بعدما
نصرم قلت صوف . وفي اللسان والتاج : صوف الكرم بدت نواصيه بعد النصرام يقال
نصرم النخل والشجر والزرع اي جزه . والنصرام بالفتح يكسر أو ان ادراكه . والنصرم
القطع البائن للعبل والعذق ونحو ذلك النصرام .

ويقال بعص الشجر اذا تفتح للاوراق . وبصصت البراعم اذا تفتحت اكثة الرباض
وبصصت الارض ظهر منها اول ما يظهر من نباتها كبصصت وأبصت وأوبصت .
وجصص العنب والشجر وهو اول ما يرى منه شيء قد خرج مثل بصص مأخوذ من
تجصيص الجرو اذا هم ان يفتح عينيه . وجصص العنقود هم بالخروج .

الخضب ما يظهر في الشجر من خضرة عند ابتداء الاوراق وجمعه خضوب وخضب
الشجر يخضب خضوباً . وخضرب وخضيب واخضوضب صكلة بمعنى اخضر وخضبت
الارض خضباً طلع نباتها واخضر .
« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »

- ٢ -

(١٥) - وجاء في ص ٢٠٥ س ١٥ يصف العدو الذي استسلم : فأبصر بالخدمة موضع رشده اه . ذكر الاستاذ ان الصواب : « فأبصر بالخدم » بدل الخدمة وقال : (لان الخدم سبب ابصاره رشده اما الخدمة فانما تصح ارادتها على استعكراه وتكلف) اه ونقول : ان الباء في قوله بالخدمة ليست بمعنى السببية كما فهم الاستاذ وبني على ذلك انتقاده وانما هي بمعنى (في) الظرفية والمراد ان هذا العدو قد أبصر رشده - في رجوعه الى الطاعة وملازمته للخدمة وبذلك على ذلك قول الكاتب قبل هذه العبارة (وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلاً) ويأمل اسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلاً اه) . وإذ لا موجب لتغيير لفظ الخدمة بالخدم مادام المعنى صحيحاً لاستعكراه فيه ولا تكلف .

(١٦) - وجاء في ص ٢١٤ س ١٥ يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابا بكر ارسلها الى سيدنا علي « ومخبات الصنادق » اعترض الاستاذ على قوله : « الصنادق » (بان صوابه الصناديق بالياء لمكان الواو في مفردة وهو صندوق) . ونقول : أجاز علماء الكوفة حذف الياء من مماثل مفاعيل كما أجازوا زيادة تلك الياء في مماثل مفاعل فنقول في جمافر جمع جعفر : جمافر كما نقول في عصافير جمع عصفور : عصافر ، ومن الاول قوله تعالى : (ولو ألقى معاذيره) والاصل معاذره بدون ياء جمع معذرة . ومن الثاني وهو حذف الياء قوله تعالى : (وعندهم مغاث الغيب) والاصل مغاث بالياء جمع مفتاح ، واذ كان ذلك مذهباً لبعض علماء الصرف مستشهدين على صحته بالثزبل العزيز وهو حجة لا تجحد لم نشأ والحالة هذه ان نغير ما جاء في الاصل فنزيد ياء في قوله : « صنادق » لجواز ان يكون صاحب هذا الكلام جارياً على مذهب الكوفيين في ذلك .

(١٧) — وجاء في ص ٢١٧ من ٥ (والتعريض سجال الفئنة اه) . والسجال جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة ، يريد بهذه العبارة ان التعريض بالكلام وهو التلميح به الى عيوب الخصوم يحمل الشر والفئنة في ثنائه كما تحمل الدلو الماء . واذن فعبارة الاصل مستقيمة لا خطأ فيها ، وقد وردت هذه العبارة ايضاً في صحيح الأعشى وقد قال الاستاذ ان الصواب (شجار) بدل (سجال) كما في نسخة المخطوطة لمخاضرة الأبرار ، وقال في تفسير الشجار انه من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار ، ومعنى كون التعريض شجار الفئنة ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم تثير الحفاظ وتعيج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفئنة) الخ كلام الاستاذ . ونقول : « ان المعنى متى استقام على الرواية الاولى فلا موجب لطرحها ووضع غيرها مكانها على ان القاري المدقق اذا وازن بين الروايتين ونظر بذوقه ليعرف اي المعنيين أقرب الى الأذهان واي السكتين أشبه بالأساليب العربية في مثل هذا الغرض الذي نحن بصدده لتبين له واضحاً ان المعنى في الرواية الاولى أشد تبادراً الى الذهن وأقل تكلفة في توجيهه من الرواية الثانية التي نقلها الاستاذ عن مخاضرة الأبرار كما يظهر له ان التعبير بسجال أقرب الى الأساليب العربية في مثل هذا المعنى من التعبير بشجار وانك اذا راجعت كلام العرب وجدتهم اذا ذكروا الفتن والحروب شبهوها بالاشياء المظروفة كالماء ونجوه ولبس أدل على ذلك من قولهم : (الحرب بيننا سجال) قال في اللسان في تفسير هذه الكلمة مانصه : معناه (اننا ندال عليه مرة وبدال طيناً أخرى وذلك لان المستقيمين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سجل اي دلو ملاء) اه . فأت ترى من هذا ان المساجلة في الحروب اصله من السجل وهو الدلو على التشبيه .

(١٨) — وجاء في ص ٢١٨ من ٧ من كلام ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى علي قال : (ما هذا الذي تسول لك نفسك . . .) الى ان قال : (ويسري فيه ظعنك) اه يريد بقوله : (ويسري فيه ظعنك) إظهار العجب والدهشة من هذه الخطة التي اتبعها علي رضي الله تعالى عنه معه حين ابي عليه البيعة فقال : (ما هذا الذي يسري فيه ظعنك ، اي ما هذه السبيل المظلمة التي تسلكها ويسري فيها ركبك على غير هدى متبعاً بسلوكم

غير سبيل المؤمنين كأنه يقول : ان هذا خلاف ما نعرفه منك ، ونهده فيك) . وقد ذكر الاستاذ « ان في نسخته المخطوطة لمحاورة الأبرار : (ويستشري فيه ضغتك) ورأى تفضيل هذه الرواية على الاولى » . ونقول : اننا لم نثبت وحدها للتفضيل احدي الروايتين على صاحبتهما ونرى انهما مستويتان في ظهور المراد وتأدية الغرض والثنا بها مع ما قبلها من الكلام على انه ان كان هناك وجه للتفضيل فان الرواية الاولى أبقى باخلاق ابي بكر وأنسب بأدابه دون الثانية لما فيها من شتم علي رضي الله تعالى عنه ونسبة الضغن والحق الى صدره المأهول بالنقوى المغمور بأداب الكتاب والسنة .

(١٩) — وجاء في ص ٢١٨ س ١٠ من كلام ابي بكر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (أو مثلك ينقبض عليه الفضاء) الخ المعنى أو مثلك في ذكائه وفيلذنه يضيق عليه المتسع من الامور ، وتلتوي عليه سبل الرشده مع ظهورها ، وتختفي عليه طرق الهداية مع وضوحها واستبانها . وقال الاستاذ : « اعمل الأصوب ما في النسخة الأخرى اي نسخة محاضرة الأبرار : ('بغص' عليه الفضاء) مكان (ينقبض) اي يضيق عليه الفضاء » . ونقول : ان الانقباض ايضاً يؤدي هذا المعنى فانه ضد الاتساع والانبساط وما دام المعنى واحداً في كلتا الروايتين فلا وجه للتفضيل احدهما على الأخرى .

(٢٠) — وجاء في ص ٢١٩ س ٩ في كلام ابي بكر ايضاً : « لا نبأغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه » الخ . قال الاستاذ : (ان الصواب إسقاط احدي الكلمتين إما كلمة (مراداً) او كلمة (الى شيء) فتكون العبارة هكذا : ولا نبأغ الى شيء الا بعد الخ او (ولا نبأغ مراداً الا بعد) الخ كلام الاستاذ . ونقول : ان تخطي الاستاذ لعبارة الاصل وتصويب حذف احدي الكلمتين انما مربيا اليه من انه فهم ان قوله : (الى شيء) متعلق (بنبأغ) وليس كما فهم ولكنه متعلق بقوله (مراداً) وفعل الارادة يتعدى بالي اذا ضمنه معنى الحاجة والاضطرار ومنه قول الشاعر :

اذا ما المرء كان ابوه عبداً فحسبك ما تر بد الى الكلام

قال في لسان العرب بعد ذكر هذا البيت (انما عداه بالي لان فيه معنى الذي يحوجك او يجيبك الى الكلام) اه فقله هنا مراداً الى شيء اي حاجة الى شيء .

(٢١) — وجاء في ص ٢٢٠ س ٢ من كلام ابي بكر ايضاً : (وانقبض الخير لك)

المعنى يستره لك ، وقربه منك ، وجعله في متناول يدك ، فاستعار الانهاض لهذا المعنى كما يستعار الانهاض في الحظ ايضاً فيقال : أنهض الله حظك ، اي أقاله من كبوته . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في نسختنا المخطوطة اي نسخة محاضرة الابرار (وأرهض الخير) الخ يقال : أرهض الشيء اذا أثبته وأسسّه » . ونقول : ان المعنى الذي يبناه للرواية الاولى ظاهر لا تكلف فيه فلانرى ما يوجب طرحها ووضع الرواية الثانية مكانها ولسنا في حاجة الى ان نبين هنا ان أكثر الكلام العربي من نظم ونثر قد اختلفت فيه الروايات الى أكثر من اثنين وشرّاح دوايد العرب تثبت جميع هذه الروايات ولا تثبت رواية مع اطراح الباقي مادام لكل رواية صحيحاً معنيّ نسكن اليه النفس ويطمئن له القلب .

(٢٢) - وجاء في ص ٢٢١ س ٨ : (وخصه بمزية وأفرده بحالة) الخ يريد : وأفرده بصفة من صفات الخير اي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك واحداً من أصحابه رضي الله تعالى عنهم الا أثنى عليه وذكره بصفة يحمدها . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب (بمبالاة) مكان (حالة) واحتج لذلك بان الحال تشمل الحسن والقبح من الصفات بخلاف (الجلالة) » . ونقول : ان سياق الكلام يعين ان المراد بالحالة احدي صفات الخير دون غيرها من الصفات فانه يقول قبل هذا : « اما تعلم انه لم يدع - اي النبي صلى الله عليه وسلم - أحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه الا أبانه بفضيلة ، وخصه بمزية » الخ . على ان قوله (بمزية) عام ايضاً لا تخصيص فيه اذ لفظ المزية كلفظ الحالة في اشتراكهما بين صفات الخير والشر فكان مقتضى احتجاج الاستاذ تغيير قوله (بمزية) ايضاً .

(٢٣) - وجاء في ص ٢٢٣ س ٥ من كلام ابي عبيدة بن الجراح (لحقني اي عمر - بوجه يبيدي تهللاً) الخ . ومعنى قوله : (يبيدي تهللاً) ان أمارات السرور والبشر بادية على محياه ظاهرة لا خفاء بها . واما قول الاستاذ : (ان قوله يبيدي تهللاً) ليس من جنس كلام العرب فذلك ما نشوق في قبوله اذ لا يمكننا الحكم به الا بعد الاطاحة بكلام العرب نظماً ونثراً على ان مثل ذلك التعبير شائع في الشعر قال الشاعر :

يبدون في ربح الوقائع بشرم والشمس كالحة الازهاب قطوب

واما الرواية الثانية التي استصوبها الاستاذ وهي قوله : (بندي) بالنون مكان (يبيدي)

فهي رواية جيدة ايضاً لاخلاف في ذلك وانما الخلاف في تخطي الاستاذ للرواية الاولى وقد ظهر صوابها بما بينا .

(٢٤) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١١ في كلام عمر بن الخطاب يريد به علياً رضي الله تعالى عنهما (حين لا راد لقولك الا من كان منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك ، يمض إهابك وبعرك ادبك) الخ . يريد بقوله : (يمض إهابك) ان أتباعك من الطامعين فيك لا ينقطع طمعهم حتي اذا استنفدوا كل مالدبك واستخلصوا كل ما في يدك ولم يبق الا إهابك اي جلدك امتصوه كما يمتص العلق الدماء رجاء ان يجدوا فيه ما يسد مطمعهم . وقد كنى عمر رضي الله تعالى عنه بهذه العبارة عن ان الطامع لا يترك في يد المظموع فيه حقيراً ولا جليلاً الا تبعته عينه وامتد اليه طمعه هذا الذي فهمناه من هذه العبارة عند تصحيحنا لها واذن فلا وجب ان نستبدل قوله (يمض) بالصاد المعجمة بقوله : (يمض) بالضاد المعجمة كما رآه الاستاذ ويمضه من مضه الامر اي أحرقه وأوجهه بل اننا نرى ان في الرواية الاولى من المبالغة في وصف تكالب الطامعين وحرصهم ما لا يخفى على ذي بصر بكلام العرب .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين



مطبوعات حديثة

دمية القصر

« وعصرة اهل العصر »

لابي الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وبليته ملنقطات
من ديوانه . طبعه وصححه الشيخ محمد راغب الطباخ بحلب ص ٣١٦ والملنقط
من شعره ص ٥٤ . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠

هذا ما ذيل به الباخري على يثيمة الدهر للثعالبي ، ونسج في ذيله على منوال الاصل ،
ذكر فيه تراجم من كانوا على الأغلب بعد عصر الثعالبي من شعراء البدو والحجاز والشام
وديار بكر وآذربيجان والجزيرة والعراق وبلاد المغرب والري والجهال وجرجان واستراباذ
ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر وخراسان وقهستان وسجستان وغزنة وغيرهم .
والتمزم المؤلف التنويه بهم بالسجع وبعضه الجيد ، واكثره متكلف بعدد دون طبقة الثعالبي ،
كما ان من ترجم لهم هم في ادبهم دون رجال اليتيمة ، والضعف بادر على منشورهم ومنظومهم ،
وان كالمؤلف لهم وانفسه ولا يهه المديح كيبلاً على عادة الفرس في مبالغاتهم .
والباخري نسبة الى باخري (بفتح الباء الموحدة وبعد الألف خالاً مهيضة مفتوحة
ثم راء ساكنة وبعد ها زاي) ناحية من نواحي نيسابور . و باخري بين نيسابور وهراة .
وحقيقة ان هذا النمط من التراجم المختصرة لا يبق في ذهن القاري اقل صورة حقيقية
عن المترجم له ولا عن عصره وشعره ونثره . وقليل من المؤلفين من وفقوا في هذه السبيل
نرفيق ابن اسام في الذخيرة والثعالبي في اليتيمة ولسان الدين في الاطحة والفتح بن خافان
في الفوائد . وقليل فبين جمعوا التراجم وكتبوا الطبقات من دانوا الصولي في كتاب
الأرزاق وياقوت في معجم الادباء وابن خلكان في الوفيات والصفدي في الوافي بالوفيات
وابن سعد في طبقاته والجمحي في طبقات الشعراء والاصمغاني في الاغانى والجهشياري
في كتاب الوزراء والكتاب والقفطي في اخبار الحكماء وابن ابي أصيبعة في طبقات
الاطباء والعاصبي في تاريخ الوزراء .

و ينجيل اليك وانت نقرأ دمية القصر انك في القرن العاشر او الحادي عشر كما انك
انلور ربحانة الخفاجي او سلافة ابن معصوم لا في القرن الخامس الذي كان على جانب
من الأدب متين . وقد اعتمد الناشر على احياء هذا الكتاب على نسخة في المدرسة
الاحمدية بحلب وعلى أخرى في المكتبة المارونية في حلب ايضاً والثالثة نسخت له من
الموصل ولم يزد في التعليق على مارآه شيئاً في حين ترى الحاجة ماسة الى الشرح والتعليق
وبقي في نفسه من تصحيح هذا السفر اشياء كما قال عن نفسه . وقد احسن باثبات ما يرى
بعضهم اليوم حذفه من المحون لان المقصد الانتفاع بما كتبه المؤلف غثاً كانت او سمياً
لا التعديل في اشياء يستنكرها بعضهم اليوم وكانت أمس مما لا شأن له .

م . ك



ديوان التحقيق

« والمحاضرات الكبرى »

تأليف محمد عبد الله عنان بك طبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٤٨)

— (١٩٣٠) بمناية لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٥٤٤

هذا كتاب كثر ما نشره المؤلف حتى الآن جامع بين أفكار الغرب وما ينفع به
هذا الشرق ، جوّد تأليفه على الأسلوب الحديث واخذه من اوثق المصادر الانجليزية
وبعض المصادر العربية وقد قسمه قسمين الاول في تاريخ ديوان التحقيق (الانكليزي سيون)
ولاسيما الاسباني وما آل اليه من جلاء العرب وتبصيرهم في الاندلس وعرض في القسم
الثاني للمحاضرات الكبرى في التاريخ العربي . وكلها تدل على ظلم الانسان للانسان ،
وان دعوى الشفقة والرحمة قلّ ان وجدت في الامم الحديثة والقديمة . فعسى ان يقع
المطالع العربي في هذا المجلد على امور نفيدة في قيام مجتمعه الحديث فلا يرتكب من
الخطايا ما وقع فيه اخوه الانسان في سالف الازمان ، وعسى ان تصح عنيفة المؤلف البجائة
على وضع كتاب فيما وقع للعرب من هذا القهمل .

م . ك



قلب الطفل

« تأليف ادمون دوا أمينشي تعريب السيد عمر الدين النخعي طبع بالمطبعة »

« الحديثة بدمشق (١٣٤٩ — ١٩٣٠) ص ١٨٧ الجزء الاول »

مؤلف اصل هذا الكتاب من علماء التربية في ايطاليا ، جعله دروساً للأطفال يتلقون فيها حقائق تنير العقل وتكون الخلق ونبث العلم ، وقد ترجم الى كثير من اللغات الاوربية . وما نظنه الا كان في الاصل بلغة ساذجة يفهمها الطفل الذي كتب له . اما الترجمة العربية فمع حسنها لانكاد تخلو من العهدة ، لان المترجم وهو عربيها عن ترجمة افرنسية توخى ان يصور الاصل فما استطاع احبائنا الا ان يأتي بشيء بعد من عويص اللغة عند الطلبة المبتدئين ، وان كان من المؤلف عند جمهور المتأدبين ، فاذا أضيف الى هذا العويص كونه لم يفسر ولم يشكل ضاعت فائدة الكتاب على من يراد استنارتهم بقبس العلم ، وتلقينهم الفضائل العملية ، وانحصر النفع فيمن يتلون فيفهمون ولليل مام . وقد يما قالوا ان البلاغة ان يعطى كل موضوع الكلمات التي تليق به فلا يخاطب العالم خطاب الجاهل ولا الكبير كما يخاطب الصغير .

م . ك

افريقية الغربية البريطانية

« تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع بمطبعة الفيحاء في دمشق ص ١٣٢ »

هذا باحث مفكر من اهل النشأة الحديثة في دمشق ، رحل الى افريقية الغربية وأقام فيها مدة وكتب في تاريخها وحاضرها واهلها وحيوانها ونباتها وعاداتها وخيراتها الخ صفحات قليلة أظهر بها ما كان العربي في معزل عن معرفته واذا احتساج الى شيء منه فلا يقع عليه الا في كتب الافرنج ، وعسى ان ينظر الكاتب في لغة كتابه في الطبعة الثانية ويحذف بعض المكررات من افكاره وتعليقاته النافعة .

م . ك

كتاب قواعد الافعال السامية

« وصيغها لزمانية »

للاستاذ مارسل كوهن طبع في باريس سنة ١٩٢٤ في ٣١٢

Marcel Cohen - Le Systeme Verbal Simitique et
l'Expression du temps .

وضع هذا الكتاب بالفرنسية وهو يتضمن ابحاثاً لغوية سامية خاصة بالافعال ودلالاتها الزمانية في مختلف اللغات السامية من قديمها وحديثها ولطالما عابوا عليها عدم الوضوح الدام في بيان حدوث الفعل في الماضي والحاضر والمستقبل كما هو الحال في اللغات الهندية الاوروبية . وبالرغم من صعوبة هذا البحث فقد عالج المؤلف من جميع النحائ وتوسع فيه بصورة دلت على طول باعه واحاطته بجميع نفعاته ، وقد استفاد المؤلف من الوثائق القديمة فبين جمود اللغات السامية الفصحى وعدم تطورها مستشهداً باللغة الآكادية التي لم يطرأ عليها التطور خلال ثلاث آلاف سنة ومثلها العربية لم تخط خطوة في هذا السبيل منذ تدوينها ، كما انه ذكر شواهد على تشابه اللغات السامية وقلة الفروق بين تراكيبها ، فالكنعانية القديمة مثلاً تشبه العربية من اوجه كثيرة . كما ان المؤلف يبحث في تطور بعض اللهجات السامية العامية منذ القرن الثالث حتى القرن العاشر بعد الميلاد وتباعدتها عن قواعد اللغة الفصحى ، وقد أورد المؤلف نصوصاً كثيرة أثبتتها باحرف لا ينبتة لثطلب من المطالع احياناً جهوداً لقراءتها . ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة ومكانة مؤلفه وشهرته لا تحتاجان الى تعريف .

جعفر الحسني



دليل الاصطيفات والسياحة

« في سورية سنة ١٩٣٠ »

لواضعه السيد اسكندر يارد عدد صفحاته ١٩٤ طبع بمطبعة

وديع ابو فاضل بمصر

من بطالع هذا الدليل يدرك مقدار ما بذله واضعه من العناية في وصف ما بهم السائح والمصطاف معرفته من الاماكن الأثرية في سورية وقرى الاصطيفات فيها وعلى ايجازه تراه شاملاً لما يفيد ، واف بالغرض الذي وضع من اجله . وقد اعتمد واضعه على اوثق المصادر لمعرفة مختصر تاريخ الشام ووصف أقاليمها وزينه برسوم عديدة . وقد وجدت فيه طائفة من الاسماء محرفة مشوهة واغلاطه المطبعية وافرة ، فالأمل ان يعثني واضعه بتصحيحها في طبعته الثانية لنتم بذلك الفائدة المرجوة .

جعفر الحسيني

هدايا كتب

أشهر شروح المجلة الشرح الذي وضعه علامة الترك العثمانيين علي حيدر وسماء (درر الحكام شرح مجلة الأحكام) وقد اخذ الاستاذ فهمي الحسيني المحامي بنشر ترجمة الشرح المذكور الى العربية . وقد أهدي اليها امس ترجمة الكتاب الثامن من الكتب الستة عشر التي تنقسم اليها المجلة . وهو يتضمن مجيئ الفصص والانلاف ويشتمل على مقدمة وبابين وربما لا يجد الشاكي شكوى من هذا الشرح النفيس سوى انه غير منقن الطبع فنلت اليه الفقهاء والمحامين .

واهدى اليها المجمع العلمي في موسكو مجموعة تتضمن نموذجات من الخطوط الشرقية ، كالخط الهندي والصيني والياباني والهبروغليبي والعربي والمغولي الخ وهو في ٧٣ صفحة حسنة الطبع جميلة الوضع .

المغربي

مجلد المجلد العربي

(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٩ هـ

مجموع نادر

في خزانة كتب احمد باشا الجزائر بمدرسته المسماة « نور احمدية » في مسجده المعروف بمدينة عكا مجموع قديم كتب باول صفحة منه بخط غير خط ناسخه (تخريجات ابن ابي الدنيا »

وتحت ذلك عبارة نصها « مجموع ما في هذا المجلد الشريف » ثم اسماء الرسائل الآتية :

- ١ — تخريجات اهل الحديث تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا وهو من ورقة ١ الى ١٠
- ٢ — وكتاب الاحاديث الاربعين له ايضا وهو من ورقة ١١ الى ١٨
- ٣ — وكتاب فضائل الشام وفضل دمشق لابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربيعي المالكي وهو من ورقة ١٩ الى ٣٦
- ٤ — وكتاب فضائل البيت المقدس للامام ابي بكر محمد بن احمد الواسطي وهو من ورقة ٣٧ الى ٧١
- ٥ — وكتاب اخبار مصر لابي عمرو يوسف بن يعقوب الكندي المصري جمعه بامر كافور الامرشيد وهو من ورقة ٧٢ الى ٧٩
- ٦ — وكتاب قضاء الحوائج من تخريجات ابن ابي الدنيا وهو من ورقة ٨٠ الى ٩٢
- ٧ — وكتاب من عاش بعد الموت له ايضا وهو من ورقة ٩٣ الى ١١٦
- ٨ — وكتاب الأولياء له وهو من ورقة ١١٧ الى ١٣٤

- ٩ — وكتاب الغيبة والنميمة . له وهو من ورقة ١٣٥ = ١٤٦
 ١٠ — = حسن الظن بالله . له = ١٤٧ = ١٦٤
 ١١ — = المنام له = ١٦٥ = ٢٠٤
 ١٢ — = التوكل على الله له = ٢٠٥ = ٢١٢
 ١٣ — = مكارم الأخلاق له = ٢١٣ = ٢٦٤
 وكتاب الحلم له وهو من ورقة ٢٦٥ الى ٢٧٦ وهي آخر الكتاب

وفي آخر الرسالة الاولى سماع جاء فيه :

سمع جميع الجزء على الشيخ الامام الثقة ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري
 يحنى سماعه من الشيخ ابي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري رحمه الله — الشيخ نقي الدين
 ابوالحسن احمد بن حمزة بن علي الشافعي والفقير عبد السلام بن ابي بكر بن احمد الشافعي
 والفقير بدل بن ابي المعمر التبريزي والشيخ عبد الرحمن بن طالب بقراءة مثبت السماع الحسين
 ابن موسى بن الحسين الخواري في كلاسة جامع دمشق حماها الله تعالى يوم الاربعاء طائر
 ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والله اعلم . »

وتحت ذلك اجازة هذه عبارتها :

صحيح ذلك وقد اجزت لم جميع مسموعاتي وأحاديثي على الشرائط المعتبرة عند
 اهل الحديث رضي الله عنهم . وكتب اسمعيل بن علي بن ابراهيم الجبري في التاريخ
 المذكور . « والجبري هنا بزيادة راء عما في الرواية المذكورة في اول الرسالة وفي
 السماع المحرر اعلاه وكذلك في السماع المحرر أدناه .

وبأقي بعد ذلك اجازة أخرى وهي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد نفعه الله بالعلم ورفع به بالحلم هذه الأحاديث
 التي قرأتها على الشيخ الاجل ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري في المسجد
 الجامع بدمشق المكتوبة قبل خطي بقراءتي عليه وأذنت له ان يرويها عني بشرطه وذلك
 يوم الاحد سابع ذي القعدة سنة احدى وستمائة وكتب والده الفقير الى رحمة الله
 غفرانه الحسين بن موسى بن الحسين الخواري بخطه .

وفي الصمعة التي تلي تلك الإجازة ثبت شيوخ يغلب على الظن انه لصاحب الكتاب وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حدثني الشيخ الامام عبدالقادر بن عبد الله الرهاوي بمدينة حران بمسجد المصنوع في منتصف شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني الشيخ الامام الحافظ ابوطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي في منزله بشجر الاسكندرية وهو اول حديث سمعته منه . قال حدثنا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج اللغوي ببغداد وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني ابونصر عبد الله بن سعد بن حاتم السجزي الحافظ بمكة وهو اول حديث سمعته منه قال اخبرنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلب بن نيسابور وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **الراحمون يرحمهم الله** « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » .

قال الشيخ عبد القادر قال شيخنا الحافظ السلفي قال لي ابن السراج لما دخلت مصر حضرت مجلس ابي اسحق الجبال فأخرج لي هذا الحديث وكان يرويه عن ابي نصر فقلت هو سماعي منه فقال اقروءه ^(١) فتسمعه انت مني واسمعه انا منك فقرأه .

وجاء في آخر رسائل فضائل الشام سماع هذه عبارته :

سمع جميع فضائل الشام على الشيخ الامام العالم الحافظ الثقة بهاء الدين صدر الحفاظ ناصر ^(٢) محدث الشام جمال الاسلام ابي محمد القاسم ولد ^(٣) الامام العالم الحافظ ثقة الدين شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي رضي الله

(١) في الاصل اقراؤه (٢) لعلها سقطت كلمة الدين بعد ناصر . (٣) في الاصل والد وهو سبق فلم بالقاسم هو ابن علي بن الحسين وهو المشهور بابن عساكر والظاهر انهما لم يكونا بضماع هذه النسبة في توافيعهما او انهما لم يعرفا بها الا بعد موتهما .

عنه. وقدس روح والده بحق سماعه من الشيخ أبي الفضائل ناصر بن محمود بقراءة صاحب النسخة وكانها الشيخ الفقيه الامام أبي الحسن الحسين بن موسى بن الحسن بن الخوئي - الشيخ الامام ابو جعفر احمد بن علي بن أبي بكر بن اسماعيل القرطبي وابنه ابو الحسن محمد والفقيه ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي والامام ابو الفرج ابراهيم بن يوسف ابن محمد المعافري البوني والفقيهان ابو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث وابو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيان وابو القاسم محمود بن محمد والشيخ ابو الفضل احمد بن محمد ابن علي بن أبي عقيل وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقاني وابو عبد الله محمد بن عبد الوهاب ابن سارة (هكذا) وابراهيم وبركات بن ابراهيم الحسوعي (له الخشوعي) وابو العساكر المطهر بن محمد بن المطهر وابو . . . العباس بن احمد بن ابراهيم بن أبي العلاء الأزدی واحمد ابن محمد بن احمد الكناني ومحمود بن احمد بن دارا ومحمد بن ميمون بن مالك وعمر بن احمد ابن محمد وابو يعلى حمزة بن أبي الفضل بن أبي الفوارس وعمر بن محمد بن أبي الفضل العربي ابن يوسف ومثبات الاسماء بدل بن أبي المعمر بن اسماعيل بن أبي خضر التبريزي وآخرون . . . وذلك في مجلسين آخرهما يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وتحت ذلك إجازة الشيخ المسمع وهي :

هذا صحيح وكتب القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ^(١) .

(١) ترجم محمد بن طولون الجعفي الصالح المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م لقاسم المذكور في كتاب ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة . ولم يفرده له ترجمة خاصة بل ذكره استطراداً في ترجمة محمد بن نافع بن عبد الله العنيني الشافعي لان المترجم كان سأل عن تراجم بني عساكر فكتب له تراجم احد عشر شيخاً منهم ثم ساق هذه التراجم في تلك الترجمة بهذه المناسبة فقال عن القاسم ما نصه : « ومنهم البهاء بن عساكر وهو القاسم بن العاقل الاكبر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي العاقل البهاء الدين ابو محمد بن عساكر كان قد شارك اباة في اكثر شيوخه سماعاً وإجازة وصنف عدة مصنفات وخلف اباة

وجاء في الصفحة الاولى من رسالة فضائل البيت المقدس :

« ولي اجازة لفضائل البيت المقدس عن الامام الحافظ بهاء الدين ثقة الاسلام ابي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي الدمشقي رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ الامام ابو القاسم نصر بن احمد بن مقاتل بن مطكود (?) السومري قراءة عليه سنة الثامن والعشر بن من رجب سنة احدى واربعين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن يونس المصري سنة ثنتين وثمانين واربعائة قال أخبرنا الشيخ ابو محمد عبدالعزيز بن احمد بن عمر النهديني عن الخطيب ابي بكر محمد بن احمد الواسطي المصنف رحمه الله (١) .

وجاء في آخر كتاب المنام ما يلي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد أعزه الله وطول عمره كتاب المنام لابن ابي الدنيا بقراءتي عليه وأجزت له روايته عني بشرطه وكتب والده الراجي عفوره

في القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب ابيه وامامها بالجامع ودار الحديث النورية وبهض نار يخ والده لدمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل الى مصر وأسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر سنة ستائة ودفن بعد العصر على ابيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين من جهة الشرق قال ابوشامة ولي منه اجازة وقد اقتصر تاريخ دمشق في أصغر وأكبر وكلاهما تام فالاول في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمسة مجلدات اهـ . قلنا ولقاسم المذكور كتاب الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى ومنه الجزء ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ في الخزانة الثمورية بالقاهرة وعندي نسخة منقولة عنها بالتصوير الشمسي ننقل باهدائها لي صاحبها العلامة احمد قنبر باشا :

(١) نظن ان هذه الرسالة هي الوحيدة من نوعها فاننا لم نقرأ عن وجودها في دار من دور الكتب العامة . وقد رأينا القاسم بن عساكر ينقل في جامعه المستقصى عن ابي القاسم السومري عن ابراهيم بن يونس عن عبد العزيز النهديني عن ابي بكر الواسطي المذكور الذي لم نطلع له على ترجمة .

نعمالي الحسين بن موسى بن الحسين الخوي في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستائة .

« صاحب الرسائل »

وقد علمنا من إجازة القامم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ان صاحب هذه الرسالة وناسخها هو الحسين بن موسى بن الحسين الخوي .
وتمتاز هذه الرسائل عن الكتب الأخرى بالدقة والثبت ذلك لان ناسخها لم ينقلها عن الكتب وانما نقلها من أفواه الثقات من شيوخه واليك مثالا من طريقته قال في مطلع الرسالة الاولى : بسم الله الرحمن الرحيم . حدثنا الامام الثقة الامين ابو الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري الدمشقي بها في كلاسنا الجامع قراءة عليه يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسائة قال أخبرنا الشيخ ابو البركات هبة الله ابن محمد بن علي البخاري في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمسائة قال أخبرنا القاضي ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري قراءة عليه وانا اسمع في يوم السبت رابع شعبان من سنة سبع واربعين واربعائة قال أخبرنا ابو احمد محمد بن احمد بن الغطريف بخرجان في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال أخبرنا الامام ابو العباس احمد بن عثمان بن شريح ، أخبرنا ابو يحيى الضرير بن محمد بن سويد بن عمر العطار أخبرنا عبيدة بن حميد أخبرنا الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الرسالة الاولى التي قيل عنها انها لابن ابي الدنيا والرسالة الثانية المسماة « الاحاديث الاربعين » والتي يبتدئ سندها بالشيوخ الامام محمد الدين ابي الفرج يحيى بن ابي الرجاء محمود بن سعد بن احمد بن محمود بن احمد بن محمود الثقفي الاصفهاني في سنة ٥٨٣ بدمشق وينتهي الى عبد الله بن مسعود لا ذكر فيها لابن ابي الدنيا حتى ننسبها اليه .

ولهذه الرسائل امتياز آخر وهي انها كتبت في سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٣ م والحروب الصليبية مستعرة النيران في ديار الشام بل في بلاد الاسلام وحملات الغربين تقض المضاجع من الشرقين .

فانصرف العلماء الى الدرس والأخذ في مسجد بني أمية بدمشق وفي غيرها من

المدن والأقاصيص يداننا على أن المسلمين كانوا يعملون لدينهم وديانهم وسط تلك الخطوب والنكبات التي كانت تكثفهم عن إيمانهم وشمائلهم ولم يكن كل ذلك ليصرفهم عن طلب العلم ويبحث الحقائق .

وإذا كان في هذا الأمر ما يؤسف له فهو إهمال المؤرخين ترجمة العلماء الأعلام المعاصرين الذين جاء ذكرهم في السماحات المتقدمة . ولعل ذلك نشأ عن الحالة الحربية التي كانت البلاد تنجس في ديجورها وتعاني آلامها وشرورها .

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي العربي



احساس المتنبي^(١)

- ١١ -

عرفنا ناحية من اخلاق المتنبي^(٢) ، فلنتجهد في معرفة ناحية من خواصي احساسه وعواطفه ، والاحساس^(٣) انما هو القوة التي تميزنا من بين غيرنا من الناس ، ونطبعنا بطابعنا الخاص ، فهو الذي تحدد خصائصه طبيعة دخیلنا اي طبيعة شخصيتنا ودرجة هذه الشخصية ، فالمدارك العقلية لا يختلف بعضها عن بعض الا قليلاً ، واختلافها هذا لا يكون الا من حيث الدرجة فقط ، اي من حيث قوة نفوذها وضعف هذا النفوذ ، أو من حيث سرعة تغلغلها في بواطن الامور ، وابطاؤها في هذا التغلغل ، ولكن هذه المدارك كلها قادرة من حيث تركيب جواهرها على فهم الحقائق ، من اجل هذا اننا لا نجد الا علماً واحداً في الهندسة او في الطبيعيات مثلاً ، وكذلك ارادنا فانها لا يختلف بعضها عن بعض الا من حيث قوتها او ضعفها ، اما حواسنا وعواطفنا فانها على خلاف مداركنا وعلى خلاف ارادتنا ، فهي يختلف بعضها عن بعض من حيث طبيعتها فلا تلتزم ولا آلامنا واحدة في كل رجل منا ، فالامور التي تلاقى فيها لذتنا قد لا يلاقي فيها غيرنا الا الألم ، وما اصدق ما قاله المتنبي في هذا المعنى :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم
وما اصدق في هذا البيت :

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجبه اني بما انا شاك منه محسود
فقد يحسدنا الناس على امور يظنونها برءاً وسلاماً ، ونحن لا نجد لها الا عنناً ونعماً ،
فالآذواق تختلف باختلاف الناس ، هذا الامر يبكينا وهو نفسه يضحك غيرنا ، وذلك

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبوري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

(٢) رأي الاستاذ بروتير .

بنفعنا وهو ذاته بضر سوانا ، وقد يكون لون من الألوان زاهياً في نظرنا وكامداً في نظر غيرنا ، وقد يستطيب الأنف رائحة من الروائح ويستكرهها أنف آخر .

فالذي يستنبط من هذا الكلام ان ما يميز بعضنا عن بعض انما هو الـإحساس ، فالحس في الشعر هو القوة المميزة ، فلا بد للشاعر من ان تهيج به الهوائج ، ولا بد له من ان يجد لهذه الهوائج صوراً مناسبة لها ، فالشاعر يختلف عن الشاعر من حيث طبيعة الحس والخيال ، فقد تأخذ العيون مشاهد شتى فيها كثير من الألوان والأصوات والروائح اي فيها كثير مما يهيج الحواس ويشير العواطف ، فيعجز احدنا عن تصوير شيء من هذه المشاهد كلها لان حواسه لا تنبسط الى لون من ألوانها او الى صوت من أصواتها او الى رائحة من روائحها ، ولان نفسه لا يستفزه ما مشهدها ، فاذا الشاعر لم يكن له روح يعمل فيها مختلف المشاهد ، ويترك في باطنها آثاراً ورسوماً ، ولم يكن له خيال يخلع على هذه الرسوم والآثار ما يماسها من ضروب الخلق ، فعجباً يتناول الشعر ، وعجباً يجهل قريحته ، ولذلك قالوا : يولد المرء شاعراً ، اي يولد قوسية الحس او ضعيفه ، غليظة او رقيقة ، وعلى حسب طبيعة هذا الحس يكون تبرزه في ميدان الشعر ، وتخليقه في سمائه التي لا تطاولها سماء .

هل كان المنبي قوي الإحساس ، هل كانت المشاهد تفعل فيه فعلتها ، هل كان عصبي المزاج يحركه أقل شيء وما هي طبيعة إحساسه وعاطفته ؟

لنتحدث عن إحساس المنبي في بعض مواطن من المواطن التي تظهر فيها آثار الإحساس والعاطفة ، نتحدث عن شيء من هذا في مقامات النسب والغضب والحزن . هل عشق المنبي في حياته او هل كان صادق العشق في نسبه ، انما نجد في شعره كثيراً من الغزل ، فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الغزل ، ولكن الذي أراه ان النسب كان مذهباً من مذاهب الشعراء ، يصدرون به مطالع قصائدهم وصولاً الى مدح الممدوح ، فلست أرى في أضعاف هذا النسب آثار نفس ذلها الهوى . اذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيناً .

ولست أرى في هذه الأضعاف هائجة من هوائج النفس ، وانما هذا النسب عبارة عن تشبيهات او صفات ضاع رونقها لكثرة تكرارها ، فاذا لم يعشق الشاعر حقيقة كان

نسيبه مضجراً مقلتماً ، وما مثله سيفه ذلك الا كمثل النواحات اللواتي ينحن على ميت بشيء من المال يأخذنه على نواحيهن ، فان اغماء لام التي تفقد طفلها لا يكاد يوازنها كل الدموع الكاذبة التي تذرهما النواحات ، وكذلك العشق فان صفرة لون العاشق أبلغ من التشبيهات والصفات الرائعة التي يلجأ اليها غير العاشق في شعره .

فالمتنبى عمد الى النسب في شعره ولكني لا أبالغ اذا قلت ان سيف هذا النسب اثر ضمة لا تدل على شيء من حقيقة الهوى ، ولكنه لا يعترف بهذا فهو يقول :

وما أنا الا عاشق كل عاشق أعق خليليه المصفيين لآثمه
ثم يرجع فيقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
فلننظر في هذا كله ، ففي إحدى قصائده في سيف الدولة واولها :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وصف ابو الطيب بكاءه فقال :

وبين الرضى والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلبة المتفرق
واكد هذا البكاء :

عشية يمسدوننا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق
ثم انصرف بعد البكاء الى التوديع فقال :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن ابي الهيثم في قلب فيلق
وانا لنجده ببكي خوف التفرق ، وانا لنجده بودع اذ ينصرف فجأة الى قنا ابن ابي الهيثم ، اي الى الممدوح نفسه وهو سيف الدولة ، فمضى مسح دموعه ، وبقى نسي حبيبته ، فلم يخطر بباله الا سيف الدولة ، قد يكون في هذا كله براءة في الذي يسمونه حسن التخلص ، وقد يكون شيء من البلاغة في هذا التخلص الحسن ، ولكني لا أجد في هذا النسب شيئاً من الحقيقة ، فلست أرى خيال روح يذللها الهوى ، وانما ارى قنا يستخدمه صاحبه في تمهيد السبيل الى المدح ، والهوى الصحيح لا كلفة فيه فاذا ظهرت الكلفة عليه ذهب أثره .

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره واليكم مثلاً آخر :

ففي قصيدته في سيف الدولة التي يقول في اولها :
لبالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
وصف احتماله للنائبات من بعد أحبته وطلب الى النسيم ان يجعل اليه روائح هؤلاء
الأحبة :

اذا كان شمّ الروح ادنى اليكم فلا برحمني روضة وقبول
وخاطب الحبيب فقال :
اقيت بدرب القلة الفجر لقية شفت كبدي والليل فيه فتيل
وبوما كان الحسن فيه علامة بعثت بها والشمس منك رسول
وانه ليسترسل الى هذا كله اذ يذكر في الحال ان سيف الدولة ينظر مدحه فيفتش
عن البيت الذي يصل به الى سيف الدولة :

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ولا طلبت عند الظلام ذحول
ثم الا مثله من هذا القبيل كثيرة فلست اعتقد ان نسيب المثني في مطالع قصائده
يفصح عن عشق حقيقي ، وما هذا الغزل الا ضرب من التقليد ، فقد كان هذا هو أسلوب
الشعراء في أماديهم ، ينزلون ثم يخلصون من النزول الى المديح ، والنفس العاشقة
لنصرف عن كل شيء في جوانبها ، ولا تفكر الا في الذي تحبه ، فلا سيف الدولة بصرفها
عنه ، ولا غير سيف الدولة ، فالعاطفة في هذا النسب بعيدة عن ان تكون صادقة فضلاً
عن انه قد يميل في تصوير بعض نحوه الى شيء من المبالغة التي لا يحمد أثرها :
ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غارت من خط كاتب
هذا هو نسيب المثني ، فالتقليد ظاهرة آثارة عليه ، وقد يخرج في هذا النسب
من المقدار :

كأن الجفون على مقالي ثياب شققن على ثا كل
كل هذا لا يخلو من شيء من المبالغة والعاطفة لا يحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية .
على انه لا يخلو في بعض الاحيان من الاعتدال المقبول :

واني لأعشق من أجلكم فحولي وكل امري ناحل
ولو زلتم ثم لم ابكم بكيت على حبي الزائل

هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في النسيب ، ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس إنما هي مواطن الغضب ، سواء أكان غضبه على الأقدار أم كان غضبه على الذين يشتمون بموت جدته ، وسواء أغضب على الذين مدحهم ولم يعطوه ما تستحقه أماديجهم أم غضب على الذين أساءوا إليه ، وكذبوا عليه .

إذا غضب المثني على أحد من الناس امتزت أعصابه كل الاهتزاز فلا يكاد يستطيع أن يسكنها ، ولا يجد أشباهاً للرجال الذين يحقق عليهم الأحيوانات :

وانما نحن في جيل سواسية شمر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت في اسنفهامها بن
ولا يبالي بعد هذا التعميم بان يخص الحيوانات التي يشبههم بها :

فقر الجهول الى قلب بلا ادب فقر الحمار بلا رأس الى رسن
على ان هذا الهياج الذي هاجه في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة التي ثارها في هجاء كافور ، فقد كان مضطرباً كل الاضطراب ، متعاطلاً كل الاغتيال ، فزاره كان غضبه ممزوجاً بشيء من الهزء :

فان كنت لا خيراً أفدت فاني أفدت بلحظي مشفريك الملاحيا
ومثلك يؤقي من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحيداد البواكيا
ومرة كان مختلطاً بشيء من الشتم :

لا تشتر العبد الا والمصامعة ان العبد لا أنجاس منساكيد
وحينما كان يلجأ في غضبه الى شيء من الابلام :
جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود
ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي فحوك الكرم اين المحاجم يا كافور والجهلآم
واذا قابلنا بين اهاجية في كافور وبين تعريضه بسيف الدولة وجدنا ان ابا الطيب على شدة اهتزاز اعصابه في ساعات الغيظ يستطيع في بعض الأحوال ان يضبط نفسه ، فلم يغضب على سيف الدولة غضبه على كافور ، وانما ملك من حركته وضبط من نفسه فجعل لكل مقام من الغضب مقالا ، فهو لا يشبه هؤلاء الثمانين الطعسانين الذين اذا تقموا على احد

من خاصة الناس تقموا عليه نعمتهم على احد من عامة القوم ، واذا شتموا كبير قوم شتموه كما يشتمون صغير القوم حتى يضيع اثر كلامهم فلا تبقى له قيمة .

فالمنبي كان في غضبه يشتم ، ولكنه كان يجعل لكل مقام من مقامات الغضب مقالاً فما رمى سيف الدلالة بمثل ما رمى به كافوراً ، لقد كان في تعريضه به شيء من الايلام ولم يكن فيه شيء من الهزء او الشتم او الفحش .

فلننظر الى طبيعة عاطفته في مرثيته ، فان المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر اكثر من غيرها من الشعر ، لاتب الشاعر يقولها وعينه تدمع ، وقلبه يحزن ، قال الاصمعي لاعرابي : ما بال المراثي اشرف اشعاركم ، فقال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة ، لقد صدق الاعرابي في كلامه ، فالمراثي هي الشعر الذي تظهر عليه آثار حرقة القلوب . وما أبرد هذه المراثي التي يقولها اصحابها فلا نجد فيها اثر هذه الحرقه ، وانما نرى فيها صوراً اذا انتزعناها من اماكنها والصقناها بمرثي آخر فلا نكاد نجد فرقاً بين الرجلين المرثيين ، فما أشبه هذه الطبقة من الشعراء بالذواحات اللواتي يبكين ولا جرح في قلوبهن ، انما لا نرى في أمثال هذه المراثي الا اسلفظاع الخطب ، والنقمة على الأقدار وما شابه هذه الأساليب المتكررة ، فالرجل المرثي ينبغي ان تكون له صورة في المراثية تليق به ولا تليق بغيره من الموتى ، واما اذا كانت هذه الصورة تصلح لكل واحد يموت ، ولكل واحد يبكي عليه ، فلا قيمة لها ولا قيمة لقائلها ، فلننظر الى المنبي في مرثيته ، هل نجد فيها عاطفة تختلف عن عاطفته في النسب .

أقرب الذين رثاهم اليه جدته ، فقد كان شعره في مرثيتها في جدته شعر الألم الحقيقي الذي يشتمل على الحزن من كل وجوهه ، لقد بكى على جدته بكاءً شديداً فقد كانت من النساء الصالحات ، فلانكاد نقرأ بيتاً من هذه القصيدة الا ونجد فيه اثرًا عاطفة المنبي الصادقة في محبة جدته التي كانت تحبه حباً جما :

لَكَ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مَلْحَقِهَا وَصِمَا

فكان من الطبيعي ان يبادلها المنبي في هذا الحب الشريف :

أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا وَأَهْوَى لِمَشْوَاهَا الثَّرَابَ وَمَا ضَمْنَا

فليس في عاطفته هذه شيء من العنفة والكلفة ، انه أحب جدته حباً شديداً

نظهرت حرفة قلبه ولوعة كبده ومهما حاول ان يتجلد :
 ألا لا أري الأحداث مدحا ولا ذما فابطشها جهلا ولا كنفها حلا
 ومهما حاول ان يتعزى بشيء من الفلسفة :
 الى مثل ما كان الفتي مرجع الفتي يعود كما أبدي ويكري كما أرمي
 فقد أبى قلبه الا ان يفيض حزنا بعد هذا التجلد وهذا العزاء :
 حرام على قلبي السرور فاني أعد الذي ماتت به بعدها مما
 وان جدة تموت مروراً بكتاب اتاها من حفيدها :
 اتاها كتابي بعد بأس وترحة فماتت مروراً بي فمت بها غما
 لا يكثر على المنبي ان يكون بعد موتها كالأعمى لانه لا يراها :
 وما انسدت الدنيا علي لضيقتها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى
 ولا يكثر عليه ان بأسف على غيبته عند وفاتها :
 فوا أسفاً ألا اكب مقبلاً لرأسك والصدر الذي ملثا حزما
 ولا يكثر عليه ان بغضب على الذين شتموا بهومها :
 لئن لدت يوم الشامتين بهومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما
 نعم كل هذا غير كثير ، فالعاطفة في هذا الشعر صادقة ، شريفة كريمة ، ولا عجب
 اذا غضب المنبي على الذين شتموا بموت جدته ، واذا أبرق وأرعد في هذا الغضب :
 كأن بنعيم عاون باني جلوب اليهم من معادنه البتا
 ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المراثية وبين عاطفته في غيرها من المراثي ، كالمراثية
 التي نالها في محمد بن اسحق التوخي :
 خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات مومي يوم دك الطور
 والشمس في كبد السماء مريضة والأرض واجفة تسكاد تمور
 لتبين لنا الصدق من الكذب في العواطف ، فلا الشمس تمرض من موت رجل من
 الرجال ، ولا الأرض تمور ، فيكاد ابوالطيب في هذه المراثية يكون في زمرة هذه الطبقة
 من الشعراء التي تشبه التواحيات في البكاء .
 على اننا نجد في مراثيه في أم سيف الدولة :

مشى الأُمراء حوليها حفاةً كأن المروء من زفت الزئال
وأبرزت الخدور مخبآت بضمن النقص امكنسة الغوالي
أنتهت المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال
وفي أخته :

يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب
وفي عبده بمالك :

لأبقى بمالك في حشاي صباة الى كل نركي النجار جليب
وفي مرثيته في ابي شجاع فانك :

برّد حشاي ان استطعت بلا غطر فلقد تضرّ اذا تشاء وتنفّع
شيثاً من العواطف الصادقة ولكنها لا تشبه عاطفته في بكائه على جدته ، فان قلبه في
مرثيته في جدته هو الذي يمل عليه فيكتب .

هذا هو السير من الكلام على طبائع احساس المثني وعاطفته ، فالمثني صاحب
احساس شديد ، ولا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطنين من شيء من القسوة ، واي قلب
اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده ، فلقد ذكر ابو الطيب الدم في كثير من شعره ،
ولا بعد ان يكون الرجل مبالاً الى الفتك ، ماذا ذكر من أبياته التي فاضت دماً ، اذكر قوله :
فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن أناس أتبع البارد سخنا
أم اذكر قوله :

ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثمل
أم اذكر هذا البيت :

ألت اليك دماء الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم
والايات من هذا النحو مستفيضة في ديوانه ، ان حواسه لتبسط الى رؤية الدم ،
فلا يختلف عن صناديد القواد الذين ألغوا الدم في حروبهم ، فلا يستفزعونه ، فما اصدق
ما قاله فيه الشريف الرضي : واما ابو الطيب المذنب فقائد عسكر .

دمشق : في ٢٦ نيسان سنة ٩٣٠ .

أسامة بن منقذ

- ٢ -

أثقف أسامة الفن القصصي وأبدع في إيراد نكته كل الإبداع . ولوعاش اليوم لأهل
لمركز أستاذ في إحدى مدارس الصحافة التي تلقن طالبها دروساً في كيفية معالجة الوقائع
ومسرر الحوادث . خذ مثلاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الأفرنجي بازاء الطبيب
العربي^(١) أو قصة جزاء الأمانة^(٢) فإن الفن الحديث يكاد يحجز عن الاتيان بأحسن منها .
لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسمائهما . وضع معظمها في
أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث اتفسم له المجال للدرس والتأليف . ولقد
ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢)
« تاريخ القلاع والحصون »^(٣) . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » .
(٥) « نصيحة الرعاة » . (٦) « التجائر المربحة والمساعي المتجحة »^(٤) . (٧) « أخبار
النساء »^(٥) . (٨) « كتاب العصا »^(٦) . (٩) « ديوان أسامة »^(٦) . (١٠) « كتاب
النوم والأحلام »^(٧) . (١١) « كتاب المنازل والأديار »^(٨) . (١٢) « كتاب إلباب
الآداب »^(٩) . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صددده .

- (١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ - ٩٨ . (٢) أيضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى
ص ٣٦ يقول ان « عز الدين أسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون » ويلوح لنا ان
صالحاً خلط بين أسامنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في
(Vie d'ousama) ٣٣٠ - ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .
(٦) نشر درنبورغ منتخبات منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب
الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الآسيوي في ليننغرد ذكرها الأستاذ
اغناطيوس كراتشوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .
(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة
١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع « المقتطف »
كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاء صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقر بين لدى السلطان^(١) . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على ما يظهر لأسامة ، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً ، ونعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البدع ، وبدرت في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجعلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر وأدت فيه ميلاً للتشيع لحظة صلاح الدين^(٢) « محيي دولة امير المؤمنين^(٣) » و « سنة الخلفاء الراشدين^(٤) » . ولانعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى^(٥) ذكر ان صلاح الدين وأبى بروت عز الدين أسامة بن منقذ احدملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتي لم يكن يقدم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص ٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيدا خرج من المدينة بجماعته واهله ، فجهأ احدم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلم الحصن ما عليك ملامه لا يلام الذي يروم السلامة

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ماصورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة ، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d'ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ٢٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ - ٣٦ .

فعطاه الحصون من غير حرب سنة سنة بها ببيروت أسامة
ويظهر من هذا ومن ابن الأثير^(١) أنه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف بأسامة ولكنه
هو غير ابن منقذ فالأفرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨^(٢).

بعد أن توفى أسامة « ذروة التسعين »^(٣) وهو في دمشق بشقياً في ظلال نعمة
مولاه صلاح الدين ، أخذ يطل من ذاك العلو الشاهق على سابق اختبارانه ويدونها
— أو يلقنها — بانثاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل^(٤) — تلك هي المذكرات
الخالصة الموسومة بـ « كتاب الاعتبار » . أملاها أسامة وهو يردد :

إذا كتبتُ فخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفة بين مرتعد
فأعجب لضعف يدي عن حملها فلما من بعد حطم القنا في لينة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلتُ رجلي كأنني أخوض الوحل في الجلد^(٥)
ولسان حاله :

قد كنتُ مسعراً حرب كلما خمدت أذكية بها بافتداح البيض في القمل
أما الآن :

فصرتُ كالغداة المكسال مضجعه على الحشايا وراء السجف والكلل
قد كنتُ أعفن من طول الثواء كما يصدي المهند طول البث في الخلل
أروج بعد ذرع الحرب في حُلل من الدَّيْبقي فبؤساً لي وللحمل^(٦)
بين كُتُب الأدب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتِب في عصر أسامة
بالات : كسيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ . (٢) لم ينتبه لهذا الخلط بين
الأسامين الأب شيخو محرز صالح بن يحيى فإنه في حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحداً .
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ . (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف
أسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين عليه ص ١١٩ — ١٢٤ . (٥) ص ١٢٢ .
(٦) ص ١٢٠ .

الكتاب الاصمعياني ، وأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيري نور الدين وصلاح الدين المعنوني « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف أبي شامة . ولكنها كلها انضائل أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو أول سيرة في الآداب العربية — على ما نعلم — المترجم والمترجم له فيها واحد .

رمى المؤلف بن وراء كتابه إلى تعليم أمثلة أدبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجى منها أن يعتبر القاري بما حلّ بغيره ويستفيد لنفسه ^(١) . أما العظة التي أراد أن ينقشها على ذهن القاري بحيث لا تمحى فهي « أن ركوب أخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فاني رأيت . . . معتبراً بوضع الشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، أن العمر موقت مقدر ، لا يتقدم أجله ولا يتأخر ^(٢) ، وأن الله مقدر الأقدار وموقت الآجال والأعمار ^(٣) » وأنه يجب أن لا يظن ظان أن الموت يقدمه ركوب الخطر ، ولا يؤخره شدة الحذر ^(٤) ، وأن « النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى ، لا بتدبير وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير ^(٥) » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة » وأحياناً التناقض والمخالفة « كان السلك الذي قاده من رواية إلى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القاري أن الراوي قد رشّ شيئاً من (البهار) على القصة لتحسينها ، أو مطّء الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الأولياء ومنافعهم (الباب الثاني ص ١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردتها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الأحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً ^(٥) . بيد أن ذلك كله لا يعني أن مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عالياً .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حائل فيه أسامة الأثر الذي أثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الأفرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير وأقوال ابن الأثير لها

(١) ص ١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) تجد إشارة إلى « كتاب النوم والأحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

منزلتها ، ولكنهما لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة . الأفرنج في نظراً سامية ، لم شجاعتهم ولكنهم خالون من « الغيرة » الجنسية ^(١) . طبهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على ما مثله ثابت ^(٢) وابن بطالان ^(٣) البصرانيسان . محاكماتهم غريبة غريبة ^(٤) . « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجنى أخلاقاً من الذين قد تبدلوا وعاشروا المسلمين ^(٥) » . المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين ^(٦) » و « كافرين ^(٧) » ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم ^(٨) » عملاً بمصطلح كتاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهر الدنيا منهم ^(٩) » . لذلك بلذ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « ياخي ^(١٠) » و يرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى سامة يسمى الفرسان الداوية (Templars) « أصدقائي ^(١١) » ونرى هؤلاء يخلون له في المسجد الأقصى مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة نثير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، ونعرض أمام أبصارنا صوراً شتى من صور الحياة السورية العربية . فقد علمنا ان القطر كان من غلة كفرطاب ^(١٢) ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأشجار والتمور والغزلان وحمر الوحش ^(١٣) ، وان جلالة العروس ^(١٤) — على ما هو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار نداءيات ثندب في المآتم ^(١٥) كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم . ويتناول آخر فصول الكتاب (ص ١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابنائه ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعماسي والنبيل . حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم نفت أسامة فاته وصفها ^(١٥) كأنك ترى العملية بعينيك .

- (١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ . (٢) ٩٨ . (٣) ١٣٥ — ١٣٨ .
 (٤) ١٠٣ . (٥) ٩٩ . (٦) ٨٧ و ٩٥ . (٧) ١٠٠ و ٩٥ . (٨) ١٠٣ الخ .
 (٩) ٩٧ (١٠) ٩٩ (١١) ١٢ : ٨ (١٢) ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ .
 (١٣) ١٣٣ : ٨ (١٤) ٨٥ (١٥) ١٦١ .

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لأخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود وبالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا . وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب ما مثاله :

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي الامير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين ، جلس الملوك والسلاطين ، حجة العرب خالصة امير المؤمنين ، أدام الله سعاده . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر^(١) وسبعمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ^(٢) — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فنسخنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كتب بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قريه وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقوفة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارنوخ درنبورغ بالطبع (لندن ١٨٨٤) . وهي التي اعدتها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتوغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في « البديع » وصاحب « ديوان » — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي النساخ عبثت به . واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ او النساخ : (دشني) (دشني)^(٣) (موز)

(١) «عسره» في الاصل : (٢) في المقدمة الافرنسية من ١٠ التي قدم بها مطبوعته

« كتاب الاعتبار » . (٣) من ٣٨ .

(موزا)^(١) ، (الرحا) (الرحى)^(٢) ، (قاسم) (قسيم)^(٣) ، الى آخر ما هنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او اكثر في سطر واحد او صفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالة على سلامة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان او اختباره — لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيها — فأمره يهمننا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفاظ والاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطور اللغة العربية المحكية . وهالك امثلة من أسامة :

(أ) « أيش (اي شيء) انتم ؟ » (ص ٨) — « ايش (اي شيء) كات من خير الصيبة ؟ » (ص ١٢٩) — « ماني (لا يقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص ٣٣) — « تموا (ما زالوا) بطردوهم » (ص ٣٧) — « خفت لا (لثلا) يكوّن لهم » (ص ٤٧) — « دار حول الصخرة وطلم (نظلم) تحتها » (ص ١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (الذي — في العامية) ماناله ضرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : « الكلاب نظمهم (نظمها) من عيشنا » (ص ٩) .

(ج) استعمال المثنى المنسوب في حالة الرفع : « ديواني كل شهر دبنارين (دبناران) » (ص ٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص ١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : « اطمروم (اطمروهما) » (ص ١٤٣) « بيست رجلاي ودقت (دقتنا) » (ص ١٣١) — نفوج فارسان . . . فصادفوا (فصادفنا) رجلاً . . . فأخذوه (فأخذاه) » (ص ٤٧) .

(هـ) لغة اكلوني البراغيث : « فاقنطموم (فاقتطمهم) الروم » (ص ٦٩) .

(و) الميل لاهمال الحمزة او تحويلها باء : « الحيط (الحائط) » (ص ٥٥) —

« خبثته (خبثاته) » (ص ٣٤) « غار (أغار) » (ص ٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص ٦٥) .

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين بـ : « دآيت (دلت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص ١٠٨) .

(ح) الاشباع : « روح (رُح) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكتاب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صيغة المؤنث : « غار معآقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « جحر ثانية » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « مكينا صغيرة » (ص ٢٦ س ٢٣) — « طارت الحجل » (ص ١٤٦ س ١٥) .

وللخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت اليها خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن اكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثلاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة نمر جاء به احد الحليين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على ما يظهر قرأها (عدل) (ص ٨٣) وترجمها ^(١) (La séance) ، وهي في الحقيقة (عدل) بمعنى كبس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (سبقيهم) فقرأها درنبورغ (سبقيهم) (ص ٥١) ، وقرأها لانديرخ ^(٢) (تسبقهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (يشنقهم) . بين (السبق) (والشنق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرار ، جزار ، جزاز ، حرار ، حراراز ، حراز ، خراز ، خراز ، خزار ، خزار — عشر قراءات فقط لا غير وكلها واردة في اسماء اعلام الذهبي (المشتبه) ^(٣) ، فاختر لك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

(١) (Paris ١٨٩٥) « Autobiographie d, Ousama » ص ١١٠ .

(٢) (Leiden ١٨٦٦) « Critica arabica » N° 2 Landberg ص ٢٦ .

(٣) (لیدن ١٨٦٣) ٩٢ — ١٠٠ .

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية . ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ و صفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاة) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبرغ نكرة وترجمها (La ville hause)^(١) . اما « قرية خربة » (ص ٦٠) فحسبها علماً^(٢) .

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية . ولكانت الاشكال فيه جعل درنبرغ يحسب مرة ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص ٤٦)^(٣) ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص ١٠٧)^(٤) ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه^(٥) ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص ١٠٧) .

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس انضمن الجمل المحكية . وهذا ما جعل درنبرغ^(٥) يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخلة في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص ١١) . ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فذاك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » . فدرنبرغ^(٦) ضمن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج . والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للفرنح ، فيكون أسامة ميمناً قصيراً .

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية . ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ما ندري ما يقولون » . وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « نبرير بلسانهم وانا لا أدري ما تقول » (ص ١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الفرساني « التفت الى غلام له كله بالنوكي ولا أدري ما يقول » (ص ٧٥) . وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالنوكي ولا أدري ما يقولون » (ص ١١٢) . على ان ذلك كله لم يمنع من استعمال

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ .

(٣) قابل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ .

(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ .

كلمات افرنجية ك: «مرجندي» (ص ٥٦) و «مرجند» (ص ٤٩) (sergeant) =
«تركبولي» (ص ٣٧) (Turcopole) = «برجامي» (ص ١٠٤) (bourgeoisie)
«البسكند» (ص ١٠٢) (viscount) = «الداما» (ص ١٠٠) (madame) =
«البرونس» (ص ٨٧) (prince) .

والذي يهمنا أكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية
واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم . مما يجب ملاحظته ان معظم
أسماء آلات الحرب إنما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن
جيرانهم الفرس . واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعربة :

(سندروس) (ص ٨٨) (سندروس ، معدن شبيه بالكهرباء — ممر فسار)
(ص ٩٠) (ممر أفسار ، راس العنان — كزاغند) (ص ٣٤) (كزاغند .
كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع — دركاه) (ص ٣٦) (دركاه ، بلاط الملك
= (دُشني) (ص ٣٨) دشنه ، خنجر = (خشت) (ص ٣٨) خشت ،
حربه = (موزا) (ص ٥٣) موزة ، خف = (اوزبه) (صفحة ٥٤) =
اوزبك ، امير الجيش = (يُشت) (صفحة ٨٦) = پشت ، عباءة = (تُرْكُش)
(صفحة ١٥٨) = توكُش ، جمعة = (ديدب) (صفحة ٩٤) = ديدبان ،
راقب .

وهناك لفظتان فارسيتان اشتهرا على درنيورغ فحسبهما عربيتين : (برجم)
(صفحة ١١٨) = پ برجم ، شعر ذنب عجل البحر . فظنها درنيورغ (براجم) العربية
وترجمها (Articulatoins de doigts) ^١ . و(نشاف) (صفحة ٩٨) وهي في
الراجع (نشاف) الفارسية = بلآه . وترجمها درنيورغ ^٢ (Consumption) .
واليك مثالا من الالفاظ التركبية الواردة في الكتاب : (يوق) (صفحة ٧٦) =
يراق ، سلاح = (جوبان) (صفحة ٧٨) = چوبان ، راع ^٣ .

(١) (Autobiographie) ١٥٦ . (٢) ايضاً ١٢٩ . (٣) اما درنيورغ
(صفحة ١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubàn al-khail) .

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة ٧ س ٢١) = ثياب موشية =
(قنطارية) (صفحة ٤٢ س ٢١) = الرمح أو قنانه = (زُرْبُول) (صفحة ٨١ س ٧) = حذاء .
ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال
في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معمياتها ، واني مدين له بالشكر الكثير من حيث
قراءة الاصل وفهم المراد .

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنية لـ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية
بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها : ^(١) (Usama Ibn munkidh)
(memoiren) اعتمد فيها الكاتب على الترجمة الافرنية مع نصريحه في مقدمة الكتاب
بانه ترجمه عن الاصل العربي . وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً
سيف ترجمته ^(٢) اسم خطيب اسعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل
(صفحة ١٢٥) ، وكذلك فعل شومان ^(٣) . اقم درنبورغ في مكانين من ترجمته ^(٤) كلمة
(نصر) بعد (ناصر الدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠ س ١٢ و ٢) ، وشومان
اتبع اثره ^(٥) . في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة ٧٧ س ١٩) على درنبورغ فحسبها
(ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars) ^(٦) بدلاً من ثمانمائة دينار كما هي
في الاصل العربي ، وشومان اقتفى خطواته (على العميان) وترجم ^(٧) hundred denaren
ولقد نشرت في العام الفائت عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب
الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان : (An Arab-syrian gentlema navel
warrior ui the period of the Cruisades) (New york) .

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى
انكليزية ^(٨) لا قيمة علمية لها ولا جديد فيها لانها مبنية على الترجمة الافرنية السابقة .

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ . (٢) (Autobiographie) ١٦٥ .

(٣) (Memoiren) ٢٢٩ . (٤) (Autobiographie) ٢٦ س ١٤ و ٣٧ .

(٥) (memoiren) ٥٠ و ٥١ . (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩ .

وس ٢٨ . (٧) (Memoiren) ١٥٤ س ١٥ - ١٦ و ٢٤ .

(٨) « Autobiography of Ousama ibn -Mounkidh »

فيكون الكتاب قد ترجم للافرنسية والالمانية والانكليزية .

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ هـ (١٦ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الافرنج ، توفي أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل فاميون الجبل الذي نعته ياقوت^(١) بأنه (مُعظَّم مُقدَّس) . ولقد دُرس قبره مع مدارس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة^(٢) . ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت توبته وهي على جانب نهر يزيد الشامي وقرأتُ عنده شيئاً من القرآن وترجمت عليه »^(٣) .

جامعة برنستون :
فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي



(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ .

(٢) هذه خلاصة تقرير تكريم به بنسار يخ ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الامتاز « المغربي » احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر النقيب عن قبر أسامة . (٣) ١ : ١١٢

جامع التواريخ

«نشوار المحاضرة»

او اخبار المذاكرة

— ٨ —

حدثني «١» ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن البحري «٢» القاضي الداودي «٣» وهو شيخ من خلفاء قضاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف في الحكم . قال حدثني ابو الحسين عبد الله ابن احمد بن محمد بن المفلس الداودي قال كان ابو بكر محمد بن داود و ابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر لم يجرا بين اثنين فيما يتفاوضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج رضي الله عنه كثيراً ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه في الحضور ابو بكر يوماً فسأله خلق «٤» من الشافعية عن العود الموجب للكفارة «٥» ما هو قال

«١» طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٨٩ .

«٢» عند السبكي : البخاري .

«٣» م ، ع ، في طبقات السبكي الداودي هنا وفيما يلي .

«٤» م ، ع ، في الطبقات فسأله حدث .

«٥» م ، ع ، في طبقات السبكي للكفارة في الظهار .

انه اعادة القول ثانياً وهو مذهبه (١) وحضر ابن سريج فاستشرحهم
ما جرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود ولا يا ابا بكر اعزك الله هذا
قول من (٢) من المسلمين تقدمكم (٣) فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال اتقدر
ان من اعتقدت ان قوهم اجماع في هذه المسألة اجماع عندي احسن احوالهم
ان اعدمه (٣) خلافاً وهيئات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال
له انت يا ابا بكر بكتاب الزهرة (٤) امهر منك في هذه الطريقة فقال
ابو بكر بكتاب الزهرة تعيرني والله ما تحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم وانه
لمن احدى المناقب اذ كنت اقول فيه :

اكرر في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرماً
وينطق سري عن مترجم خاطري فلو لا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فما ان أرى حياً صحيحاً مسلماً
فقال القاضي ابو العباس بن سريج أعلي تفتخر بهذا القول وثنا الذي
اقول :

ومساهر بالفنيج من لحظاته قد بت امنعه لذيذ سباته (٥)
صبا بحسن حديثه وعتابه واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولي بخاتم ربه وبراته (٦)

« ١ » عند السبكي : ومذهب داود. « ٢ » م. ع. في الطبقات تقدمكم فيه. « ٣ » عند
السبكي : اعدهم. « ٤ » يعني كتاب ادب الفه ابو بكر « ٥ » م. ع. في الطبقات سناته. جمع
سنة اي النعاس. « ٦ » بالاصل وفراته ، الصواب عند السبكي.

فقال ابن داود لابي عمر ايد الله القاضي قد اقر بالمبيت على الحال التي ذكرها وادعى البراءة مما يوجب عليه اقامة البيضة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقراراً وناطه بصفة كان اقراره موكولاً الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان قال ابن سريج فهذا القول اختياري الساعة

حدثني مبشر مولى بني قال قدمت سوق الاهواز من غيبة كان مولاي غائبا فكتب من المشرعة الى ابي ايوب داود بن علي بن ابي الجعد الكاتب وكان بينهما أنسة ومودة وعرفه قدومه فالتبس منه ان ينفذ اليه مركوبا ليركه من المشرعة الى داره فانفذ اليه ابو ايوب المركوب وكتب اليه :

عبدك داود به علة تمنمه ان يتلقاكا

والبغلة الشهباء قد اسرجت فاركب فدينك فدينكا

عيني الى الباب واذني الى . مبشري قد جاء مولانا

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال وكان ابو المكنى بابي حامد قد تقلد القضاء وابو علي هذا قد خلف عدة قضاة على غير بلد قال حدثني ابن حجا الاصفهاني قال قيل لابي مسلم محمد بن بحر لما دخل اصبهان واليها وصارفا لابن رستم ان ابن رستم قد اخذ طالما في دخولك وهو يذكر أنه غير جيد فقال ان كان قد اخذ طالما فقد أخذت فاربه

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال كان (١) ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل علي بن عيسى واليه اذ ذاك الديوان فقلد ابو الحسن سليمان الديوان باسمه فأقام يتقلده نحو سنتين فقام يصلي المغرب فسقطت من كفه رقعة بخطه نسخة سماية بابن الفرات واسبابه وسعى لابن عبد الحميد كاتب السيدة بالوزارة (٢) واخذها بعض اسبابه وتقرب بها الى ابن الفرات فقبض عليه للوقت فانفذه الى واسط في زورق مطبق وصودر وعذب بواسط ثم رجع له ابن الفرات لما وقف من كتاب صاحب الخبر (علي) ان ام سليمان ماتت ببغداد ولم يحضرها ولا رآته قبل موتها فاغتم لذلك وبدأ (٣) فكتب اليه بخطه كتابا اقرأه سليمان بعد ذلك فحفظته ونسخته: ميزت اكرمك الله بين حقتك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم وتفكرت في سالف خدمك في المنازل التي فيها ربيت وبين اهليها غذيت فتأني اليك وعطفتني عليك واحاديثي الى افضل ماعهدت واجمل ماالفت فثق اكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح مااختل من امرك عليه واعلم انني أراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد السبب مقام اللعنة والنسب وتسهل ماعظم من جنايتك وتقلل ماكثر من اساءتك ولن ادع

«١» تجارب الامم ١٥:١ وكتاب الوزراء لخلال ص: ١٠٢. «٢» م.ع. : في كتاب الوزراء فوقعت في يد احد الحواشي فحملها الى ابن الفرات ولما وقف عليها قبض عليه الخ «٣» م.ع. : لعل الاصل يداله

مراعاتها والمحافظة عليها ان شاء الله وقد قلدتكم اعمال دستميسان (١) لسنة ٢٩٨
وبقايا ما قبلها وكتبت الى احمد بن حبش بحمل عشرة آلاف درهم اليك
فتقلد هذه الاعمال وأظهر فيها اثرأ حميداً يني عن كفايتك ويؤدي الى ما
احبه من زيادتك ان شاء الله

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن
العباس الترمذي قال حدثنا عمر عن اليزيدي الأكبر مؤدب المأمون
قال دخل ابو العباس الفضل بن الربيع على ابي علي يحيى بن خالد البرمكي
وهو جالس للحوائج وابنه جعفر يوقع بين يديه فعرض عليه رقعة فقال هذا
لا يمكن واخرى فقال هذا مما قد حظره امير المؤمنين واخرى فقال هذا
يفسد به الاولياء (واخرى) فقال هذا يثلم الارتفاع الى ان عرض عليه
عشر رقاع واعتل فيها بطل مختلفة ولم يوقع له بشيء فجمعها الفضل وقال
ارجعن خائبات ونهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصرف حال والزمان عشور

فتقضي لبانات وتشفي حسائك (٢) ويحدث من بعد الامور امور

فسمها يحيى فقال عزمت عليك يا ابا العباس ما رجعت فرجع فوق
له في الرقاع كلها

١٥ م.ع. : قال ياقوت دستميسان كورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي الى
الاهواز اقرب. وقيل هي كورة قصبتها الابلّة فتكون البصرة من هذه الكورة.
٢٥ م.ع. : جمع حسيكة او حساكة وهي العداوة والحقد.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن عيسى قال حدثنا
ابي قال حدثنا ابو داود بن الجراح قال قال لي الفضل بن مروان كنت
اعمل في ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظمت في الحساب السنة التي
نكب فيها اليرامكة ووجدت قد ثبت فيه ثمن هدية دفعتمين من مال ضياع
الرشيد واهداهما الى جعفر بن يحيى بضعة عشر الف دينار وفيه بعد شهر
من هذه الهدية قد ثبت في الحساب لثمن نبط وحب قطن ابيع وحرق
به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله نبطويه قال حدثنا ابو العباس
ابن الفرات قال قال لي ابو عبد الله ابن سليمان قال قال لي ابي سمعت ابا
الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال سمعت ابا جعفر احمد بن يوسف
يقول وهو اذ ذاك وزير المأمون لما قال الشاعر بعد قتل ابي سلمة وزير
السفاح:

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيراً

كذبت الوزراء من يشناك فلا يدخل في هذا الامر الا منحوس .

حدثني ابو علي بن ابي حامد قال سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا
الطيب احمد بن الحسين المتنبئ بها اذ ذاك كان في بادية السماوة ونواحيها
الى ان اخرج اليه اولو من حص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره وشرده
من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب وحبسه في
السجن دهنأ طويلاً فاعتل وكاد ان يلف حتى سئل في امره فاستتابه

وكتب عليه وثيقة اشهد فيها بيطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وانه
تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه قال وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر
انه قرآن نزل عليه وكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة فضاعت
وبقي اولها (في) حفظي وهو:

والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، ان الكافر لي اخطار.
امض على سبيلك، واقفأثر من كان قبلك من المسلمين (١) فان الله قانع
بك، زينغ من الهد في دينه وضل عن سبيله .

قال وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها غير هذا قال وكان المتنبي
اذا استوعب (٢) في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب يذكر له هذا
القرآن وامثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجمده. قال وقال له ابن خالويه
النعوي يوماً في مجلس سيف الدولة لولا ان الآخر جاهل لما رضي ان يدعى
بالتنبي لان متنبي معناه كاذب ومن رضي لنفسه ان يدعى بالكذب
فهو جاهل فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد
الغرض مني ولست اقدر على الامتناع. فاما انا فاني سأنته بالاهواز في سنة
٣٥٤ عند اجتيازها الى فارس في حديث طويل حدث بيننا - عن معنى
المتنبي لاني اردت ان اسمع منه هل تبدأ ام لا فأجابني بجواب مغالط لي
وهو ان قال: هذا شيء كان في الحداثة اوجبه الصورة قاستحييت ان
ان استقصي عليه وامسكيت. وقال لي ابو علي بن ابي حامد قال لي ابي ونحن

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري من المرسلين. «٢» م.ع. كذا في الاصل .

بجلب وقد سمع قوماً يحكون عن ابي الطيب المتنبي هذه السورة التي قدمنا ذكرها لولا جهله. أين قوله امض على سبيلك الى آخر الكلام - من قول الله عز وجل (فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين انا كفييناك المستهزئين) الى آخر القصة وهي (١) تتقارب الفصاحة بينهما او يشد به الكلامان .

حدثنا ابو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي قال : حدثنا ابو سلمة العسكري احد غلمان ابي علي الجبائي قال كنت بحضرته يوماً وهو يصلي ونحن جلوس نتحدث فقال رجل منا اليوم كنت عند صديق لي فاطممني معقود العسل ودهن اللوز فقالوا..... (٢) ليس بها من يكون هذا عنده الا العامل ولست ممن يأكل طعام العمال (٣) فمن الرجل يشوش الكلام وسلم ابو علي من صلاته فقال لنا لا يهوسكم (٤) لعله كان اليوم عند الصيد لاني وتناول (٥) لطريقك (٦) فقال الرجل هكذا كان.

وحدثنا ابو الحسين ايضاً قال حدثنا ابو محمد الحسن بن عمرو قال (٧) كنت بالاندلس فقبل لي ان بها تلميذاً لابي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيد ويكنى (٨)

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري وهل . «٢» بياض بالاصل . «٣» م.ع. لعله فر الرجل يشوش او وتشوش الكلام اي اختلط . «٤» كذا في الاصل ولعله لا يهولنكم . «٥» م.ع. كذا في الاصل ولعله تناول لطريقاً وسماه ان اليطار في مفرداته طريقان وقال هو اسم يوناني ومعناه ذو ثلاثة الاوراق وشرح له فوائد طيبة كثيرة الى ان قال : (وقد يقع اصل هذا النبات في اخلاط الادوية المعجونة) فليراجع . «٦» لعله كطريقك . «٧» معجم الادباء - ٦ : ٧٤ - «٨» م.ع. كذا في الاصل والصواب يكنى .

أبا خلف فأتيته فرأيت شيخاًهما فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ولم
يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال كان طالب العلم (١) يشرف عند ملوكنا
فوقع إلينا كتاب الترييع والتدوير له فإشاروا إليه ثم اردفه عندنا كتاب
البيان والتبيين فبلغ الرجل الصكاك (٢) بكتابة هذين الكتابين قال فخرجت
لأعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقبل هو بسر من رأي
فأصعدت إليها فقبل قد انحدر إلى البصرة فأنحدرت إليه وسألته (٣)
عن منزله فأرشدت فدخلت إليه وإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً
ليس فيهم ذو لحية غيره قال فدهشت فقلت أيكم أبو عثمان فرفع يده إلى
وسر كما في وجهي وقال من أين . فقلت من الأندلس قال طينة حمقاء . فما
الاسم ؟ قلت سلام قال اسم كلب القراد . ابن من ؟ قلت ابن يزيد (٤) قال بحق
ماصرت (٥) أبو من ؟ قلت أبو خلف قال كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب ؟
قلت العلم قال ارجع بوقت فانك لا تفلح قلت له ما انصفتني فقد اشتملت
على خصائل (٦) أربع : جفاء البلدية (٧) وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة
الداخل . قال فترى حوالي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري . ما كان يجب

«١» م.ع. في ياقوت طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بقاء أبي عثمان «٢» م.ع. الصواب اسقاط لفظ بكتابة كما في ياقوت والصكاك كغراب لغة في السكاك وهو الهواء الملاقى عنان السماء . أي بلغ غاية الرفع الخ «٣» م.ع. كذا في الأصل والظاهر . إليها . وسألته . «٤» كذا في خطنا وعند ياقوت وسبق أن اسم أبيه زيد . «٥» لعله صرف «٦» م.ع. كذا في الأصل ولم نجد خصائل بهذا المعنى فالظاهر خصال كما في ياقوت «٧» م.ع. الظاهر البادية .

ان تعرفني بها قال فأقمت عليه عشرين سنة قال وكان سلام هذا يحسن العلم قال وبلغني عن أبي بكر بن مجاهد انه قال: الناس اربعة مليح يتبعض لملاحظته. وبغيض يتماح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له. وبغيض يتبعض فيعذر لانه طيبة. ومليح يتماح فتلك الحياة الطيبة

حدثنا ابو الحسين قال كنت بآامه (١) من بلاد الهند فسمعتهم يتحدثون ان ملوك الهند يغالون في الافيلة (٢) الحرية على قدر عظم بطشها فربما بلغ الفيل الفاره المنقطع النظير مائة الف دينار ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينار قال فاذا بلغ الملك ان فيلا قد يعرف وله بطش عظيم وانه يصلح للحرب امر بصيده قالوا وايس له حيلة في صيده الا بان يخرج قوم من الفيلالين ومعهم فيلة اثني اهلية مملعة فيها فضل خبث (٣) وتأنيث والافيلة فيها من الفطنة امر عظيم قال فيخرج الفيلالون وهي معهم الى حيث قد بلغتهم موضعاً يتغرب الفيل فيه فيقاربون الموضع ويلجأون الى موضع يختبئون فيه: (في) (٤) شجرة (٥) عظيمة لا يمكن الفيل فيها حيلة او شيء يحفرونه ويفطونه ويدعون الفيلة الاثني ترعى. فحين يشم الفيل رائحتها يقصدها وتقصده فتلاعبه وتطاممه (٦) بخرطومها وتوانسه ولا يبرح من حيث هي

١ « لعلها تانه التي ذكرها حمد الله المستوفي في ترهة القلوب (ص ٢٦٢) والدمشقي (ص ١٧٣) قيل انها بومباي. » ٢ « م.ع. جمع الفيل أفيال وقيول وفيلة ولا يقال افيلة. » ٣ « م.ع. الظاهر خنث. » ٤ « بالاصل ما. » ٥ « م.ع. الظاهر ان الاصل اما شجرة النخ. » ٦ « م.ع. الاظهر تطاعمه من تطاعمت الحمامتان اذا ادخلا فماً في فم. »

ويرعيان في موضع قياها (١) والقبالون يختبون شهراً لا يفرقون بينهما فإذا كان بعد شهر اقل (٢) او اكثر على حسب علمهم باستحكام الالفة استدعوا الفيلة في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه فتجيشهم فيركبونها (٣) فحين يراهم الفيل ويراهم يتبهم فيروم ان يودي (٤) القبالين فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه وتسرع ويسرع خلفها فاذا رأوه قد ولى ردها اليه فتلاعبه فيرجع معها فلا يزالون يمشون به خلفها يومين او ثلاثة الى ان يروا منه ضجراً او شدة في اذيتهم فيقفون ليلة في موضع ويهاربون عن ظاهرها الى موضع يختبئون فيه فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ويحرزون انفسهم في المختبأ ويدعونه معها دون تلك المدة ثم يسرون بها على ذلك الوجه فيتبها الفيل فيسيرون بها يومين او ثلاثة او حسب مايمكن الى ان يبدو ضجره فينزلون على رسمهم فلا يزالون كذلك حتى يقربوه من البلد في مدة على حسب بعد المسافة او قربها فاذا بلغوا المدينة اخرج ملكها جميع اهل البلد او اكثرهم وجمعهم وصعد حامتهم على السطوح النساء والصبيان مزينين. فحين يرى الفيل اجتماعهم يستوحش وينفر ويولي ويطلب الصحراء فيرجع فاذا رأى الناس بعمر (٥) فيرجع اليه فيرده فلا يزال كذلك معه حتى يدخله بين الناس ويقربه منهم ويقيمونه (٦) القبالون اياماً كذلك حتى يألف الناس فاذا افهم امر الملك بجمع

« ١ » لعله وفيهاها. « ٢ » م.ع. لعله او اقل. « ٣ » م.ع. الصواب فيركبونها.

« ٤ » م.ع. لعله يؤذي او يردي. « ٥ » كذا بالاصل والجملة محرفة.

« ٦ » م.ع. الظاهر ويقيم

اصحاب الدباب والبطول والصنوج فحين يسمع ينفر نفوراً شديداً اشد من ذلك ويهرب فتمضي الفيلة خلفه فحين يراها وقد بعد عن الصوت قليلاً يقف لها فتداعبه وترده وتداريه فحين يقرب من الصوت يهرب ثم يرجع معها هذا دأبه معها يفعل به ذلك اياماً متتابعات الى ان يألف الصوت فاذا الف المناظر والاصوات ادخل الفيالون الفيلة الى البلد ويتبعهم الفيل فيجثون بها الى ساحة كبيرة معدة لها فيها اربعة اوتاد ساج اقل ما يكون واعظمه متقاربة منصوبة على اساسات شديدة (١) فتدخل الفيلة من بين تلك الاوتاد وتقف فيدخل وراءها ويقف معها فينزل الفيالون وفي اصول تلك الاوتاد حلق عظام وثيقة في كل دقل (٢) حلقة وفيه قيد عظيم ثقل فيضمون القيد في قائمة من قوائم الفيل فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الاوتاد ولا يمكنه قلعها ولا ان يطرح ثقله على شيء ليساوي احراجه (٣) في التقييد اليها فلا يزال على ذلك اياماً والفيلة الى جانبه فاذا مسه الجوع جاءه الفيالون بالارز والنسمن المطبوخ فاطعموه اياه بان يرموا اليه من بعد فللجوع (ما) ياكله ولا يزالون يدارونه ويتقربون منه على تدريج حتى ياكله من ايديهم بعد مدة فاذا اكل من ايديهم فهي العلامة في استئناسه فحين يأكل من ايديهم مراراً كثيرة ويستمر على هذا يركبونه ويضمون الحديد في رأسه

« ١ » بالاصل اسسات شديدة . « ٢ » م . ع . الدقل صاري السفينة والمراد هنا الوتد المذكور . « ٣ » كذا بالاصل وبالجملة محرفة . م . ع . الظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم وجمع كانه صير كل جزء جرماً .

اياماً ويمرونها عليه حتى يالفاها ويعلمونه ويكلمونه فاذا مضت ايام على هذا حلوا قيوده وهم فوقه فيمشي ويصرفونه (١) بحسب ما يصرفونه عليه ويصير في حكم الاهلي. قال وسمعت ان ملك الصنف (٢) وهو البلد الذي يجيء منه العود الصنفي له الف فيل اذا اخرجت تمتد نحو فرسخ قال وسمعت ان الملك اذا اراد قتل انسان سلمه الى الفيل فيكلمه الفيل في ان يقتله قال فيقتله بالوان من القتل منها انه ربما لف خرطوميه على رجل الرجل ويضع احدي يديه على ساق الرجل الاخرى ثم يعتمد عليه فاذا هو قد خرق الرجل بنصفين من اوله الى آخره وربما ترك الرجل واستمرضه بالمرض ثم وضع يده على بطنه فيسحقه قلت انا رأيت بالبصرة في سنة ٣٣٩ فيلاً لطيفاً حمله صاحب عمان الى معز الدولة فاجتاز بالبصرة وحمل الى دارنا فأدخل الى صحننا فرأيناه وسمعت عدداً كثيراً من اهل البصرة يخبرون اذ ذاك ان هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع فقرب منه صبي دون البالغ فصاح به الفيلون ليتنحى عن طريق الفيل فدهش الصبي وادركه الفيل فلف خرطوميه عليه وشاله فرفعه الى الفيلين فأخذوه منه فصاح الصبي فطار عقله فما انزلوه الا بدراهم وانهم اجتازوا بعد ذلك بايام فادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله بخرطوميه ورقاه في الهواء ثم استقبله بنابه فأدخله في جسمه فقتله.

حدثني ابو الحسين (٣) قال حدثنا الفضل بن باهماد (٤) اني السير بها وكان

« ١ » م. ع. كذا في الاصل . « ٢ » م. ع. الصنف موضع في بلاد الهند او الصين « ٣ » الفرع بعد الشدة ١٢٩: ٢ . « ٤ » في الفرع هاما .

مشهوراً بملوك أقاصي بلدان البحر قال قال لي رجل من بعض مياسير (١) بلاد الهند والبيسير هو المولود على ملة الاسلام في بلاد الهند (٢) انه كان في بلد من بلاد الهند وكان فيه الملك حسن السيرة وكان لا يأخذ مواجهة ولا يعطي مواجهة انما يقلب بيده الى وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاما للملك وسنة لهم هناك وانه توفي فوثب رجل على ملكه فاحتوى عليه وهرب ابن كان له يصلح الملك خوفاً على نفسه من المتقلب. ورسوم ملوك الهند ان الرجل اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدره قد جمع فيها كل نفيس فاخر من اليواقيت والجواهر مضرابا بالابرسم في الصدره ويكون قيمة ذلك ما ان اراد ان يقيم به ملكا قامه . قال ويقولون ليس بملك من قام من مجلسه وليس معه ما ان حدثت عليه حادثة فهرب به امكنه اقامة ملك عظيم منه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه انه مشى ثلاثة ايام قال ولم اطعم طاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولاً وانفت ان استطعم ولم اقدر على اظهار ما معي قال فجلست على قارعة الطريق واذا برجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت اين تريد ؟ فقال الجدام الفلاني ومعنى الجدام

١، في الفرج بياسرة... والبيسر. والارجح ان الكلمة محرفة اصلها مسلمان وكتبها

بعض سياحي. الافرنج بيسرمان . ٢، م . ع . الظاهر انه الياصرة قال في التاج الياصرة جبل بالسند او بالهند تستأجرهم النواخذة وهم اهل السفن لمحاربة العدو والواحد بيسري

الرساق فقلت له هذا الجدام الفلاني اريد فنصطحب قال نعم فطعمت في ان
يعرض علي شيئاً من مأكوله قال فحمل الكارة واكل وانا اراه ولم يعرض
علي وانفت ان ابتدئه بالسوء ال وقام عشي وقد شدها فمشيت معه وتبعته طمعاً
في ان تحمله الانسانية والموانسة والمرض (١) فعمل بالليل معي كما عمل بالنهار
قال واصبحنا من غد ومشينا فعاملني بمثل ذلك على هذا سبعة ايام لم اذق
شيئاً فاصبحت في اليوم الثامن ضميماً لاقدرة لي على الحركة فرأيت جداما
في حاشية الطريق وقوما يذبون وقيا عليهم يأمرهم قال ففارقت الرجل
وعدت الى الوكيل فقلت استعملني باجرة تعطنيها عشيأ مثل هو، لاء فقال
نعم ناولهم الطين قال فكنت آخذ الطين فلما دة الملك اقلب يدي الى ظهري
واعطيتهم الطين فكما (٢) اذكر ان ذلك خطأ علي (٣) وسفك دمي ابادر بتلافي
ذلك فارد يدي بسرعة قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت
سيدها بخبري وقالت لا بد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدم عليها (٤)
بحبسي عن الماضي مع الصنيع فاحتبستني وانصرف الصنيع فجاءني بالدهن
والعروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لاعظامهم فتغسلت بذلك
فجاءوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة نفسها علي التزويج فمقدت
عليها ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين أربا حالها وكانت لها نعمة
فانا يوماً جالس على باب دارها فاذا انا برجل من بلدي فاستدعيته فجاءني

١ د لعله على العرض . ٢ د لعله كلاء . ٣ م ع . لعل الاصل خطأ مني وسبب
لسفك دمي او خطر علي . ٤ د لعله تقدم اليها اي امرها .

فقلت له من اين انت؟ قال انا من بلد كذا وكذا و ذكر بلدي فقلت مات صنعها
هنا فقال كان فينا ملك حسن السيرة فمات ووثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت
الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء
عشرة رعيته فوثبوا عليه فقتلوه وانبثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفى لنجلسه
مكان ابيه فما نعرف له خبراً قال فقلت له : تعرفني؟ قال لا فقلت انا طابتم قال
واعطيته العلامات فعلم صحة ماقلت له فكفر لي قلت اكنتم امرئالي ان تدخل
الى الناحية فقال افعل قال فدخلت الى المرأة واخبرتها بالخبر وحدثتها بالصورة
وبامري كله واعطيتها الصدرة وقلت فيها كذا ومن حالها كذا وانا ماض
مع الرجل فان كان ما ذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيشك رسولي فيذكرك
الصدرة فانهضي معه وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى مع
الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالنكفير واجلسوه في الملك
وانفذ الى الزوجة من حملها وجاءت فحين اجتمع شمله واستقام ملكه امر
فبنيت له دار عظيمة وامر ان لا يجتاز في عمله مجتاز الا حمل اليها ويضاف
ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام اخر وكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي
استصحبه في سفره ويقدر ان يقع في يده واراد ان يبني الدار شكراً لله
تعالى على الخلاص مما كان فيه وان يكفي الناس المؤونة التي كانت لحقته (فلما
كان) بعد حول استعرض الناس قال وقد كان يستعرضهم كل شهر فلا
يرى الرجل فيصرفهم فلما كان ذلك اليوم رأى الرجل بينهم فحين وقعت

عليه عينه اعطاه ورقة تانبول (١) وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك بائسان من رعيته . قال فحين فعل الملك بالرجل ذلك كفر له وقبل الارض فامر به الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فامر بتغيير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال له اتعرفني قال وكيف لا اعرف الملك وهو من حاله وعظم شأنه وعلو سلطانه (بحيث هو) قال لم ارد هذا اتعرفني من قبل هذه الحال قال لا قال فاذكره الملك الحديث والقصة في منعه الطعام سبعة ايام في السفر قال فبهت الرجل وقال ردوه الى الدار وونسوه (٢) وزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعمم الرجل فلما اراد النوم قال الملك لامرأته امضي فغمزيه (٣) حتى ينام قال فجاءت المرأة ولم تزل تغمزه الى ان نام فجاءت الى الملك وقالت قد نام فقال ليس هذا نوما حر كوه فانه ميت (٤) قال فقالت له المرأة ايش هذا قال فساق اليها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهي في اكرامه والهند لهم كبود عظام وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم فدخل عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي ذلك الوقت فتناهي الحسرة وقد كنت اتوقع موته قبل هذا مما تتوهمه واستشمره من العلة في نفسه والحسرة والاسف فقتلته

« للبحث صلة »

« ١ » م. ع. التانبول يقال له التامول وهو نبت طيب الريح ينبت نبات اللوبيا طعمه طعم القرنفل يمضغ فيطيب النسكة . « ٢ » م. ع. الظاهر وآنسوه « ٣ » م. ع. الصواب فغمزيه « ٤ » في الفرج : فحر كوه واذا هو ميت

رسالة الكرم

- ٣ -

ويقال أفصد الشجر وانفصد : انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه .
وفي اللسان السّفير ماسقط من ورق الشجر وتحاتّ وما سقط من ورق العشب .
وقال الخطيب : ويقال قد حجب عقد قضبانه في مطلع العنساقيد فاذا استدار قيل
فلك فاذا طلع قيل نجم ثم يقال قد اوراق واعنم .

« ورق الكرم وتوريقه »

الورق^(١) من الشجر كل ما تبسط تبسطاً وكانت له عير^(٢) في وسطه نذشر عنه
حاشيتاه . واحدته ورقة والجمع اوراق .
أوراق الشجر اوراقاً وورق يرق كعود بعد وورق توريقاً خرج ورقه وقال ابو حنيفة
ظهر ورقه تاماً واورق بالآلف اكثر .

وفي اللسان . ورقت الشجرة توريقاً وأورقت اوراقاً أخرجت ورقها واورق اي خرج
ورقه . والوراق بالكسر ككتاب . الوقت الذي يورق فيه الشجر . والوراق بالفتح
ككتاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق اي ورق الارض . وقال ابو حنيفة
هو ان تطرد الخضرة لعينك قال أوس بن حجر وقبل ابن زهير يصف جيشاً بالكثرة :
كأن جيادهم برعن زُمَ جراد قد اطاع له الوراق

وشجرة وارقة ووريقة وورقة^(٣) كثيرة الورق او خضراء حسنة الورق . ويقال
ورقت الشجرة ورقاً . ألقت ورقها . وورق الشجرة يرقها ورقاً أخذ ورقها فهي
مورقة . وفرع وريق كثير الورق .

ويقال سيف القوس ورقة اي عيب وهو مخرج العنص اذا كان خفياً فاذا زادت فهي
الابنة فاذا زادت فهي السخبة هكذا في التاج وفي اللسان فهي السخمة هكذا بغير نقط ولم نجد
للسخبة معنى ملائماً واعلمها محرفة عن الشجبة وهي الشعبة من كل شيء . وفي المخصص فان

(١) في اللسان الرق ورق الشجر . (٢) غير الورقة الخط الناقى سيف وسطها كأنه

جِدَ يَر وكل ناقى في وسط مستور فهو «عير» . (٣) على النسب لانه لا فعل له .

كانت اخفى من الأبنة فهي أرفة . وفي التاج الأرفة العقدة .
 الخائب . ورق الكرم العريض ونحوه وهو بكسر الخاء على مائتينضيه عبارة القاموس
 والتاج وقد ضبط بالشكل بضم الخاء في عبارة اللسان والمخصص . ومباري اللغة للاستكافي
 وضبط بالشكل في اللسان في مادة (غلق) بضم الخاء وتشديد اللام .
 الغلق بكسر ورق الكرم مادام على شجرة .
 الجفنة ورق الكرم عن ابن سيده .
 الغار ورق الكرم وبه نسر بعضهم قول الاخطل :
 آلت الى النصف من كلامه أنافها^(١) عالج ولثمها بالجفن والغار
 ويقال أغلى الكرم خفف من ورقه ليجود ويرثم . وكل ما ارتفع فقد غلا وتعالى .
 والفعل ان ينحت عنب الكرم فيخففوا من ورقه فيلنقطوه وفي المخصص الغمل ان
 يخفف حمل الكرم .

« قضبان الكرم »

القضيب . الفصن . وكل نبت من الاغصان يقضب والجمع قُضْب وقُضْب وقُضبان
 وقضبان الأخيرة اسم للمجمع .
 السرع بالفتح وبكسر قضيب الكرم الفص لسنه والجمع سرع وهي سرع سرعاً
 وهي سوارع والواحدة سارعة . وفي المخصص وهي السوارع ما دامت عيونها تقودها
 وفي التهذيب والسرع اسم القضيب من ذلك خاصة .
 السرع راع . القضيب مادام رطباً غصاً طرياً لسنه والائى سرع راع . قال في
 اللسان : وكل قضيب رطب سرع وسرع .
 والأساربع شكر تخرج في أصل الحيلة . والأساربع^(٢) التي تتعلق بها العنب

(١) هكذا رواه صاحب اللسان والتاج ولم نجد معنى لاثاف ولا ذكرا فيها واعلمها أنافها
 اي ملأها من قولهم أنافت السقاء اي ملأته . والكلفاء الخمر سميت بذلك لقونها وهي التي
 تشد حمرتها حتى تضرب الى السواد
 (٢) هكذا في اللسان وفي التاج وهي التي تتعلق الخ . وفي الأصمعي والذي يتعلق به العنب

وربما اكلت وهي رطبة حامضة . الواحد أضرُوع .
 الأسرُغ . قضيب الكرم الرطب جمعه 'سرُوغ قال الازهرى والسرغ بالعين المعجمة
 لغة في السرغ بمعنى القضيب الرطب . وسرغ الرجل كفرح اذا أكل القطوف من
 العنب باصولها . ورواه الليث بالعين المهملة .
 النَّفْضُ قضبان الكرم بعدما ينفر ورقه وقبل ان تلتحق حوائقه ^(١) وهو أغض ما يكون
 وارخصه وقد انفض الكرم عند ذلك . واحدته نَفْضة . ونَفَضُ الشجرة حين انفض
 ثمرتها .
 والنَّفَضُ ما تساقط من غير نَفَضٍ في اصول الشجر من انواع الثمر . وفي اللسان
 والنَّفَضُ اغض ما يكون من قضبان الكرم .
 وفيه ايضا والنَّفَضُ بالتحريك ما تساقط من الورق والثمر وهو فعَل بمعنى مفعول .
 والنَّفَاضُ والنَّفَاضُ بالضم ^(٢) ما سقط من الشيء اذا نفضته اي حركته . والنَّفَضُ وعلا
 ينفض فيه الثمر .
 والنَّفَاضُ بساط ينحت عليه ورق الثمر وغيره وذلك ان يبسط له ثوب ثم يخبط بالهما
 فذلك الثوب نفاض والجمع نفَضٌ بضم نون وما انفض عليه من الورق يقال له نفاض وانفوضة
 والجمع انافِض . الزمخشري الانافِض ما تساقط من الثمر في اصول الشجر .
 العُسلُج والعُسلُج ما لان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ما يندب ويقال
 العسلج عروق الشجر وهي نجومها التي تلجم من سنها . ابن سيده : العُسلُج والعُسلُج
 والعسلج الفصن لسنه وقيل هو كل قضيب حديث وقيل العسلج الفصن اذا يرس
 وذابت طراوته . وعسلجت الشجرة اخرجت العسلج .
 النامية من الكرم القضيب الذي عليه العناقيد . وقيل هو عين الكرم الذي يتشقق
 بالشجر يسمى الاساربع . واساربع العنب شكر تخرج في اصل الحيلة وربما اكلت رطبة
 حامضة . وفي النخوص الاساربع معاليق العنب في الكرم وربما اكلت الخ .
 (١) في مبادي اللغة خوالفه والصواب ما ذكرنا .
 (٢) في التاج ان النفاض يجوز فيه الكسر .

عن ورقه وحبه وقد أنى الكرم . قال المفضل يقال للكرمة انها كثيرة النوامي وهي الاغصان واحدها نامية واذا كانت الكرمة كثيرة النوامي فهي غاطية^(١) . الأصمعي فاذا صارت لها قضبان قيل انى . ويقال ما احسن نواميه . وقال السجدة والنامية شعب الشكير . وفي المخصص اذا نبت الشكير ثم شعب فتلك الشعب النوامي . وانى الكرم صار له قضبان .

ويقال استظل الكرم اذا التفت نواميه ونظلل مثله .

الحالقي من الكرم ونحوه ما التوى منه وتعلق بالقضبان . وفي المخصص ويقال لخيوطه الكرم التي تعلق بها من الشجر الحالق وكذلك الحالق وفي اللسان والمخالقي والمخالقي ما تعلق بالقضبان من تعاريش الكرم . قال الازهرى كل ذلك مأخوذ من استدارته كالحلقة^(٢)

الإطار ككتاب : قضبان الكرم تلوي للتعريش .

العقش^(٣) : أطراف قضبان الكرم .

العنم : محرقة خيوطه يتعلق بها الكرم في تعاريشه واحدها عنمة محرقة .

العردم والعيردام : العنق الذي فيه الشارنج واصله في النخلة كذا في اللسان .

وفي التاج العود الذي فيه الشارنج نقله الجوهري عن ابي عبيد .

الأظفور بالضم : الدقيق الذي يلتوي على قضيب الكرم . وقال ابو حيان جمع

خيوط تلتوي على قضبان الكرم .

العرجون : اصل عود العنقود وهو من العنب عرجون صغير وفي المخصص ويقال

لاصل عود العنقود العرجون كما يقال في الكباش .

(١) هكذا رواية اللسان والتاج وهي خطأ والصواب غاطية من قولهم غطت الشجرة

اذا طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها .

(٢) والحقائق شجر ينبت نبات الكرم ويروني في الشجر وله ورق شبيه بورق العنب

حامض بطيخ به اللحم وله عناقيد صفار كعناقيد العنب البرية الذي يخضر ثم يسود فيكون

مراً ويؤخذ ورقه ويطبخ ويحمل ماؤه في العصف فيكون أجود له من حب الرمان واحده

حلاقة . (٣) وفي التاج والقعش والعقش أطراف الخ .

العرجود كزنبور اصل العذق من التمر والعنب حتى يقطعا . الاصمعي العرجود اصل العذق وهو الاهان . وهو من العنب عرجود صغير فلا يزال عرجوداً حتى يقطع عنه وفي اللسان والعرجود العرجون وهو من العنب عرجون صغير قال ابن الاعرابي هو العُرْجُدُ والعُرْجُدُ والعرجود لعرجون النخل .

الاِهان عرجون الثمرة والجمع آهنة وأهْن وعن الليث هو العرجون يعني مافوق الشاربخ ويجمع أهناً والعدد ثلاثة آهنة . وفي اللسان العُرْهون والعرجون والعُرْجُد كله الاهات .

الحِجَن : القضبان القصار التي فيها العنب واحدها حَجَنَة .
العِطْفَة بالكسر : أطراف الكرم المتعلقة منه . والعطفة بالكسر والفتح شجرة تعلق الحبل بها ويقال لها العَصَبَة والعَصَبَة محرّكة وبالضم والجمع عَصَب وعَصَب وهي اللبلاب .

وقال الأصمعي وتلك التي تعلق بها الحبل بالشجر تسمى العِطْفَة وقال ونحن نسميها عِطْفَة ونقل في اللسان عن النضر انها عِطْف واحدها عِطْفَة .
وفي المخصص ويقال لخيوط الكرم التي تعلق بها من الشجر الحالق صاحب العين وكذلك الحالق . ابوحنيفة والعِطْفَة مثله وهو كذلك من كل ما أشبه الكرم .
الرُّعْل : الأطراف الفضة من الكرم الواحدة رُعْلَة وقد رُعِل الكرم .

الغصن : ما نشعب عن ساق الشجرة دفاقها وغلاظها والجمع أغصان وغصون وغصانة والغصانة الشعبة الصغيرة منه وجمعها غُصْن . وغصَن الغصن يَغْصِنه قطعه وأخذه .
وفي اللسان القَطِيع الغصن تقطعه من الشجرة والجمع أَقْطِعة وقُطُم وقُطُمات وأقاطيع كحديث وأحاديث والإِقطِع من الشجر كالقَطِيع والجمع أَقْطَاع . وأقْطعته قضباناً من الكرم أي اذنت له في قطعها .

الشعبة : الغصن ومن الشجر ما تفرق من أغصانها والجمع شُعَب . وشعب الغصن أطرافه . وقيل ما بين كل غصنين شعبة والشعبة الطائفة من الشيء ويقال شعب من العنقود شعبة أي قطعها منه . وفي يده شعبة من مال أي قطعة وطائفة منه .

ويقال أغلى الكرم . إذا النف ورقه وكثرت نوااميه وطالت وفي المخصص وإذا النف

ورق الكرم وكثرت نوااميه وطالت قالوا قد أغلى وغلا واغلولى وأعطى وغطى وكذلك غيره من الشجر والنبات . وفي اللسان غطت الشجرة وأعطت طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها وقوله أنشده ابن قتيبة .

ومن تعاجيب^(١) خلق الله غاطية بمصر منها ملاحي وغريب
انما عني به الدالية لسموها وبسوقها وانتشارها والباسها . المفضل يقال للكرمة
الكثيرة النواامى غاطية .

عق أن الكرم والنخيل ما يخرج من اصولها واذا لم تقطع العقان فسدت الاصول
وقد أعقت النخلة والكرمة أخرجت عقانها .

الفيرد كزبرج الغناء اليابس في اصل الكرم . وفي قعر العين .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

=====

(١) التعاجيب العجائب لا واحد لها من لفظها .

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع

« من كتاب نهاية الأرب »

- ٣ -

(٢٥) - وجاء في ص ٢٢٥ س ١٤ من كلام عمر ايضاً الى علي رضي الله عنهما
(فتود لو ان سقيت بالكأس التي أبيتها ورددت الى حالتك التي استغويتها) الخ . يقول
الاستاذ : (انه لا معنى للاستغواء هنا) ونقول : ان المعنى ظاهر لا خفاء فيه فان عمر
يريد بهذا الكلام ان يقول لعلي رضي الله عنهما : اذا صار الامر اليك وتبينت الطمع من
أتباعك والغش في النصيحة من بطانتك ندمت على مخالفتك لابي بكر وتمنيت ان لو رجعت
الى الحالة التي استغويتها اي التي كنت تعدها قبل ذلك ضلالاً وغياً وهي الدخول فيما دخل
فيه المسلمون من بيعة ابي بكر ، هذا ما فهمناه من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ومن قوله :
« استغويتها » واذن فلا موجب لتغييره برواية أخرى من الروايات .

(٢٦) - وجاء في ص ٢٤٠ س ١١ من كلام لأحنف بن قيس لعمر رضي الله تعالى
عنهما حين وفد عليه في وفد العراق : (فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الأقل من
عسى ان تقحمه الأعين فلا يوفد اليك) الخ . يريد بهذه العبارة ان كل امرئ انما يدخر
لنفسه ويجمع المال في خزائنه لخاصته الا الأقل ، اي الا الأصغر في المكانة والمنزلة من
الذين تقحمهم الأعين اي لتخطام لصفر شأنهم فلا يوفدون اليك لترفع ما يشغلهم من المظالم
وتجبر بالاحسان اليهم ما لحقهم من فقر وخصاصة . هذا ما فهمناه من كلام الأحنف ويري
الاستاذ ان « الا » في قوله : « الا الأقل » زائدة يجب إسقاطها وجعل العبارة انما
يجمع وعائه الأقل وقد ظهر مما بيناه ان لهذه الكلمة فائدة في الجملة بل لا يستقيم الكلام
بدونها .

(٢٧) - وجاء في ص ٢٤١ س ٣ من كلام أم الخير لمعاوية حين سأها عن خطبتها
في جيش علي بن أبي طالب يوم صنين قالت لم اكن والله زورتته قبل ولا رويته بعد وانما

كانت كلمات نفثين لساني حين الصدمة) الخ . يقال : زور الخطبة اذا هيأها سيفه نفسه قبل إلقائها وتريد بقولها : (ولا رويته بعد) انهما لم تحفظ هذا الكلام بعد الانتهاء منه وهذا هو الجواب الذي بطابق سؤال معاوية حين قال لها : (كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر) ويقول الاستاذ ان الأصوب ان تضبط الواو بالتشديد في قولها « رويته » - وذلك لان الاستاذ يرى ان قولها (ولا رويته) ليس من الرواية وهي الحفظ وانما هو من قولهم روت أنه معموزا يقال : (روتاً في الأمر وروى فيه بتشديد الواو اذا نظر فيه وتأمل ومنه الروية) الخ . ونقول : انه يمنع من حمل الكلام على هذا المعنى قولها : (بعد) فان البعد يقتضي حمل قولها : « ولا رويته » على معنى الرواية ، اي الحفظ واما التروي في الكلام انما يكون قبله لا بعده على ان قولها فيما سبق : « لم أكن زورته » كاف في هذا المعنى فلا موجب إذن لتكرير المعنى بالعبارة الثانية وإذن فلا مندوحة من حمل قولها : « رويته » على معنى الرواية .

(٢٨) - وجاء في ص ٢٥٤ س ١٣ (فما الذي يبرد غلبك ويشفي إجاج صدرك) اه وقد كتبنا على كلمة (إجاج) في حاشية الكتاب انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوجهه اه . ويقول الاستاذ اعتراضاً على هذا التفسير (ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ، واستدل على ذلك بان الزمخشري في أساس البلاغة لم يشر اليه) اه . ونقول : ان الزمخشري لم يحيط في كتابه أساس البلاغة بجميع الألفاظ المجازية المستعملة في كلام العرب بل نقول : ان أمهات اللغة لم تحيط بذلك . ويدل على ذلك ايضاً قول الزمخشري عند ذكر المجازات في كل مادة (ومن المجاز) بمن التي تدل على التبيين وان ما يذكره انما هو بعض المجازات لا كلها على ان علماء الوضع قد ذكروا في كتبهم ان الفاظ المجاز موضوعة بالوضع النوعي وهو الوضع العام وليست موضوعة بالوضع الشخصي وهو الوضع الخاص اي وضع كل كلمة على حدها للمعنى المجازي الا على رأي القليل منهم .

(٢٩) - وجاء سيفي ص ٢٦٠ س ٥ : (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) الخ . يقول الاستاذ : جوابه بانسان ، لان (أوصى) يتعدى بالباء لا بعلى) اه . ونقول : ان هذا الخاطر قد عرض لنا عند تصحيحنا لهذه العبارة غير اننا

وجدنا انه من المستبعد جداً ان يغلط الناسخ في الباء فيحرفها الى قوله : (على) للفرق البعيد بين الكلمتين وإذن نقول (على انسان) من كلام المؤلف لاسن غلط الناسخ وهذا التعبير شائع في كلام المتأخرين فيقولون (أوصيت عليه) ولهذا التعبير وجه حسن لانكره اللغة فانهم يريدون أوصيت عليه بكذا فتعدي أوصى محذوف للعلم به ولفظ (على) في هذه العبارة معناه التعليل ، اي أوصيت لاجله وليس للتعدي كما فهم الاستاذ ومنه قول احد الشعراء في خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني :

رجوت ابا صالح للنسب فلم يغن عني رجائي بشي

ولم استفد بعد طول الرجا سوى وعده ان سيوصي علي

والحق انه كان ينبغي ان ننبه الى ذلك في حاشية الكتاب كما نبهنا الى غيره .

(٣٠) = وجاء في صفحة ٢٦٦ س ١٠ من كلام ابن العميد : (في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء ندي) الخ . قال الاستاذ اعل صوابه (وهواء عذي) بالعين المعجمة والذال المعجمة والياء المخففة وتشد اي ظيب . وقال : واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذبة) كما نقول نحن طيبة المناخ) اه . ونقول ان وصف الهواء بانه ندي بتشديد الياء أقرب الى أسلوب ابن العميد وأشباهه من الكتاب وأكثر ملاءمة لسياق الرسالة لسهولة لفظها وقرب معناها وانسجامها مع بقية ألفاظ هذه الرسالة وانما مألوفة في الاستعمال ووصف الهواء بها بخلاف كلمة (عذي) فانه لفظ غريب لم يعهد استعماله في رسائل الكتاب امثال ابن العميد كما انه لم يعرف ان احداً وصف الهواء به .

(٣١) = وجاء في صفحة ٢٦٧ س ١٣ من كلام صاحب ابن عباد يمدح شخصاً : (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) اه . وقد استصوب الاستاذ حذف الباء من قوله (بمن) وقال (ان فعل كاثر يتعدي بنفسه) فصواب العبارة اذن (عن مكاثرة من) الخ ما قال . ونقول ان معنى المكاثرة هنا المغالبة والمفاخرة بالمكاثرة ولا ينبغي حملها على غير هذا المعنى في مثل هذا التركيب الا على ضرب من التكلف البعيد ولا مراعاة بان المكاثرة بهذا المعنى تنعدي الى المفعول بنفسها لا بالباء غير ان الباء في هذه العبارة ليست للتعدي كما فهم الاستاذ ولكنها للظرفية على حد معناها في قولهم (فاخر فلان

فلاناً بعلمه) وطاوله بمجده ، اي في علمه وفي مجده مثلاً وإذن فمفعول المكاثرة محذوف للعلم به ، والاصل عن مكاثرة المنافسين بمن ينسب الخ فلو حذفت الباء وجعلت (من) في موضع المفعول لكان الكلام ذماً لامدحاً كأن الكاتب يريد ان يفاخر المكتوب اليه ويغالبه كما هو ظاهر مع انه يريد ان يقول : من ذا الذي لا يود ان يكاثر خصومه ويفاخرهم بصحبة شخص ينسب نصارة الربيع ومحاسنه الى محاسن خلاله وطيب شيمه ، كأن الكاتب يقول ان هذا الممدوح وان كان واحداً في نفسه الا انه كثير في نفعه وغنائه حتى ان من صاحبه اذا كاثرا لخصوم بصحبته غلبهم في الكثرة وإذن فلا مندوحة من اثبات الباء في قوله (بمن) الخ .

(٣٢) - وجاء في صفحة ٢٨٠ س ٦ قوله في رسالة ابن زيدون (وأظهر وأضمير ، وابتدأ وأخبر ، واستنهم وأهمل وفيد ، وأرسل وأسند) اه . يقول الاستاذ : الصواب اسقاط لفظ (واستنهم) واحتج لذلك بطول السجعة به وان ذلك مخالف لاصول السجع اه . ونقول ان مجرد طول السجعة عما قبلها او ما بعدها لا يسوغ لنا مجال اسقاط كلمة من الاصل فقد قدمنا ان اسقاط كلمة من الاصل امر خطير لا ينبغي للصحيح الامين ان يرتكبه الا عند الضرورة الشديدة كفساد المعنى بها ، او تأكد زيادتها في الجملة ، او غير ذلك من الضرورات ولسنا نرى ان طول السجعة عن سابقتها او لاحقتها من الضرورات الموجبة لتقصيرها بحذف بعض كلماتها ما دام المعنى صحيحاً والغرض مستقيماً .

(٣٣) - وجاء في صفحة ٢٨١ س ٩ (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فخم) الخ . وقوله (في غير فخم) اي في غير نار فأطلق الفخم هنا وأراد النار اطلاقاً مجازياً لان النار تحل في الفخم وتستعمل به والقرينة هنا تعين ذلك وهذا كما يقال (عذبه بالنور) اي بالنار التي فيه وإذن فلا مقتضى لتغيير كلمة (فخم) بـ (فخرم) كما رآه الاستاذ ونقله عن نسخته (شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ما دامت الرواية ظاهرة الصحة كما بينا ، ولا سبب اذا عرفنا ان البعد عظيم بين الكلمتين في رسم الحروف بحيث لا يمكننا ان نفهم بان احدهما محرفة عن الاخرى ، وليكن ما في شرح العيون رواية ثانية في العبارة اذ لا مانع من تعدد الروايات . واما قول الاستاذ (ان النفخ في الفخم لا يوري ناراً بخلاف النفخ في الفخرم فهذا انما يصح اذا أريد بالفخم معناه الحقيقي قبل اشتعال النار

فيه اما وقد ظهر ان المراد به النار المشتعلة فيه كما تعينه القرينة فلا مجال لاحتجاج الاستاذ بما احتج به .

(٣٢) = وجاء في صفحة ٢٨٧ س ٦ من كلام ابن زيدون ايضاً (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجاويت لقميصك عن بعض قوتك) اهـ . قال الأستاذ (قوله : « لقميصك » يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها لظهور حشوها وهي غير موجودة في مسرح العيون المطبوع في المطبعة الميمنية) اهـ . ونقول : قوله (لقميصك) يجب اثباتها لا اسقاطها لظهور فائدتها في الجملة وعدم اسقاطها العبارة بدونها فان مراد ابن زيدون بهذا الكلام ان يتهم بهذا الرجل الذي يخاطبه فهو يقول له : انك توفر من قوتك الذي به قوام حياتك ، وتجتافي عن بعضه لتحسن ملبسك بما توفره ، وتجتمل ثيابك بما تنقطع من قوتك لتخدع الناس بمجال منظرِكَ ، ولا يدرون ان تحت ذلك الحسن الظاهري الجوع والطوى وهذا نهاية في التهم والسخرية .

(٣٥) = وجاء في ص ٢٨٨ س ١ من كلام ابن زيدون ايضاً : (وقلدك عمرو بالصمصامة) الخ . بقول الأستاذ صوابه (وقلدك عمرو الصمصامة) باسقاط الباء واحتج لذلك (بان فعل قلّد يتعدى بنفسه لا بالباء) اهـ . واقول رأيت في عبارة بعض اللغويين ما يفيد ان فعل قلّد يتعدى بالباء كما يتعدى بنفسه فقد جاء في اللسان ج ٤ ص ٣٦٨ في تفسير حديث « قلّدوا الخيل ولا تقلّدوها الأوتار » ما نصه : (انما نهام عنها لانهم كانوا يعتقدون ان تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والاذى) اهـ . فني هذه العبارة ما يفيد ان تعديّة (قلّد) بالباء جائزة فانه قال (بالأوتار) باثبات الباء .

(٣٦) = وجاء في ص ٣١٨ س ٦ من كلام ابي حفص عمر بن برد الاصغر الاندلسي بمائب بعض اخوانه (فاما ان تبهرني بحجة فأنصل عندك ، واما ان نني بحقيقة فأستديم خلنك) ، واما ان تأزم على يأسك فأقطع حبل منك) اهـ . فأنت ترى من هذه العبارة ان الكاتب قد خير صاحبه بين ثلاثة امور : اولها يقول له : اما ان تأتيني ببرهان على خطئي فاعتذر اليك ، وهذا معنى قوله (فاما ان تبهرني بحجة فأنصل عندك) ، ثانيها يقول له واما ان تكون وفيّاً بحق فأستديم إخوانك ، وهذا معنى قوله (واما ان نني بحقيقة فأستديم خلنك) ، ثالثها يقول له (واما ان تأزم على يأسك) اي واما ان نواظب وتدأب على

البأس الذي عندك وقطع الرجاء في مراجعة ما سلف من عهد الأخوة فأبأس - أنا منك وأقطع سبل المواصلات بيني وبينك ، وإذن فالنقسيم ظاهر مستقيم لا حفاء فيه ولا موجب لتغيير لفظ (بأسك) بكلمة (فأسك) بالفاء كما رآه الاستاذ ، وأما قوله (أن هذا لبس من جنس كلام البلغاء) فإننا لم نتبين وجهاً لذلك مع استقامة المعنى وظهور الغرض .

مصححه

احمد الزين

تصحيح قصة

الحكاية التي نقلها الاستاذ الشيخ كامل الغزي عن لسان الامير أسامة بن منقذ التي تفيد اجتماعه بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامثانته لقوة ذاكرته - نسبتها الى الامير الموماليه ليست بصواب واعتراض الدكتور فيليب حني (مجلة المجمع ج ٥ ص ٣١٧) بان بينهما قرناً كاملاً والواحد منهما لم يعاصر الآخر هو في محله .

وقد ذكر القصة على الصواب المؤرخ الكبير ابن العديم في كتابه (الانصاف والتجري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري) الذي نشرته على نقص فيه في تاريخي الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤ ص ٧٨) والقصة المذكورة في ص ١٣٥ ونصها: وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف ابو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني نزبل بغداد وهو من ولد الشريف ابي ابراهيم العلوي الحراني واصله من حلب وكانت ابوه حاجب الباب ببغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً امله بها فذكر فيه قال حدثني والدي رضي الله عنه وارضاه يرفعه الى ابن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب الخ .

وبعد ان ذكر القصة استبعد ان تكون واقعة في انطاكية لاسباب ذكرها (ثم قال) ويحتمل عندي ان يكون هذا بكفر طاب فقد كانت كفر طاب مشحونة باهل العلم وكان بها من يقرأ الادب ويشغل به قبل ان يهاجمها الافرنج في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة وكانت لابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في ايام ابي العلاء فلمله تصحيف كفر طاب بانطاكية

وتصنيفها غير مستبعد فان كان كذلك فابن منقذ الحاكي لهذه الحكاية هو ابو المتوج مقلد ابن نصر بن منقذ وابوه نصر وكفرطاب قرية من عمرة النعمان ويحتمل ان ذلك كان بحلب فان ابا العلاء دخل حلب وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبدالله بن سعد النحوي ورد عليه خطأه في شعر المنجي على ما ذكرناه في ذكر شيوخه الذين اخذ عنهم فيحتمل ان هذه الحكاية التي حكاهما ابن منقذ كان بحلب وابو المتوج بن منقذ كان بحلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرفية التي يجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم الخ .

وابو المتوج مقلد بن نصر له ترجمة في تاريخي في هذا الجزء (ص ١٨٠) نقلتها عن تاريخ ابن خلكان ووفاته سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب فتكوت وفاته بعد وفاة ابي العلاء بسنة فاجتماعه به محقق ولعل الاستاذ الغزي علق ذلك من ذاكرته فكتب في المقالة أسامة بن منقذ بدل ابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فوقع بهذا الخطأ وجل من لا يسهو .

عضو المجمع العلمي العربي
محمد راغب الطباخ

— — —

من نوادر المخاطرات « في دار الكتب الظاهرية »

— ٣ —

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور — المشهور بمناسبة البقاعي : ابرهان الدين ابي اسحاق بن عمر البقاعي الدمشقي المولود سنة ٨٠٩ والمتوفى بدمشق في شهر رجب سنة ٨٨٥ . اوله الحمد لله الذي أنزل الكتاب مناسبا سورته وآياته ، متشابهة فواصله وغاياته .

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من أسرار القرآن ما تنوير فيه العقول وذكر في آخره انه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٨٥ وكان ابتداءه في شهر شعبان سنة ٨٦١ فمكث في تأليفه اربعاً وعشرين سنة ثم قال مؤلفه في نفسه

هذا . اني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبادئه ووصلت الى قريب من نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبك وغزارة معانيه واحكام وصفه ، دب داء الحسد في جماعة اولي نكد ومكر فنصبوا من سهام الشرور والأباطيل وأنواع الزور ما كثر بسببه الوقائع وطال الامر في ذلك سنين وعم الكرب ، وصنفت بسبب ذلك كتابي (مصاعد النظر في الاشراف على مقاصد السور) ثم صنفت (الأ أقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة) وثبت الله تعالى ورزق الصبر والاناة حتى كمل هذا الكتاب اه منه نسخة كاملة في خمس مجلدات وفي المجلد الاول خط المؤلف أجاز لكاتبه وناسخه خليل الذهبي المقرئ فرغ من نسخه سنة ٨٨٥ (رقم ١٣٩ — ١٤٥ التفسير) .

الالباب في علوم الكتاب — تأليف أبي حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي من علماء القرن التاسع الهجري : وهو تفسير جليل وطريقة فيه ان يقول عند ذكر الآية قوله تعالى كذا ، ثم بشرع في تفسير الآية مبيّناً سبب النزول والنسخ واوجه الاعراب وغير ذلك ، وهو في ست مجلدات كبار كل مجلد نحو (١٠٠٠) صفحة كتب سنة ١٠٦٥ هـ بخط نفيس (رقم ١٨ — ٢٣ التفسير) .

حسني الكسم



مطبوعات حديثة

المنبي

« تأليف السيد شفيق جبري ص ٢١٠ طبع بمطبعة ابن زيدون في دمشق »

« سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ »

عرف قراء هذه المجلة مبلغ الاجادة في كلام الاستاذ جبري على المنبي مما نشر فيها من المحاضرات التي القاها في كلية الآداب بدمشق في السنة الدراسية المنصرمة . ووقعوا ولا شك في أسلوبه الدقيق وعنايته في التحقيق على شيء من التجدد الجميل مما لم يكذب جبري به غير عدد قليل من أقلام الباحثين من المعاصرين في أدبنا العربي . واستفاد محاضره من مجاله في الكلية اموراً في الأدب كالـ عنها الباحثون من القدماء بمزول . هذا ان صح ان تحكم عليهم حكماً مسطاً بالنظر الى جملة ما انتهى اليها من اسفارهم واخبارهم . وماهيات الاجادة للاستاذ الباحث الاعانته الادب الافرنسي كما عانى الأدب العربي فرأى بنفسه ما ينقص هذا من صور البحث ليكون ادب العرب على سعته وجماله زائداً في الامتاع والافادة ويخرج عما يرميه به خصومه ممن تذوقوا الادب الافرنجي فقط من وصمه بانه ادب جامد لا روح فيه ولا حياة ، وأداة مختلة التركيب قلما ينتفع بها في التأثير بالعقول والمجتمعات . ولقد رأينا المؤلف في دروسه الطريفة التي جود القاءها ايضاً على أساليب البلغاء يأتي في تحليل شعر المنبي اوشك معه ان لا يترك بعده خاطراً في النفس ، بصوره لتلاميذه في كل مظاهره تصوير شاعر ماهر . ولا عجب ان كان في كلامه على المنبي شاعراً فهو شاعر محسن . والثوب لا يلحم جودة نسيجه غير النسيج الحاذق . والمنبي (مالي الدنيا وشاغل الناس) كما قال فيه احد واصفيه لم يرزق شاعر من الخطوة مارزقه ، ولا خدم العلماء والادباء ديواناً مزدواوين العرب بمثل ما خدم به ديوانه . ومن تمام حظ المنبي الذي اثر في الناس بشعره منذ الف سنة ان يقوم اليوم من المعاصرين من ينظر في كلامه نظراً أوسع وأتم مما نظروا فيه الأسلاف . وعبد الوحدا الباحثون في تحليل حياة عظمائنا في الأدب والعلم هذه الطريقة التي لا يرضي الدارسين بعد اليوم غيرها .

تأثيرات سياحة

« تأليف السيد موسى كريم طبعت في سان باولو في برازيل من ٥٩٢ »

هذا وصف رحلة ارتحلها وطنينا وصديقنا المؤلف من ٢٢ حزيران عام ١٩٢٧ الى ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ وصف فيها ما شاهدته في البورتغال واسبانيا وفرنسا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وصفاً شفافاً جميلاً استعمل فيه الاستاذ حرية الفكر وبعد النظر ورمى الى أغراض وطنية شريفة ومنازع قومية يحمدها عليها ويستغرب نقيضها من رجل باحث يعرف الغرب معرفة جيدة ويعرف الاثر الناتج من نزاع التعصبات لمذهبية والجنسية . وقد أهدى كتابه الى أم المدين المقدسة دمشق والى النهضة الوطنية في الشرق الخ فدل على تعلقه ببلاده وسروره فيها بعد غيبته عنها سنين طويلة بما شاهدته من نهضتها الحديثة . وقد ذكر احاديث وقعت له مع رجالات الشام ومصر تكشف القناع عن محيا حقائق العصر وربما لا يرضى بعضهم عما أفضوا به اليه لان منهم من يعيش في نقية ممقوتة بل لا يعيش بغيرها . والكتاب يلذك بأسلوبه نقرأه كل الطبقات فتستفيد منه فوائد ممتعة وقد زينه بصور المشهورين من رجال العلم والسياسة في هذا الشرق القريب ورسوم معاهد أخرى في البلاد التي سار فيها . فاستحق بعمله ثناء الآداب وخلد له بما كتب ذكراً عطرأ أثبت فيه كيف يكون اثر التربية العالية في النفوس فينزع صاحبها يده من التقاليد الممقوتة وينظر في العالم الى الحقائق المجردة .

م . ك

الجاحظ

« بقلم الاستاذ خليل مردم بك »

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالة وجيزة في الجاحظ تكلم فيها على شيء من حياة الجاحظ وصفته ومذهبه وأشار الى سعة علمه وجلالة قدره ولتمع الى دعائه وفكاهته وحسن محاضراته ، وذكر كتبه المطبوعة وكتبه المخطوطة ، ويبحث عن اتهامه في دينه ، وروى طائفة من شعره . وختم رسالته بالكلام على زمن الجاحظ وعلى عوامل نبوغه وعلى مواهبه وقيمة أدبه وأثره وأضاف الى هذا كله طائفة من منتخب كلام الجاحظ .

من خصائص البحث في عصرنا هذا ان الكاتب اذا نكلم على شاعر او على أديب او على عصر من عصورنا الأدبية لزمه ان يصور انسا نواحي هذا الشاعر او هذا الأديب او هذا العصر تصويراً متكاملًا حتى اذا وقع نظرنا على الصورة أخذ النظر جملة هذه النواحي ومن خصائص البحث ان يطبع الباحث هذه الصورة بطابعه الخاص واعني بالطابع الخاص ان يظهر على بحثه آثار فكره في الانفراد بالرأي والاستقلال بالتميز .

ومن يمن الطالع ان ادباءنا شعروا بهذا كله فنشطوا اليه فكان تجو يدهم العمل على قدر مواهبهم واستعدادهم .

والاستاذ خليل مردم بك حاول في رسالته ان يظهر على كلامه آثار البحث المناسب لروح هذا العصر وليس بضائره ونحن في بدء النهضة الأدبية ان نعصر بعض التقصير في مباحثنا الادبية وانما الشأن ان نشعر بخصائص البحث المطابق لوضع هذا العصر وقد شعرنا بذلك وهذا شيء ليس بقليل .

نعم ليس بضائر الاستاذ خليل مردم بك ان يفوته نواح كثيرة من نواحي الجاحظ فان الكلام على الجاحظ يستغرق كتاباً مطولاً فضلاً عن رسالة وجيزة .

فليس بضائر الاستاذ ان يفوته الكلام على اساليب الجاحظ في تحقيقه العلمي والجاحظ عالم من العلماء سواء أكان علمه موافقاً لحقائق علم هذا العصر ام كان غير موافق فهو لا يختلف في تحقيقه العلمي عن اكابر علماء هذا العصر وفي مقدمتهم « باستور » فكانت أساليبه في التجربة والاختبار والتدقيق مطابقة لاساليبهم

وليس بضائره ان يفوته الكلام على طبائع تهكم الجاحظ فقد كان الجاحظ يعتمد في بعض الاحايين النادرة فكأنه كان يعتمد الاضحاك .

وليس بضائره ان يفوته الاستقصاء في الكلام على أساليب الجاحظ في النقد الأدبي وعلى مذاهبه الأدبية وعلى خصائص لغته الأدبية والعلمية وعلى طبيعة الانقلاب الأدبي والانقلاب الفكري في عصره وعلى طبائع فلسفته التي جمعت بين معرفة السماع وعلم التجربة وطبائع مذهبه الديني فقد أشرك الجاحظ بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة .

فقد فات الاستاذ خليل مردم بك الكلام على هذا كله فكأنه وضع رسالته
لنلامينه حتى يمتد لهم السبيل الى الاستثناس بالدراسة الأدبية .

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي العربي

تاريخ اللغات السامية

« تأليف الدكتور اميرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية »
« وهو يقع في ٢٥٠ صفحة »

للجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية فضل كبير في سبيل النهضة العلمية العربية
بما تنشره من حين الى آخر من نفائس مطبوعاتها العلمية . وتاريخ اللغات السامية من
أنفس ما اتخفت به العالم العربي . يحتوي على تاريخ موجز للغات السامية وهو الوحيد من
نوعه . فقد سد المؤلف بكتابه هذا ثلثة عظمية في نهضة اللغة العربية الحديثة فله الفضل
العظيم ، اذ انه اول من وضع كتاباً بهذا الموضوع باللغة العربية . وقد الحق المؤلف في
نهاية كتابه تعليقات العلامة الاستاذ ليتان على هذا الكتاب لييسر للقاري الاستفادة
منها وهذه الملاحظات ثمينة جداً لمكانة هذا العالم في عالم المشرقيات . فقد نبه المؤلف
الى مسائل عديدة ذات شأن . وقد لفت نظري بعض ملاحظات ربما لم ينبه اليها
العلامة ليتان فوجدت ان ابيه المؤلف اليها ليتلافها في طبعة تالية . واعتمدت في تصحيح
بعض الاعلام على ما اصطلمحنا عليه نحن معشر العرب في كتابتها او كما وردت في نسخة
الكتاب المقدس العربية طبعة نيورك : وجاء في (ص ٣) قال آل عيلم وعيلم وصوابه آل عيلام
وعيلام (عز ٢ : ٣١ ونج ٧ : ٣٤) . وجاء في صفحة ٢٠ قال سمارية صوابه السامرة (امل
١٦ : ٢٤) . و صفحة ٤٢ قال الحثية وكررها غير مرة والاظهر ان تكتب الحثية .
و صفحة ٥٠ قال عش عصفور (كن) وصوابه كن او وكنة . و صفحة ٥٦ قال
الفريزي وصوابه الفرزي او الفَرَزِيون (تك ١٣ : ٧ و ٣٤ : ٣٠) . و صفحة ٥٦ قال
جبال وصوابه جبيل . و صفحة ٥٧ قال (أرواد) بنواحي اسكندرونة وصوابه بين طرابلس

واللاذقية . و صفحة ٥٧ قال عشتروت والاظهر في كتابتها عشتاروت . و صفحة ٥٨ قال
اتباعل صوابه اتبعيل (امل ١٦ : ٣١) . وفيها قال احاب صوابه اخاب (امل ١٦ : ٢٩)
و صفحة ٦٣ قال نقش و يريد بها الكتابة المزبورة على الحجر والاصح ان يقال رقيم فهي
اوفي بالمعنى . و صفحة ٦٧ قال (ان كتابة بجوملك ترجع الى القرن الخامس (ق م) .
وهي من اقدم الكتابات الفينيقية التي اكتشفت في ارض كنعان) مع ان كتابة احيرام
التي اكتشفت في جبيل في سنة ١٩٢٤ هي اقدم عهداً ويرجع تاريخها الى القرن الثالث
عشر (ق م) . و صفحة ٨٤ (كتابة عبرية على ورق نقدي) مع ان هذا النوع من النقد
غير معروف في ذلك العصر . و صفحة ٩٠ اسرة المكاييم و صوابه اسرة المكايين . و صفحة
١٠٠ صادي ترجمتها شبكة الصيد و صوابه حربة الصيد . و صفحة ١١٦ بيت رحوب
على ضفاف اليرموك والصواب هي جهات مرجعيون وبانياس . و صفحة ١٣٠ أهمل اسم
الشهر في السطر ٢١ . و صفحة ١٤٥ قال (مذبذبة اودسا) والصواب اودسا لكي لا يحصل
التباس بينها وبين اودسا من سواحل البحر الاسود . و صفحة ١٥٩ قال (الملوله)
والصواب معلولا ثم ان هنالك قريتين اخريين نكلمان بالسريانية الى اليوم غير قرية
معلوله وهما جبعدين وبنجمة . و صفحة ١٧٨ قال سنة ١٠٦ و صوابه ١٠٥ . و صفحة
٢٠٦ قوله ان القوائد والأساليب الشعرية لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن
الاول وهذا قول مبالغ فيه لان المعروف ان معاوية لما جلب من اليمن عبيد بن شربة
الجرهمي وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم امر معاوية ان يدون ذلك فلو
لم يكن التدوين موجوداً كيف كان يقول له ذلك . وورد في الصفحة ٢٢٣ قوله في
بلاد الشام حيث لا ملك عظيم ولا معاهد منتجة بعد انت انقضى العصر الاموي . فهذا
القول ينفيه الواقع لان تاريخ انشاء المدارس في بلاد الشام يرجع الى أواخر النصف الاول
من القرن الخامس . ايام انشاء بدمشق رشاً بن نظيف بن ماشاء الله ابوالحسن الدمشقي
سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها داراً للقرآن وكان الحسن بن عمار حاكم
طرابلس للفاطميين والمتغلب عليها أقام في طرابلس دارحكمة اوشبه مدرسة جامعة على
نحو دارالحكمة التي انشأها الحاكم بأمر الله في مصر سنة ٤٠٠ وفضلاً عن مئات المدارس
التي أنشئت فيما بعد . وورد في الصفحة ٢٢٤ قوله ان كلمات الفرنجية وخاصة الفرنسية

اندجبت بالهجة الشامية من عهد الحملة الصليبية مسألة فيها نظر لان اللغة الشائعة كانت في الحروب الصليبية هي الايطالية ولا نذكر كلمات شاعت منذ ذلك العهد . وورد في الصفحة ٢٣٤ قال الآله بكوس : الآله الخمور والمجون عند اليونان والصواب ان يقال الآله باخوس رب الخمر والمجون عند الرومان . اما عند اليونان فكان يدعى ديونيزوس . وورد في الصفحة ٢٣٥ سترابو وفي الصفحة التالية سترابو وصوابه استرابون .

جعفر الحسني

هدايا كتب

أهدى اليينا السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي أستاذ العربية في كلية عليكرة رسالة لطيفة الحجم والطبع ضمنها ما أثر عليه من قطع الشعر والقصائد من شعر المتنبي وهي ليست موجودة في ديوانه المتداول بين الناس قال (وهي نيف وأربعون قطعة او قصيدة) . وأهدت اليينا مكتبة العرب بالنجالة في مصر لصاحبها الشيخ يوسف الشيخ نوما البستاني الجزء بن الاول والثاني من رواية (النائه في بدء الحياة) وهي اجتماعية اخلاقية فلسفية . (الانطاكيات) مقالات في ضروب اجتماعية مختلفة كتبها الاديب بطرس كلش الانطاكي ثم جمعها في كتاب بلغت صفحاته ٣٠٧ على ورق جيد وحرف مشرق . وقد أهدى نسخة منها الى المجمع فنشكر له هديته .

ملحق لعلامة العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن واسانة

وصف المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي أحوال القرون الاسلامية الماضية وذكّر مميزات كل قرن منها . وقال : ان القرن الرابع قد امتاز على بقية القرون بغلبة (خيالات الصوفية) عليه .

وفوله هذا . سلم بالنسبة الى ماعدا قطرنا الشامي من مجموعة الأقطار الاسلامية . اما هو فأرى ان خيالات الصوفية لم تكن الغالبة عليه وانما الغالب عليه كان اللهو والطرب والتمتع بملذات الحياة على اختلاف ضرورها . وتنوع أشكالها : فقد كان لسوريا في القرن الرابع حالة سياسية منقلقة جعلت السور بين يستسلمون للقدر فيما يتعلق بأمور الملك والسياسة . ومن طبع الاستسلام للقدر ان يولد في نفس صاحبه فتوراً عن الكد والعمل وميلاً الى الراحة في ظلال النعيم . والتفرج عن القلب باللهو والطرب . وضروب المسليات . ومن هنا يمكن التوفيق بين ما قلناه عن طبيعة القرن الرابع وبين ما قاله الكواكبي : فهو يقول ان خيالات الصوفية كانت الغالبة عليه وقلنا نحن ان الاستسلام للقدر ثم للهو هو الغالب على أهله . ولكن أليس هذا الاستسلام اثرًا من آثار خيالات الصوفية ؟ أليست خيالات الصوفية التي تسربت الى أذهاننا من متصوفة الأعاجم هي التي زهدتنا في الملك والسياسة وسهلت علينا الخضوع للعناصر الأعجمية . وجعلتنا نستسلم للقدر . ونهيم بالسوالف

(١) محاضرة للاستاذ المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ

٢ و٩ تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ م .

والطرر . ونلمو بشرب الراح وعزف الوتر .
وهذا عمر الخيام الأعجمي ما الذي جعله يعيش معيشته الابقورية لولا الخيالات الصوفية .

حالة سوريا في القرن الرابع

كانت سوريا كالزورق المستمسك بحبل الخلافة العباسية فلما ضعف ثأب هذه الخلافة بتغلب آل بويه الأعاجم عليها في القرن الرابع للهجرة انقطع حبل السفينة فتاهت في عرض البحر . واذ ذاك اخذ أمراء مختلفو الجنسية يتجادون تلك السفينة من كل جانب : بعض يدعي ولايتها باسم خلافة بغداد العباسية وبعضهم باسم خلافة مصر الفاطمية . ولا ننسوا علوج الروم الذين كانوا في ذلك القرن يتواثبون على سوريا من ثغور آسيا الصغرى . ولا الترامطة بفرق الباطنية . ولا شراذم الأعراب التي كانت تعيش فساداً في الشامات فترويع آمنها . وتقلق راحة ساكنيها . وقد اتصلت هذه الحالة المزعجة بزمان أبي العلاء الممرى فوصفها وأشار الى ان عاطفة حب الوطن هي التي جعلته بألف الشام وحببت اليه الإقامة فيها . فقال مشيراً الى ما كانت تقاسيه البلاد من أذى الأعراب :

(أَلَيْتُ بلاد الشام ألف ولادةٍ نلاقي بها سود الخطوب وحرها)

(فطوراً نداري من سُبَيْعَةٍ ليثها وحيناً نصادي من رِبْعَةٍ نمرها)

ويظهر ان أبا العلاء في آخر الامر ملّ مداراة قبيلتي ربيعة وسبيعة ولم يعد يطيق الصبر على أذى ليثها ونمرها . فرحل عن الشام الى بغداد وقال يخاطب نافته :

(اذا دنوت لشامٍ اذ مررت به فنكّبه وراء الظهر او حيلدي)

(قد غيّر الدهر منه كل مبتجع وألحد السيف فيه بعد توحيد)

ثم عمّ الخطب بلاد الشام : فزحف عليها الصليبيون ونقصوها من أطرافها . واستولوا على معرة النعمان فرحل عنها ساكنوها يحملون معهم البؤس والشقاء . حتى قال فاضلها ابوالجهد الممرى واصفاً ما كابده سيفه غربته . وما قاساه من بلاد غلامه (شعيبا) الذي كان في خدمته :

(زمان غاض اهل الفضل فيه فقيماً للذنوب به ورعياً)

(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبة ورفاق شعياً)

ولكن في ظلّ هذا الاضطراب السيامي والقلق الاجتماعي الذي استحوذ على بلاد الشام كانت تنمو العلوم والآداب . وتزدهر فنون الحكمة والطب والفلك : فكان في ذلك العصر اكبر المؤلفين . وأشهر الفلاسفة والشعراء والمتأدبين . وقد غصت دور الكتب بالأسفار وآثار العلم الخالدة . وناهيك مكتبة آل عمار الشهيرة في طرابلس الشام .

وما أشبه حالة القرن الرابع بعد الاسلام بحالة عرب الجاهلية قبل الاسلام : فقد كانت عرب الجاهلية في أحط الدرجات من الوجهة الاجتماعية وان شئت قلت السياسية أيضاً . لكنهم كانوا في مستوى راقٍ من بلاغة القول والنبوغ في الشعر والحكم وضرب الأمثال . وكما كانت ربوع العلم والعرفان زاهرة في بلاد الشام . وكانت مجالس رؤسائها أشبه بنوادي أدب وشعر — كذلك كان شأن الحضارة وانفساح العمران وتوفر اسباب الترف والنعيم ورغد العيش .

هكذا كانت البيئة الشامية يومئذ .

نرى من جهة حكماً أعاجم يسوسون البلاد بالظلم والقهر . ومن جهة ثانية كنت ترى سوق العلم والأدب والشعر رائجة . وقد مهتدت الحضارة امام الكافة طرق العيش الهني . والحياة الرغدة .

بيئةٌ هذا شأنها لا بد ان بطرح اهلها عن عوائقهم عبء الاهتمام بالسياسة والشؤون العامة وان يقبلوا على اللهو والطرب . والاصغاء الى أغزل الشعر وأفككه . وعدم التصوّن من سماع أمجن القول وأفحشه .

في مثل هذا الوسط كان يعيش عبدالله بن الحجاج وابن سكرة والبيغاء والحسين بن واسانة صاحب الوليمة . وأخراجهم ممن كانوا ينجنون ثمار المذات . من بين اشواك الفتن والاضطرابات . ويرشفون كؤوس المسرات . ولو تحت مشجر القنا وظلال المشرفيات . نرجع القهقري في عصور التاريخ الى حوالي (سنة ٨٣٨٥هـ) لنصور حالة دمشق نفسها : الأمر والنهي فيها يومئذ للعامة والأحداث^(١) وجنود المغاربة . اما الخاصة والأشراف فماذا يكون لهم من التأثير والنفوذ إزاء هذا الجيش المختلط المتذمر .

(١) وكانهم يريدون بالأحداث ما نريده اليوم بكلمة قبضيات وفتوات .

نزور جامع دمشق • ونمر في أسواقها • ونغشى دور عظمائها • ومجالس علمائها • فلا
نسمع الا همسا • والا قولهم تباً ونعسا •
نسمع هذا بقول :

ومنى بنظر المولى تعالى الى دمشق فينقذها من ظلم عمال الفاطميين ؟ ها اننا لم نكن
ننجو من (منجوتكين) و (ابن تميم) حتى جاءنا هذا الجبار (ابن الصمصامة) • حقا انت ظلم
هؤلاء هو الذي جعل بني حمدان امراء حلب • استنجدون بباسيل (باسيليوس)
ملك الروم •
فأجابه آخر :

وهل تظن ان الروم أشفق علينا • وأرحم بنا من امراء الفاطميين ؟ أنسيت ما فعله
(البرجي) تامل الروم على انطاكية — باهل اللاذقية ؟ بل أنسيت ما كان من (باسيل)
نفسه منذ جاء بلاد الشام على اثر استنجاد الحمدانية به • فنزل على أبواب حلب • فرحب
به سراؤها آل حمدان • ثم سار الى حمص ففتحها وحاصر طرابلس الشام اكثر من
اربعين يوماً ثم عاد الى القسطنطينية • اما والينا الفاطمي (ابو تميم) فلا أتم الله عليه
نعمته : جاءنا بعد ان غدر بنا اخوه (علي) فواسانا • وطيب خواطرننا في اول الامر •
ثم ظهر لنا من حاله ما لم يكن في الحساب • وإن انس لا انس ذلك اليوم الذي جاء
فيه الى جامع بني أمية يصلي الجمعة سيفه ذلك الموكب الفخم • وقد ظهر على الناس بزي
أهل الوقار • وبين يديه القراء والحجاب بفرقون الدراهم على المساكين • وبعد ان صلى عاد الى
قصره بظاهر دمشق وجعل ينظر في الظلمات ويأمر باطلاق من في الحبوس • وبهذه
الصورة استمال اليه قلوب العامة فأحبوه • ولكن ما عتَم ان انكشف امره • اذ تبين للناس
انه مع سياسته وحسن ادارته كان مستهتراً بالملذات • فنقمت منه العصاة والجنود •
وهجموا عليه في قصره • ونهبوا خزائنه • وأوقعوا يرجالهم • وهرب هو فلم يوقف له على
أثر • وسادت الفوضى في دمشق • وخلا الجو للأحداث والسطار ولرئيسهم (الدهيقين)
الذي تولى قيادتهم • وعرف كيف يستثمر شطارتهم • واستمر المخرج والمرج حتى جاءنا
(ابن الصمصامة) مولى من قبل الفاطمي صاحب مصر • نخاف زعيم الأحداث (الدهيقين)
من (ابن الصمصامة) فتسلل هارباً الى مصر طالباً الأمان لنفسه •

ولم يكذب صاحب الحديث يتم حديثه حتى ناداه آخر — ويظهر من لهجته انه من اهل الساحل — فقال :

ما أشبه دهيقيكم يا اهل دمشق بعلافة امير اهل صور . وأظنكم لا تعلمون من امر علافتنا هذا شيئاً : هو رجل نوتي . عصى مع اهل صور مارقاً من طاعة ملك مصر . وضرب مكة باسمه وكتب عليها (عزت بعد فاقة الامير علافة) . فأرسل اليه ملك مصر اسطولاً مشحوناً بالمقاتلة . فاستنجد الامير (علافة) بالروم كما استنجد بهم قبله الحمدانيون ملوك حلب . فأنفذ ملك الروم الى معونة علافة اسطولاً فالتقى الاسطولان ثم كانت الغلبة للمصر بين على لروم . وفي آخر الامر أمسك علافة . وعاد الى الدل والفاقة . وأرسل الى مصر فسلخ وصاب غير مأسوف عليه .

ثم قال الساحلي يخاطب اهل دمشق : كيف رأيتم : أليس ان دهيقيكم كانت أشد فطانة من (علافة) صور مذ بادر الى مصر وطلب الامان لنفسه ؟

فقال احد الحاضرين : دعونا بالله عليكم من (علافة) و (دهيقين) وفكروا في حالنا الحاضرة : فكروا في (ابن الصمصامة) الذي عاد من مصر الينا . ونزل نزول البلاء علينا . استقبلناه وهنأنا بالدعاء له وأخلى لنا له قرية (بيت لهما) في الغوطة ليكون مقامه فيها مع عسكره . فأظهر لنا في اول الامر العدل . وتخفيف الثقل . وبالغ في الحفاوة : نفلم على رؤساء الأحداث . وولمهم على الخيل والبغال . ووهب لهم الجوارح والغلمان . وعين بعضهم له حجاباً . ثم لم يلبث ان قلب لهم ظهر المجن فأوقع بهم وزحف بعسكره من (بيت لهما) على سور دمشق فثلمه . وسمح لجنوده المغاربة ان ينزلوا في منازلنا وجعل بطوف في دمشق للبطش والتمكيل والناس يلوذون به مستغيثين طالبين لرحمة . فكف عنهم وامتدع اليه اشراف دمشق فجاءوه مغمضين حتى اذا استراحوا اخرج رؤساء الأحداث الذين في منجته فضرب أعناقهم والأشراف ينظرون اليهم . ثم صلب كل واحد في محله . وجرع دسكراً الى المرج والغوطة وامرهم بوضع السيف في من بها من الأحداث . ثم عاد فقبض على الاشراف ونقام الى مصر وصادرم في اموالهم ونعمهم . ووضع غرامة على اهل البلد بلغت خمسمائة الف دينار . اما الذين قتلوا في هذه الكارثة فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف نفس .

هكذا كانت نار الفتنة تضطرم في دمشق : رقاب تُخرب . وشبان تُصلب . وأموال تُنهب . أشراف تُتقى ونفر تُب . وابن واسانة^(١) منهك في إعداد وليمة في قرية (جرايا) لضيوف قادمين عليه من دمشق .

اليوم صحر . والهواء عليل . وغوطة وادي بردى كحساء مستلقية في ذلك الوادي . قد نعت قدميها في مياه النهر وأسندت رأسها المكمل باغصان الحور الى هضبة من هضاب الربوة . واستغرقت في نوم عميق لم يوقظها منه الا أشعة الشمس . وخرير المياه . وزقزقة العصافير . وإلاّ ضوضاء الضيوف المسرعين الى وليمة (ابن واسانة) .

فكنت ترى هؤلاء المدعوين يتراكمون على ظهور عتاق الخيل . وقُرء البراذين : هذا بغني . وذاك ينشد الشعر . والآخر يطارح رفيقه النكتة . ولطيف المداعبة . يتخلل ذلك كله سهيل الضوامر . وأصوات وقع الخوافر . وعطمة الخدم والاتباع . يتبادلون السباب . ويتنايزون حسب عاداتهم بالألقاب .

وليمة (ابن واسانة) هذه في قرية (جرايا) لها دويّ في أعماق كتب الأدب والتراجم : فقد دوتها الثعالب في اليتيمة (جزء ١ ص ٢٦٦) وخلد ذكرها يافوت في معجم الأدباء . وهامي قد مضى عليها زعماء الف سنة وما زالت رطبة في الافواه . حاوة الوقع على الاسماع .

إذن بلزمتنا انت نعرف (١) من هو ابن واسانة ؟ (٢) اين هي قرية 'جرايا' ؟
(٣) كيف كانت هذه الولاية ؟ (٤) ماهي حالة 'جرايا' اليوم ؟

ابن واسانة

هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني . ويظهر من هذا النسب ان (واسانة) اسم لاجدي جدانه او أجداده فنسب اليها اواليه . ومما (يافوت) في معجم الأدباء (ابن واسان) . وقال صاحب اليتيمة (جزء ١ ص ٢٦١) في نعته

(١) الحوادث التاريخية التي سردها في هذه المحاضرة وقعت حوالي سنة ٣٨٥ هـ ولا ريب ان وليمة (ابن واسانة) وقعت ايضاً في ذلك الزمن . لكن لانعلم في اي سنة كانت . اما وفاته هو فني سنة ٣٩٤ هـ .

(هو انجوبة الزمان ونادرته • وفريد عصره وبافعته • وهو احد الفضلاء • المجيدين في الهجاء • وكان في زمانه • كل بن الرومي في أوانه) هذا ما قاله الثعالبي • ويستنتج من تضاعف كلامه ومن قصيدة هجوية لابن واسانة هجأ بها ابا الفضل يومف بن علي — ان ابا الفضل هذا كان والياً على ديوان الخراج والضباع سيف دمشق وكان ابن واسانة كاتباً عنده وكان مَذَشَّماً او (مَذَشَّي) بن ابراهيم القزاز اليهودي موظفاً في ديوان الخراج بل ربما كان رئيس كتاب ذلك الديوان • فحمل الطيش ابن واسانة على نظم قصيدة في هجاء رئيسيه (ابي الفضل ومنسى) وكان هجواً غابة في الاغذاء والفحش • فما كان من ابي الفضل الا ان عزله فبقي من ديون عمل طول عمره ثم ما — (سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) •

اما الخائشة في شعره فربما فاق فيه رصيفه ومعاصره عبد الله بن الحجاج (٣٩١ هـ ١٠٠٠ م) فكان ابن الحجاج زعيم الهجائيين في العراق • كما كان ابن واسانة زعيمهم في بلاد الشام •

وكان شعراء ذلك العصر الهجائيون يخيفون الرؤساء وكبار رجال الدولة ويحملونهم على إكراههم وتقليد هم الوظائف والاعمال • لا بالانهاش او ابراز شهادة بل بقوة التهديد والهجو وهتك الامتار عن قبجج الاسرار وهي الطريقة التي يسميها أدباء الافرنج شانتاج (Chantage) فاشاعر البسامي البغدادي المتوفى في زمن الخليفة المقتدر (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) هدد رؤساء الدولة ان لم يوافقوه عملاً فقال :

(قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يؤمل فيه النفع والعمل)
(ان تشغلوني باعمالٍ أصيرها شغلاً والا فني أعراضكم شغل)

ابن واسانة دمشقي او حلبي ؟

في قصيدة (ابن واسانة) الآتية بيت من الشعر وصف نفسه فيه بأنه (غريب ناء عن الاوطان) اذن هو غير دمشقي • وفي حلب حمام يسمى (حمام الواساني) فهل ابن واسانة حلبي ؟ جاء في كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) مانصه : (الحمام الذي يعرف بالواساني ويقال له (الواسانو) قديم جداً : قال صاحب كنوز الذهب : في هذا الحمام جرت امود يُذكر ان الخليل ابراهيم عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الامر مشهوراً حتى

الآن . وهو حمام مبارك يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام ويحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصاً النساء . ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام ان الجرن موجود فيه حتى الآن والحمام من أوقاف الحاج موسى الاميري اه .

وكتب اليّ بعض فضلاء حلب وقد سأله عن الواساني فقال :

« الواساني رجل له حمام يجلب ينسب اليه . والحمام موجود الى اليوم في سويقة حاتم وراء الجامع الكبير تابع لوقف الاميري ويسميه العامة (حمام الويسيني) بالامالة . قال الرضي الخنبلي في كتابه (الزهد والفقر) الواساني هو الذي ينسب اليه الحمام يجلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاءً وان كانت العوام يعتقدونه اليوم من الاولياء وارباب المزارات اه .

ومن هذا يفهم ان باني الحمام في حلب هو ابن واسانة صاحب الوليمة في قرية ججرايا بدليل ما وصفه به من انه كان شاعراً هجاءً . غير انه سماه الحسن وصوابه الحسين كما في بشيرة الدهر . فهل يصح لنا الحكم بانه حلبي ؟ كلا : فان الشبهة في نسبته الى حلب مازالت موجودة بدليل ان في كتاب (بشيرة الدهر) قصيدة هجومية لابن واسانة ومطلعها :

(يا ما كني حلب العواصم جادها صوب الغمامة)
(انا في مدينتكم غريب - لست من اهل الإقامة)

فالله يعلم ابن كان مسقط رأس ابن واسانة قبل انه يسكن (حلب) و (دمشق) او اعله يريد بقوله (انا في مدينتكم غريب) انه كالغريب في عدم وجود اصدقائه او في سهولة رحيله عنها فهو لا يهاب من بهجوم ولا يخشى بطشهم على حد قولهم (لانعاند من اذا هدّ رحل) فيكون حليماً وأقام في دمشق طويلاً .

قرية ججرايا

هذه القرية من قري دمشق وقد كان لها يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة منذ ألف سنة شأن عظيم . ثم انحطت في عمرائها حتى أصبحت مزرعة صغيرة واخذ اسمها (ججرايا) بتضائل وبتلاشي من الالسنه شيئاً فشيئاً اللهم الا من السنة أكارها القليلين الخاملين . وما زاد في غموض امرها وضباب اسمها ان جيها كانت تنسحق في كتب الأدب واللغة :

ففي (اليتيمة) اسمها (جمرابا) بالخاء المعجمة . وكذا في تاج العروس : فقد روي مؤلفه يعني احمد بن منير هكذا :

(بالذيربين فمقرى فالسرير فحم - رابا فجوة حواشي جسر جسرين)
(فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلتين)

وذُكرت (جمرابا) في معجم الادباء باسم (جمرابا) بالخاء المعجمة . اما في (معجم البلدان) فذكرت مرتين مرة باسم (جمرابا) بالمهملة ومرة باسمها الصحيح (جمرابا) بالجيم المعجمة وذلك بمناسبة الكلام على نهر بردى فقـال : ان عيوننا تظهر على مقربة من الزبداني فتصب في قرية الفيجة وتضم اليها عين أخرى . ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمرابا (وقد ضبطها بالشكل بضم الجيم) فيفترق الماء حينئذ فيصير اكثره في بردى ويحمل الباقي نهر يزبد « اهـ » .

هكذا تصحف اسم هذه القرية وكادت هي نفسها تنطمس ايضا حتى اني سألت التتاء الممربين من اهل دمشق عنها فلم يعرفوها لا باسمها الحقيقي ولا باسمها المصحف . وأجدر الناس بالخبرة هم أدباء دمشق وعلمائها الذين كانوا يقرأون حكاية وليمة ابن واسانة في كتاب اليتيمة المطبوع في بلدهم ويتمنون لو يعرفون اين هي قرية جمرابا التي أقيمت فيها الوايمة وكان أشدهم حيرة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فقد مات وبقيت في قلبه حسرة من (جمرابا) كما مات الاصمعي وفي قلبه حسرة من (حفي) .

ولما طالعت (اليتيمة) في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وقرأت وصف الوايمة الواسانية شاركت الاخوان في حيرتهم وأخذت أتساءل عن قرية (جمرابا) وأراجع عنها في المظان وكنت كلما أوضحت في المراجعة ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في اثناء الحرب العامة ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب احد خطباء الجامع الأموي ملك قطعة ارض في مزرعة (جمرابا) فعلم من اكثاريها ان اسم مزرعتهم (جمرابا) بالجيم وبالطبع كان اسمها كذلك في اوراق التملك الرسمية التي بيده . وقد بنى الاستاذ ثمة داراً حسنة وجعل يتحدث اخوانه عن (جمرابا) وجمال موقعها وطيب دوائها . ويدعوهم الى زيارته ويهذ الصورة نشرت قرية (جمرابا) من مطبوعة العدم وعادت

فولدت من جديد باسمها الحقيقي وظهر ان محلها وادي بردى على قيد غلوة من قرية الهامة منزله اهل دمشق المشهور .

وقال بعض الفضلاء « ان قرية جمرابا كانت موقوفة على احدى مدارس دمشق » واذن لا بد ان يكون لها ذكر في كتاب (الدارس في المدارس) فلعلنا نظفر به ونخرج نصيح هذا الكتاب اليوم ونعدّه للطبع والنشر .

وسمعت فاضلاً آخر يقول : ذكر باقوت في معجم البلدان (ان قرية يقال لها جمرابا واقعة بين الهامة والأشرفية كانت قديماً مصيفاً للملك دمشق) ولم أعثر على هذا النص في المعجم .

وليحة ابن واسانة

عرفنا ترجمة (ابن واسانة) وشيئاً عن قرية (جمرابا) بقي علينا ان نعرف ماهي الظروف التي جعلت ابن واسانة يقيم هذه الوليحة في جمرابا ؟ .

لم نوصف هذه الوليحة نثراً في كتب الأدب وانما وصفها صاحبها ابن واسانة شعراً بقصيدة قالها فيها : والقصيدة نحو مائتي بيت ذكرها الثعالبي في (اليتيمة) ثم قال مانصه : « قد أحسن في هذه القصيدة غاية الاحسان . وأبان فيها عن مغزاه احسن بيان . وتصرف فيها واطال . وامكنه القول فقال . واذا تخلص الشاعر عند الاطالة الوصف هذا التخلص . سلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا بدرك غوره . ولا يخاض بحره اه .

ويمكننا ان نستخرج اسباب هذه الوليحة من القصيدة نفسها التي قبلت فيها: فقد كان يوجد في دمشق في ذلك العهد رجل من الاشراف يكنى (ابا القاسم) وله اخ اسمه (الفضل) ويظهر انها كانا صديقين للشاعر ابن واسانة وانها من اصحاب الجاه والظهور والخلول والاتباع . فشكلنا ابن واسانة ان يصنع لها وليحة في قصره في قرية (جمرابا) وكانت معها جمع من الأصدقاء والأدباء . منهم رجل اسمه (الشمولي) ولعل الشمولي هذا هو (بدر الشمولي) الذي نقلدولاية دمشق سنة ٣٦٣ هـ وان لم يكن هو فواحد من ذريته . وكان في جملة المدعوين (بنو ابي صفوان) ورجل اسمه (ابن المبشر) وصديقان لابن واسانة لم بصرح باسمهما : احدهما أديب والآخر كاتب . ويفهم من القصيدة ايضاً ان لابن واسانة ولداً صغيراً يحبه اسمه

(ميمون) وذكر في القصيدة ان الخروج الى الوليمة كان ليلة الخميس المصادفة لليلة عيد المرافع . ولم يعين في أية سنة كانت الوليمة . وأشار الى ان قرية (جربابا) تبعد عن دمشق تسعة أميال . وقد مر ان جربابا على غلوة من الهامة والهامة تبعد عن دمشق ١٣ كيلومتراً . وفيما عدا ذلك استوعبت القصيدة أسماء المآكل والمشارب ونظمها من أحوال ذلك الزمن الأخلاقية والاجتماعية مما يحرص عليه كل من يهجمه الوقيف على تاريخ دمشق وأخلاق أهلها وحالة عمرانها منذ ألف سنة .

ولعمري ان في هذه القصيدة الخالدة اكبر دليل على درجة الترف والرغد الذي كان يتمتع به أهل دمشق في ذلك العهد . ولا نظيل في وصف القصيدة وما يستخرج منها من الفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية بل ندع ذلك لها ولقائلها (ابن واسانه) فعما أفصح لساناً . وأروع بياناً .

تلمون ايها السادة ان الألفة وارتفاع الكلفة اذا استحكما بين شخصين وبين من يدعوهم الى ضيافته فكثيراً ما يأخذ هؤلاء الضيوف بمهيبات الطعام تارة . ويستقلونه ظوراً . وبكفون صاحبهم احياناً ان يُخضرم ألواناً أخرى من الطعام وأطابيه . بل يقومون فيغتشون عنها في زوايا البيت ومخابئه . فيأخذ صاحب الدعوة اذذاك في الصراخ والعلو بل والتبرم بالقوم ورفع الصوت في الدعاء عليهم . بل يحلف انهم خربوا داره . وأفقروا أهله وصغارهم .

يقع هذا بين الأصدقاء في هذه الايام . وعلى هذا الاساس بنى ابن واسانة قصيدته التي قالها منذ ألف عام : فهو يصف المدعوين بالشرّ والنهم وانهم كالجراد المنتشر لم يدعوا في قريته أخضر ولا يابساً الا التهموم . ولا متاعاً او إناء الا حطموه . وقد سلك في الوصف مسلك الغلو والتهويل . زيادة في الإحماض والمداعبة واظهار المقدرة في نظم الشعر وحسن التصرف في أفانين القول وابتكار المعاني . حتى قال باقوت في كتابه (مجموع الادباء) : « انه احسن في هذه القصيدة كل الإحسان . وابان عن مقاصده احسن بيان » . وموعنا بالقصيدة العدد الآتي .

« المغربي »



روح المتذنب (١)

- ١٢ -

لكل شاعر روح نفيض على جنبات شعره ، ومهما حاول ان يخفي هذه الروح فلا بد لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا تعبس الدنيا في نظره فتري في أضواء شعره ظلمة الدنيا وعيوسها ، وهذا يتسم الايام في وجهه فيجد في اثناء شعره ضياء الايام وابتسامها ، هذا يستمرس الى جد الحياة فلا تقع في شعره على شيء من هنرها ، وهذا ينسبط الى هنل العيش فلا شعر في فيض قريبه بشيء من جدته ، شاعر ضياء الامل مستفيض في شعره ، وشاعر ظلمة اليأس شائعة في فريضه ، لكل شاعر روح ، ما هي روح المتذنب ، ما هي هذه الوثبات التي وثبها في كل مذهب من مذاهب شعره ، في نسبه وراثته ، وفي أماديجه وأهاجيه ، ما هي هذه النزعات التي نزعتها في فقره وغناه ، وفي صبوته القلقة ، واكتماله المضطرب .

نشعر ونحن نقرأ شعر ابي الطيب بان الحياة مظلمة الجوانب في عينيه ، كامدة الألوان في نظره ، فلسنا نجد في هذا الشعر أثراً من آثار إشاعة الدنيا وابتسام الزمان ، ان في روح المتذنب شيئاً من الانقباض ، ليس معنى هذا ان ابا الطيب لم يعرف قيمة الحياة ، ولم يقدرها حق قدرها ، فان الذي يقول :

أَنعم وَلَدٌ فللأُمور أواخر أبدأ إذا كانت لمن أوائل
مادمت من أرب الحسان قائما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمر كأنها فبَل يزودها حبيب راحل

لعارف بموارد الحياة ومصادرها ، وبمداخلها ومخارجها .

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

وان الذي يقول :

ولذبت الحياة أنفـس في النفس وأشهى من انـف يُملّ واحلى
واذا الشيخ قال افـ فما ملّ حياةً وانما الضعف ملاً
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن الرء ولّى
لا يغفل عن اسرار انبساط النفس وانسراح الصدر ، وربما أحاط من هذه الامرار
بما لم يحيط به اعرف الناس بمقدار الحياة ، وما هذه الأسرار الا الصحة والا الشباب ،
واذا المرء لم يرفل من الصحة في برد فشيب ، ولم يتفياً من الشباب وارف الظلال ، لم يجد
للحياة لذّة ، نعم لم يجهل ابو الطيب قيمة الحياة وهو حريص عليها لانها شهية :
المرء يأمل والحياة شهية والشيب أوفر والشيبة انزق
ولقد بكى على شبابه :

ولقد بكيت على الشباب ورمتني مسودّة ولما وجهي رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لادت بما جفني أشرق
وفي هذه الدموع دأبل على حبه الحياة ، وحرصه عليها ، وربما اشتدّ هذا الحرص
حتى أخرجته في صباه من شيء من الشجاعة ، وأقحمه في شيء من ذل الجبن في بعض
الحالات ، فمن قوله في مدح الحسين بن اسحق النخعي وكان قوم قد هجموه ونخلوا الهجاء
الى ابي الطيب :

وما أربت على العشرين سني فكيف مللت من طول البقاء
ومنه قوله للوالي وهو في الاعتقال :
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد
كل هذا حجة على رغبة المنبي في الحياة ، وتمسكه بها . ومع هذا فاننا لانجد في
شعره اثر الضياء الحياة وبشاشتها ، فكأن الرجل قد حرم حظّه من لذتها ، او كأنه لم
يكن له من نصارة شبابه وكل صحته آلة يستعين بها على ذوق هذه اللذّة ، أفكان المنبي
بشكي صحته ، فكثيراً ما اشار في شعره الى نحوه ، ومن هذه الاشارات :
روح تردّد في مثل الخيال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كنى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اباك لم ترني

ومنها :

جمعت بين جسم احمد والـ - قم وبين الجفون والتسبيد

ومنها :

ولا وقفت بجسم 'مسي' الثالثة ذي أرسم دُرُس في الارسم الدرس
أفكان مصاباً بشيء من الما ليخوليا التي نجد آثارها في شعره ، فقد اسودت الدنيا
في عينيه ، وقل سروره فيها ، وضاع عمره :

وقت بضيع : عمر ليت مدته في غير أمدا من سالف الأُم
أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم واندهاه على الهرم

واستخفّ باسم الحياة فلم يبال أطل العمر ام قصر :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وبقي عبثه مثل ذاهب

وافضى به هذا الاستخفاف الى شيء من القسوة في مواطن البكاء :

أنبيكي موتا على غير رغبة نفوت من الدنيا ولا موهب جزل

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشتاقي فيه الى النسل

نعم لم ينظر الى الدنيا من وجهها الجذل ، وانما نظر اليها من أفقها الكئيب ، ففاض
شعره كآبة ، فهو يتصور الموت في كل حالة من حالاته ، في صحته واعتلاله :

وان اسلم فما ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

ومن كان هذا نظره في الدنيا فلا عجب اذا هاجت به الما ليخوليا في بعض الاحيان فطلب
الموت ، لان الموت هو الذي يشفيه مما يكابده من الم النفس ، واي الم اشد من رؤية
الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل ابي الطيب ، يعادونه على فضله الذي يستوجب
محبتهم ، وينام عنهم ولا ينامون عنه :

أعادي على ما يوجب الحب للفق وأهدأ والافكار في تجول

لا عجب اذا طلب المنني الموت ، ولقد طلبه لانه فتش عن صديق مخلص له فإيجده ،
وعن عدو مداح فأعياه ، فالحياة التي ليس فيها صديق مخلص ولا عدو مداح لا يكتر

على رجل مثل المثني أن يطلب فيها الموت ، وهو من هو في شدة احساسه واهتزاز اعصابه وسرعة حركة نفسه :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيها ما تمنيت ان ترى صديقا فأعييا او عدواً مداجيا
لا عجب اذا كانت المنايا من امانى المثني ، لانه بين ظهري رجل ودهم خداع
ودينهم نفاق :

فلم ار ودهم الا خداعا ولم ار دينهم الا نفاقا
ان رجلاً هذا هو نظره في الحياة ، ان رجلاً يستوي عنده قصر الحياة وطولها
لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال لبعيد عن التفرغ لمغالبة الالبام ، والسعي في
الحصول على شيء من عظمة الدنيا ، سواء أ كانت هذه العظمة في المال ام في الجاه ، نعم
ان رجلاً هذا مذهبه من عادته ان يقضي في ظلال الهدوء وراحة البال هذه الايام
القليلة التي يعيشها مستمراً بكل عظمة ، ساخراً من كل جاء ، لان الحياة في نظره
احقر من ان يزاحم عليها ، ان رجلاً من امانيه المنايا لانه لم ير صديقاً مخلصاً له ولا شبه
صديق ، يغلب اليأس عادة على قلبه ، فلا يضرب في مناكب الارض ابتغاء شيء
من عظمة الدنيا ، ولكن المثني بعيد عن هذا كله ، وهذا موطن من واطن تناقضه في
أخلاقه فقد كانت حياته تجتمع بين الفأل والشؤم ، واثاف بين اليأس والرجاء ، وانه
ليرى ظلمة الدنيا الى جانبه اذ يسعى الى ضيائها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة
وقصرها اذ يستنفد وسعه في الوصول الى شيء من ظواهر العقيدة في هذه الحياة ، ما فلق
ابا الطيب ، ما اشد اضطرابه :

كريشة في مهب الريح سافطة لا تستقر على حال من القلق
فكانت بغضب على الحياة ويرضى عنها ، بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياج
اعصابه وهدوءها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسودة ، ولكنه سعى
في الوصول الى الذي خالج قلبه في هذه الحياة سعياً تقهر دونه سوابق الاقدام ، وربما
كان ينحط في بعض سعيه الى طبقات المستعطين فمرة كان استعطاؤه صريحاً :
أمطر عليّ بحباب جودك ثرة وانظر اليّ برحمة لا أغرق .

ومرة كان تعريفاً :

فما بفقر شام برقك فاقة ولا في بلاد انت صبيها محل
وحينما كان الاستعطاء مشتملاً على شيء من الثفنن :

فان نقل : ما فعادات عرفت بها او : لا ، فانك لا يستخو بلا فاك
نعم سعى في هذا كله ما كالت عزائه ولا فترت محبه ولا وجد اليأس الى قلبه
سببلاً ، فقد عمل لدنياه كأنه يعيش ابداً ، وكان مذهبه في عمله : الدنيا لمن غلب ،
حاول ان يغلب فما قصر سخر من كل فائبة نابتة ، وذلل كل عقبة اعترضته ، فلو تجسم
العزم لكان ابو الطيب جسته ، ولو تصور العمل لكان صورته الناطقة ، ان شعره لينهض
رجولية ، ان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة ، يتناول له عدوه المبين
فلا يخضع من شوكته ، ولا يضعف من عزمه ، واذا نسا به مكان انجم مكاناً غيره ،
سواء أكان منتجماً بعيداً ام كان قريباً ، ما اعظم المنبئ في هذا الجلد على التمس
بالآفات ، والمطاعنة للايام فيكاد يكون المثل الأعلى في النزاع والمغالبة ، اوتي من العزم
ما صذر اليه كل عظيم من عظام الدنيا ، حتى نشأت له من هذا كله قوة منيعة استعان بها
كل حيلاته ، يجلس الرجل في سبيل امر من الامور ، فيخرج من حبسه ، ويضرب في
الارض لا مطية له الا النعل والالخف ، فيمدح من يمدح ، ومن يمدوحه من لا يعطيه
على قصائده الا ديناراً ، فيسبر ولا يقطع امله من الحياة ، ويتصل بسيف الدولة فيغرق
في نعمه ، فيكبد له من بكبد ، ويحسدونه ، فيترك سيف الدولة ويرجع الى ديدنده في
الحمي والجهد ، فيأبته وعد السودان فينجو من شرم ، ويقصد حفرة كافور الاخشيدي
فلا بكرمه اكرام سيف الدولة ، ولا يسمح له بالجلوس في مجلسه ، ويث عليه العيون
والأرصاد ، ويضمر قتله ، فينفلت منه ويعود الى سعيه ، فيتأمر عليه عبيده فيمز على
احدهم ، ويغلب على امرهم ، ويعود الى العراق فيثور عليه شعراء العراق ، فيهرب من
بغداد ويصل الى بلاد فارس ، ثم يستأذن عضد الدولة في العودة الى وطنه فيحذرونه
من الموت فلا يعبأ بالموت ويهجم عليه فيموت . اظن ان في هذه الامور كلها سلسلة حياة
تكاد تكون منقطعة النظير في العير على الشدائد ، والاستعداد لمطاعنة الدهر ، واظن
ان الرجال الذين يصبرون بعد الصدمة الاولى من صدمات الحياة قليل عددهم ، ان كثيراً

من الناس تضعف عزائمهم في اول ضربة من ضربات الزمان ، فالمنبي من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام ومارستهم ، وصارعوها وصارعتهم ، فما استسلموا ولا انقادوا ، بباغتهم الدهر من ناحية فيستعدون له من ناحية ثانية حتى تمل الايام طوال نزالهم ، فتلقى اليهم سلاحها وتنتطوي دون عزائمهم ، فلو صور العراك والغلاب والمراس لكان المنبي صورة هذه الامور كلها ، فكأنه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بعض شعره :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا
هنا تظهر رجولية المنبي ، هنا يكون ابو الطيب القدوة لمن يريد ان يقتدي به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فضلهم حتى لنضافر عليهم المكابد ، ولنواطأ عليهم الغوائل فاذا جهنوا واستسلموا اطفأ الحساد من نورهم ، واذا شجعوا ومضوا في سبيلهم مل هؤلاء الحساد حسن ثباتهم وماتوا من مخزية الذين يحسدونهم فلا يجدون الى اطفاء النور سبيلا .
في شعر ابي الطيب رجولية تفيض في كل جنبه من جنبات هذا الشعر المنيع ، وما هذه الرجولية الا صورة روحه ، واقد ابت هذا الروح الا الظهور في كل مذهب من مذاهب شعره ، فسواء عليه أمدح أم هجا ، وسواء عليه أنفزل أم يكي ، ان روحه لتغلب عليه في اماديجها واهاجيه ، وفي غزله وبكائه . ان هذه الروح ابت الا الوضوح في كل حال من حالاته ، وفي كل طور من اطواره ، سواء أكان فقيراً أم كان غنياً . انكم لتجدونه يبكي شقوته ويضجر من رقة حاله وخشونة عبثه ، ومع هذا فان روحه لا تغفل عن المنفي بالكرم ، وعن الشديد بالذل .
فبعد ان يقول :

الى اي حين انت في زي محرم وحنى متى في شقوة والى كم
لا يلبث ان يقول :

والا تمت تحت السيوف مكرماً تمت ونقاس الدل غير مكرماً
فشب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في العيجاجنى النخل في النم
وما كان المنبي الا صادقاً في قوله ، ولقد امثلاً شعره من هذه النزعات السامية والوثبات الكريمة فماخلت قصيدة من قصائده من هذه الروح العالية ، وبيننا نجده يقول :

م : ٢

ضاق صدري وطال في طلب الر - زق قيامي وقل عنه قعودي
اذ نجده يقول :

عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العز في لظى ودع الدل ولو كان في جنان الخلود
فالعز والمجد والعليا ، وكرم النفس الفاظ جرت على لسان ابي الطيب المنيني في كل
شعره فكانت تفصح عن حقائق روحه وبواطن نفسه ، ولقد ادعى به تغنيه بهذا العز
وبهذا المجد وبه هذه العليا الى مواطن الموت ، مثلوا له الموت وحنّروه منه فما حذر
ولا تمانه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه انه جبان ، فما أبعد ابا الطيب عن احتمال
الأذى ورؤية جانيه :

واحتال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضرع به الاجسام
ذلّ من يغيظ الذليل بعيش ربّ عيش أخفّ منه الحمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يبيت ايلام
ما أبعد ابا الطيب عن احتمال الأذى ، لقد غرق في نعيم سيف الدولة وفي مكارمه
ومع هذا كله لما عبث به سيف الدولة واحس المنيني بالانقباض عنه ما لبث ان عاف
هذا النعيم وهذه المكارم :

وما منزل اللذات عندي بمنزل اذا لم أبجلّ عنده وأكرّم
سبيحة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرماً بها كل تخوّم
نم يأبى ابا الطيب الا ان يُبجلّ والا ان يكرّم واذا سكنت في حضرة كافور عن
شيء من هذا التيجيل والتكريم فما معنى هذا ان الرجل هانت عليه نفسه ، وانما طمع وهو
في حضرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول حياته ، فصانع كافوراً ارادة الوصول
الى هذه الولاية التي أملها ولما احس بالشرو بالاذى ولّى عن كافور .
أبت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب هذا
الشعر ، لقد ظهرت في أماديجه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان يصور روح
الممدوح وربما جعل للافصاح عن روحه في أماديجه النصيب الاوفى :
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة - فاما المجد الا لسيف والفتكة البكر

وتضرب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المحر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر
نعم لم يغفل عن اظهار روحه في اماد يحه حتى في اماد يحه في سيف الدولة :
وانا لتلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ن تصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول
والقد ظهرت روحه في صرائيه اي في المواطن التي بذهل فيها الانسان عن كل عظمه
وعن كل عز ، ففي رثائه لجدته وقلبه ملتهب ، ودمعه منسكب لم يغفل عن روحه :
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتي مهجة تقبل الظلما
روحه غالبه عليه فأنتم تعلمون مقدار محبته لجدته ومقدار اسفه على وفاتها ومع هذا
فلم ينسه وفاتها روحه فكأن في باطنه شيئاً يخزّه حتى يظهر وما هذا الشيء الذي يحركه
الا روحه ، وكذلك حاله في غزله :

وقد طرقت فتاة الحي مرندبا بصاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل
وكذلك شأنه في أهاجيه :

ويلها خطّة ويلها فإبلسا لملها خلق المهر ية القود
وعندها لتطم الموت شاربه ان المنية عند الذل قنديد

ما اعظم روح ابي الطيب ! ما اظهرها على شعره !

دمشق : ٣ ايار سنة ١٩٣٠



فلسفة المتنبي

- ١٣ -

علمنا بطائفة من اخبار المتنبي وأحطنا بشيء من جملة اخلاقه وروحه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان نعرف درجة عبقريته وخصائص هذه العبقرية ، هل يخلد شعر المتنبي ما هو السر في خلوده . وقبل ان أنفرغ لهذا كله ارى ان الواجب عليّ ان انظر في فلسفة المتنبي .

اشار القاضي الجرجاني والشمالي الى ان ابا الطيب خرج عن رسم الشعر الى طريق الفلسفة و اضاف الشمالي الى هذا الكلام ان المتنبي امثل الفاظ المتصوفة واستعمل كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة فمنه قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخائنه قربك الايام

حتى قال صاحب « ولو وقع هذا القول في عبارات الجنيد والشبلي لثاره المتصوفة دهرآ طويلاً »

ومنه قوله :

يا ايها الملك المصني جوهرآ من ذات ذي الملكوت اسمي من سما

نور تظاهر فيك لاهوتيته فتكاد تعلم علم ما لن يعلم

ومنه قوله :

ولقد رمت بالسعادة بعضآ من نفوس العدي فادركت كلا

فالجوهر المصني واللاهوت والبعض والكل من الفاظ رجال الفلسفة والمنطق .

ولمّع الى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكائهم امثال جالينوس وبقرات ورسطاليس وبطليموس .

وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية .

من هذه المذاهب :

وكم لظلام الليل عندك من بد تخبر انت الماوية تكذب
ومنها :

الا فنى يورد الهندي هامة كيا نزول شكوك الناس والتهم
وانه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطين والمقدم
ومنها :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقبل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن انفسكر في الدنيا ومعجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

واظن ان شيوخ ابن خلدون لم يعجبوا شعر المنبي بمخالفته الاساليب العربية الاسباب
لجأه الى هذه المصطلحات الفلسفية واشباهها لان الشعر كما قلت في « سحر العبقرية »
غرضه ان يمرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحاشى التجرب بدات وعبارات العلم واستدلالات
الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم
الصبح المحسوسة ولكنكم ستجدون في فصل الكلام على شعر المنبي ان ابا الطيب اذا خلد
فان خلوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ ابن خلدون، فاذا خلد المنبي فان الذي
يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي استفادت في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما
يتنضيه مقام الاستشهاد فكأن ابا الطيب لسان حال البشر باجمعهم . فقد يقذف المنبي
في بيت او في بيتين مذهبا فلسفيا او علميا يشغل به المفكرون كل حياتهم من هذه المذاهب
قوله :

فقل ما يلوم في ثوبه . الا الذي يلوم في غرضه
من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن نفسه
ومنها :

راعتك رائعة البياض بمنفردى ولو انها الاولى لراع الاسم
ومعنى هذا البيت : راعتك الشمرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان الشعر يكون
أبيض في اول امره ثم يسود لراعتك الشعر الاسود ، فكأنما ابو الطيب أراد ان يمثل
للناس على نحو (بيرون) في القديم ان آراء الخلق سريرة التبدل والتغير بما يدل على شك

الناس في حقائق الامور ، اعتماد البشر ان يروا الحسن في الشعر الاسود والقيح في الشعر الابيض ولو تعودوا ان يروا الحسن في الشعرة البيضاء والمساوي في الشعرة السوداء ، لما كان لاشتعال الرأس شيئا اثر شنيع في العيون فكأنما لا حقائق مطلقة في العالم وانما الحقائق نسبية للامر الواحد كما قال « انا تول فرانس » مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم منفيس في طلوع الشمس ثم انظر اليه في غروبها فانك تجد في الصباح مخروط الشكل ينسبط عليه ضياء وردي ، وتجد في المساء مثلثا اسود اللون ومن الذي ينفذ فكره الى مادة هذا الهرم فالعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا .

قد تكثر هذه النظرات الفلسفية في شعر المتنبي ولكني امرتها كما مر بها ابو الطيب نفسه لانها لا تؤلف الفلسفة التي اريد الكلام عليها ، اي لا تؤلف فلسفة المتنبي ، وانما هي خطرات قد يجوز ان يكون اقتبسها من الكتب المترجمة او دأب عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وانما الذي توسع فيه النظر في الحياة واخلاق اصحاب هذه الحياة فلننظر في صورة الحياة التي يريد بها ابو الطيب .

صور ابو الطيب المتنبي الحياة في شعره في اشرف صورها وعرضها في اكرم معارضها فهو يريد بها سالمة من كل ضيم ، بعيدة عن كل ذل فلا يجدون في شعره الا الفاظ العز والمجد والكرامة وما تقتضيه هذه الالفاظ من تعب الاجسام وسفك الدماء ، فالمعالي لا تكون رخيصة فلا بد من ابر النخل درن الشهيد ، ولا بد من صرارة الزمان دون حلاوته ، لبس الفقر ان تغث المأكل انما الفقر ان تغث الكرامة ، فلا تكاد عيشة العز تفارق صورها شعره ، وان كان هذا العز في جهنم وان كان الذل في جنات الخلود ، على مخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سريره ، وقد يوقى الشجاع وهو غارق في الدماء ، على مخاف الموت والموت لا بد منه وسواء أفرط الرجل في سلمه ام أفرط في حربه ، ان غاية الموت فاذا كان الموت غاية كل واحد فلم يتحقق الا فساد من الرعب فالخلف في العز محبوب والذل في طول العمر بغيب .

صور الحياة في اكل صورها ، ينبغي للناس ان يهون عليهم رزء جسومهم اذا سلمت في هذا الرزء عقولهم واعراضهم لا تحتمل الاذى ، لا تغبط الدليل ، لا تن . هذه هي الوصايا التي لم يخل منها شعره ، دع نفسك تأخذ ما يمكنها اخذه من هذه الدنيا ، ولكن

لا تحسب هذا الاخذ في زق اوقينة ، فما المجد الا السيف والفتكة البكر ، ما المجد الا ضرب
أعناق الملوك وترك دوي في الدنيا ، اسع الى المجد ما استطعت اليه سبيلاً ، اطلب المال في
المجد ، اطلب المجد في المال ، خلف ذكراً طيباً فالذكر عمر ثان ، اكسب هذا المجد من
مضارب السيف ومن سنان الرمح ، قاتل في سبيل العلى ، قاتل في سبيل السلم ، السعادة في
سفك الدماء ، ابن الممالك على الاسل ، سلم شرفك من الاذى باراقة الدم على جوانبه ، اطلب
حقك بالطعن بالضرب ، الدنيا نزاع ، والدنيا لمن غلب ومن استطاع ان يلتمس الاشياء
اغتناباً لم يلتمسها سواً ، اذا غمرت في شرف فلا تنعم بما دون النجوم فالمرت واحد في
عظائم الامور وفي صفاتها ، لا تعمل بالآمال ، لا تنعم بالافلال ، لا تسكر فمعاطاة الصفايح
والعوالي الذ من المدام ، الموت في الوغى عيش ، لا نداج ، لا تنعم سر في امرك ، لا تعجز ،
لا تسكل على احد ، اباك والقص اذا كنت قادراً على الثام ، جالس كتبك فان الكتاب
خير جليس ، اكرم الكريم فتملكه ، لانكرم اللئيم فتمرد ، احرص على الحياة فان الحياة شهية
واحرص على اللذات ، لتكن في حرصك على هذه الحياة وعلى هذه اللذات مبيلاً مكرماً ،
اباك والغواني فانهن ضياء في بواطنه ظلام ، لاعمد لمن ، يحقدن فلا يبقى في قلبهن رضى
وبرضين فلا يبقى في قلبهن حقد . هذه هي الحياة التي يريد بها المنبي ، انها حياة سامية
واكتمها ممزوجة بالدم ، بعيدة عن الهدوء والسكينة ، مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها
نزاع ، وكلها غلاب ، وهل الدنيا الا غلاب . ان الحياة التي يريد بها ابو الطيب انما هي حياة
القوة وهل يكون عزيز الجانب غير القوي ، قاتل ، غالب ، هذا هو الهدف الاعلى الذي
يرمي اليه المنبي ، وقد قاتل وغالب كل حياته ، فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطبعه ،
جمعت هذه الفلسفة بين سلطان المادة وكرامة الادب ، فلا خير في المال اذا لم يزينه المجد
ولا خير في المجد اذا لم يؤيده المال . وهل نكسب هذا المجد الا بعد ازعاج البدن وافلاق
الروح . وهل نصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلوة هذا المجد وهذا
الموت ننسينا مرارة الايام التي انقضت في كسب المجد والمال .

هذه هي الحياة التي يريد بها ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل نظر ابي الطيب
فأخلق به ان يكون متشائماً لان المجد والعز والكرامة كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق
واين مكارم الاخلاق في زمن لا صديق فيه مخلص ولا عدو مداح اين مكارم الاخلاق

في زمن ودّ الناس فيه خداع ودينهم نفاق عالمهم قدم وحازمهم وغد وبصيرهم اعشى وشجاعهم قرد بلي المنبي بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح لها الخشاش ليس من العجب ان يكون المنبي متشائماً اذا كان في زمن وقته فيه ضائع - ليس من العجب ان يحذر الناس انهم لا يرحمون فلا ترحمهم روت رحك من دمائمهم اقتلهم ولا اثم عليك ليس من العجب ان يرى ابو الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشاق فيه الى النسل .

من مزاجه السويدي ومن شبابه المضطرب ، واكتباله القلق ، ومن فرط حسه وعصبته ، ومن الذي لاقاه في زمنه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في خلق المنبي ، والتشاؤم كما قال فيه الاستاذ «فاكه» مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقرية على شرط ان يكون المصاب به حاصلاً على النصف الآخر من هذه العبقرية وهو الخيال المديد .

ما هو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها ، ومن اشد نواحيها ظلمة ، واذا لم يكن هذا التشاؤم صادقاً كان ضرباً من السخرية ، واذا كان صادقاً ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعاً من الهزل ، لانه قد يفضي بالمتلي به الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسيها كل الناس ، ولكن تشاؤم رجل مثل ابي الطيب صاحب عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة .

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم الذي قاساه المنبي كل حيائه صدرت افكار سامية من جملة هذه الافكار : العبقرية تجعل صاحبها في شقاوة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ما اصدق هذه الحكمة ! لنبحث عنها قليلاً :

ملك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله : يكاد فورد يستصفي ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعباً ، انه يستطيع ان يدرك امانيه كلها بالمال فلا يشك احد في عظم سلطانه ، فقد اذعنت له الدنيا بحذافيرها . وملك العلم في هذا العصر (ايسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد ضبط أصوات البشر وقرب بين متباعد المسافات بعد ان قاوم الطبيعة فهو يجد في معمله اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء ، يعترف بسلطانه العلماء بمجاهدتهم . لا ريب في ان (فورد) و(ايسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المنبي في شعره ، فهل شقيا في نعيمهما كما قال المنبي ، ام هما نعماء على

خلاف رأي ابي الطيب ، لننظر الى رأي كل منهما في سعادة الآخر .
يقول (اديسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى بسيارته هذه الى انحاء العالم ، وقد وفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يجب على فورد ان يكون سعيداً كل ايامه بسبب توفيقه هذا ، ومن موجب الأسف ليس له شيء من هذه السعادة ان (فورد) سيكون سعيداً زمناً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا يدوم سرورهم طويلاً ان عقله ليعذب به في كل حين لان هذا العقل تشغله امور حديثة لاحد لها ، فاذا تم له امر منها فرح به ، ثم فكر في امر آخر وعلى هذا فانه يجري من ارب الى ارب من غير ان يكون راضياً .

فاذا لم يستطع الرجال ان يحددوا مطالبهم فانهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء فالذي يجدر بنا ان نحسد في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد همهم ان يقبضوا على فراشة ، أسعد الناس انما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطامع .
يظن بعضهم ان المستر (كوليدج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده بضعة أيام فكان كل همه ان يتولى رئاسة الجمهورية فلما أقيمت اليه مقابلة هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الأبيض خوفاً من تبعاته .

اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً فلم يكن لي فيها مطمع او هم ولكني لما كبرت أضعت السعادة فاذا رميت بنظري الى الاثني والثمانين عاماً التي عشتها وجدت فيها اياماً كنت أستطيع ان اكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .

و يقول (فورد) في سعادة (اديسون) :

أرى (اديسون) بعد عدة السعادة الكاملة لانه غارق في شغله فليس به حاجة الى ان يجعل الشغل واسطة العيش وهنا السعادة كلها على خلاف ما كان يذكره العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا ، كان سعيداً في طفولته وشبابه فقد كان عاملاً في البرق والصحافة وصار عالماً في شبابه ، صاحب مكتشفات عظيمة ، حصلت له اسباب العمل في كل حين ، فقد أراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق ، وشاء ان يردد اصداً

الصوت البشري فتمت مشيئته ، لقد وجد لذته كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من اجل غايات شريفة ، ان الرجل الذي يعمل من اجل العمل نفسه ، انما هو سعيد كل السعيد .

فاذا كان (فورد) يغيظ اديسون بطراز حياته ، وهو من هو في الثروة ، واذا لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم ، فما أصدق ما قاله المثنبي من ان صاحب العقل يشقى بسبب عقله في النعيم ، وان اخا الجهالة ينعم في شقاوته .
وانكم لتجدون في شعر المثنبي كثيراً من أشباه هذه الحكمة الرائعة استنبطها من الحياة نفسها ، فكأن الحياة قد عرضت عليه صورها المختلفة وأشكالها المتباينة فاستنبط من غيرها وشرها ومن حلاوتها وصرارتها ومن كرمها ولؤمها امثالاً قدفها في أبيات وانصاف أبيات ، فالرجل قد جرب كثيراً حتى احكته التجارب وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها ، فلا يكاد يحدث حادث في هذه الحياة الا ونجد في شعر ابي الطيب ما يمثل هذا الحادث ، فما أقرب الحكمة من طرف لسانه ، وما أجراها على شق قلبه ، والحكمة اذا كانت بنت التجارب كانت أعلق بالأذهان ، وأسير في الايام ، والمثنبي ابن التجارب :

اذا ما الناس جريهم لميب فاني قد أكتهم وذاقا

دمشق : ١٧ أيار سنة ١٩٣٠



عبقرية المتنبي^(١)

- ١٤ -

أحفظ من تسع عشرة سنة بيتاً من الشعر قاله الشاعر الفرنسي « بوالو Boileau » في الشاعر « مالرب Malherbe » وهذا هو صدر البيت : حتى جاء مالرب . . . واذكر انا كنا ندرس في مدرستنا تاريخ الأدب الفرنسي الذي وضعه الاستاذ « دوميك Doumic » صاحب مر الاكاديمية وقد افضى بنا الدرس الى الفصل الذي عقده « دوميك » في الكلام على « مالرب » فالاستاذ « دوميك » يقول في تاريخه ان « حتى » هذه لنقص من مقادير من تقدم « مالرب » من الشعراء .

ولما وقفت على كلمة ابن رشيق الشائعة : ^(٢) ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس خطرت ببالي في الحال كلمة « بوالو » : حتى جاء مالرب . . . فقلت في نفسي أفيجوز لي ان أقول في « ثم » هذا ما قاله « دوميك » في « حتى » تلك . أفيجوز لي ان أقول ان كلمة ابن رشيق لنقص من مقادير من تقدم المتنبي من الشعراء أفيريد ابن رشيق ان يقول ان المتنبي عفى بر آثار من سبقه .

الصحيح ان ابا الطيب المتنبي كان مشغلة للناس متعبة لهم ولكن هل كانت عبقرية وحدها السبب في شغله الناس أفلم يكن لحواذيه تأثير في هذا الشغل أفلم يكن لاتصاله بسيف الدولة وبكافور الاء خشيدي و ب ابن العميد وبعض الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة أفلم يكن في تزامم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة وعلى الخصوص فان في جملة هؤلاء المتزاحمين رجالاً علت منازلهم في الادب كابن العميد مثلاً او كالصاحب ابن عباد الذي لم يكن نصيب من أماديج المتنبي أفلم يكن في

(١) هذا الفصل والذي بتلوه لم أحاضر بها في كلية الآداب وانما كتبتها في اثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تيمناً للكلام على المتنبي .

(٢) العمدة - الصفحة ٦٤ .

تضافر اكابر رجال اللغة على شرح ديوان المتنبي^(١) وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة ابي الطيب ان شاعراً يقول فيه الشعالي^(٢) : فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ولا افلام كتاب الرسائل أجري به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوالبين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد الفت الكتب في تفسيره وحل مشكله وعو يسه و كثرت الدفاتر على ذكر جوده ورديته وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وعونه وانفروا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتعصب له وعليه . . . » وان شاعراً يقول فيه القبرواني^(٣) : قد شغلت به الالسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمفتش عن جمانه ودره وقد طال به الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج انغايا في جرحه . . . » ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء فيه لا بد له من ان يملأ الدنيا ويشغل الناس .

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر ابي الطيب المتنبي ان ننقيد بما نقيد به المتقدمون افلا يليق بنا ان ننسج عن عوامل الشيعة التي غلت في مدحه والخوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون نظرنا في شعره صحيحاً افلا يليق بنا ان ننظر الى هذا الشعر من وجهه الشفاف حتى يتبين لنا ما وراءه وسواء عليّ اكننت من المعجبين بابي الطيب العابدين له ام كنت من الذين يستوي عندهم ابوالطيب وكثير من الشعراء . لا استطيع ان امر بفائات عبقرية دون الاشارة اليها او ان امر بسحر هذه العبقرية دون التنبه عليه .

فلا بد لنا اذا نظرنا في طبائع عبقرية المتنبي وفي خصائصها ونقبتها عن محاسنها ومساوئها من النظر في آفاقها والسماء التي حاطت في عليائها حتى ينكشف لنا كل أفق على حدة فترى ألوان هذا الأفق سواء أكانت هذه الألوان كامدة ام كانت زاهية بضرة لا بد لنا من النظر في مذاهب ابي الطيب كلها : في غزله وفي بكائه وفي أهاجيه

(١) نجمة الدهر : الجزء الاول ص ٢٨ .

(٢) اعلام الكلام : ص ٢٥ .

وفي أماديجه وفي وصفه على اختلاف أشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تستبين لنا طبائع شعر المتنبي .

اول ما أنعرض له من مذاهب المتنبي إنما هو الغزل هذا الغزل الذي صدر به معظم قصائده اتباعاً لأصول بني عليهما الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج من الأساس على أنه لم يؤثر عنه أنه عشتق وقد عرضنا حوادثه كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشتق فعلمَ هذا النسيب في صدور قصائده بقول الاستاذ «فاكه» في معرض كلامه على «هوغو» : اذا لم تكن أبيات الغزل أبيات شاعر عاشق كانت مقلقة مضجرة وقد تكون هذه الابيات حسنة فلم تعرض المتنبي غزله للاضجار والافلاق وان كان في غزله شيء من الحسن .

لم أجد في كثير من نسيب المتنبي الا ما أجده عادة في الشعراء المتغزلين الذين جاؤوا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم القيرواني^(١) : قد استحوذت الصبابة على أفكارهم واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم فكل مشغول بهواه لا يتعداه الى سواه . لم أجد المتنبي في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كمناجاة الدبار وكاستيقاف الصبح عليها او كالضجر من نيران القلب ومن الشيب وما شاكل ذلك فهذه صور مألوفة ومذاهب معروفة لم يكن المتنبي فيها ابداع ولا اختراع وإنما مشي فيها على آثار غيره .

فني فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبودها
شباب من الهجر فرق لمنه فصار مثل الدمقس أسودها

قرأت مرة رواية وأظنها : رغائب يوحنا سرفيزان وهي من روايات «أناطول فرانس» اذكر ان يوحنا هذا وهو بطل الرواية احب فتاة رومانية ممثلة وقد ملك عليه حبه عقله فكانت الدنيا في نظره صورة والحناء اي كانت الدنيا في نظره صورة الممثلة التي شهد تمثيلها والحناء التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنابات الليل البهيم فلا يزال هائماً حتى يصل الى دار حبيبته فيتأمل في أطرافها المظلمة ويقبل بابها وربما أغمي عليه فلا يفيق

الأعلى صوت هذه الممثلة فالعاشق كل العاشق من نظر الى حبيبته نظرة « يوحنا » هذا الى فتاته أفيشتمل غزل المتنبي على صور مثل هذه الصورة أفكان المتنبي في غزله مثل أولئك العشاق الذين تعرض لهم الطبيعة مشاهد كثيرة فلا يحفلون الا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعون اصواتاً متباينة فلا يطر بهم الا صوت حبيبهم اظن انه يصعب على الباحث ان يجد في غزل المتنبي شيئاً من هذا كله .

نعم لم أجد في كثير من غزل ابي الطيب الا ما أجده في غزل كثير من الشعراء فاذا شبه القوام شبهه بالغصن و اذا شبه الوجه شبهه بالشمس او القمر واذا شبه الشعر شبهه بظلام الليل فمن هذا الشكل قوله :

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار ثقل ليلاً مظلماً
فالألوان في غزل المتنبي مرادة والأصوات مكررة فالصور التي صورها انما هي صور عتيقة بالنسبة الى عصرنا هذا وبالنسبة الى عصر المتنبي نفسه فأبي ابداع في تشبيه الخلد بالورد وتشبيه العين بعيون المهدي او بالسيوف :

كم فتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلي وورد الحدود
وعيون المهدي ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود

ومن هذا القبيل قوله :

من طاعني ثغر الرجال جاذر ومن السلاح دماج وخلاخل
ولذا امم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

فلم يتجسام ابو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين ولا ارتفع عن السماء التي حلق فيها هؤلاء الشعراء فلم يخل معظم غزله من الاضجار والافلاق لان هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمم الحب فالصور التي صورها انما هي صور بالية لانهز الخيلة فما مثلها الا كمثل الرماد الذي يبقى من النار الهامدة . وعلى الرغم من قوله في بعض شعره :

جهد الصباية ان تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق
لم أجد في شعره اثر السهد عينه وخفقان قلبه .

لولا ظباء عدي ما شغفت بهم ولا يبر بهم لولا جاذره

من كل احور في انيابه شنب خمر يخامرها مسك تخامر
 نهج محاجر دمع نواظره حمر غفائره سود غدائره
 فهذه نغمات كثيراً ما رددتها الشعراء قبل المتنبي وربما كانت لهم في الاجادة فيها
 نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب فقد سلك المتنبي في غزله طريقاً أكثر من سلكه
 حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز مذهبهم .

وقد تموزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اوائك العشاق المتيمين الذين
 يفتنون في عبادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب القاسية الذين
 اذا رقد احبابهم وسهروا هم في التفكير فيهم أسفوا على ابيالهم التي تقضت في هذا التفكير :
 بشس الليالي شهدت من طرب شوقاً الى من يبيت يرقدها
 فان الضنى الذي بضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي يجدها في
 هذا الضنى انما هي لذة جهل :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً لذت به جهلاً وفي اللذة الخنف
 فهنا العقل يمل عليه ولا اثر في هذه الامالي للعاطفة الزقيقة على ان له من الابهات
 ما بدل على فنائه في حبيبه :

زبدي اذى معجني ازديك هوى فأجهل الناس عاشق حاقد
 ينظر المتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب
 فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان المرء يعشق
 عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا عشق رحل عقله :
 وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل
 ومنه قوله :

الى مَ طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل
 ومنه قوله :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني أسلم
 فعقله في غزله أكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو ابن العاطفة على
 انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه :

الحب ما منع الكلام اللسانا والذ شكوى عاشق ما اعلنا
نعم هذه هي حقيقة الحب فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن المتنبي
لم يغلب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر اخلاق المرأة في
الشعر لا كمثل العاشق الذي يحب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره :

اذا غدرت حسناء وفيت بعهدا فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشد صباية وان فركت فاذهب فما فركتها قصد
وان حققت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما بضل بها الهادي ويخفى بها الرشد
فالمتنبي لم بضل باخلاق النساء .

على انه قد وردت في طائفة من غزله ابيات تكاد تلمس فيها اثر العاطفة ولست
اعني بهذه الابيات قصيدته المشهورة :

من الجاذر في زى الأعراب حمر الحلي والمطايا والجلابيب
التي قال فيها الثعالبي : وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معان كلا
ولست اعني بها البيتين المشهورين :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصن بها الجمالا
وضفون الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا
الذين قال فيها الثعالبي : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه
او البيتين التالين :

حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا مسن في اجسادهن النواع
ويسمين عن درة نفلدن مثله كأن الثراقي وشحت بالمامم
او غير هذه الابيات كلها من ابيات المتنبي الحسنة في الغزل كلا اني لا اشير
الى هذا كله لان هذا الشعر كله لا يخلو من اثر الصنعة فهو حسن بلا شك ولكنه قليل
النصيب من العاطفة وانما أر بد بالابيات التي تشتمل على العاطفة قوله :

أحبه والهوى وأدوره وكل حب صباية ووله
هذه هي روح العشاق وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب فالعاشق

يجب كل شيء من أجل خبيبه ، فهو يحب خبيبه ويحب الهوى ويحب دار الحبيب
و يقسم بالهوى و بدار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب العقل ومن هذا الشكل
قوله :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امرئ ناعل
ومنه قوله :

وكيف النذاذي بالاصائل والضمي اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا
ومنه :

اذا كان شيم الروح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول
ومنه :

فليتها لا تزال آوبة وليته لا يزال مأواها
نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الابیات قليلة
في شعر المتنبي ، فلم يكن أبو الطيب من اصحاب النسيب الخالد .
فاذا لم يخلد نسب المتنبي ، أفتخلد مراثيه ، أفكان أبو الطيب في هذه المراثي شجرة
الاختراع وثمره الابداع ، فلننظر في هذا كله .

ما اظن المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاري فيتبين له في تضاعيفه
اثر اللوعة والحرقه ، او كرامة الميت ومبلغ تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من
الكلام على أخلاقه وخصائصه ، فأقبح المراثي هذه القصائد التي لا نرى فيها الا صوراً
عامه تصلح لكل رجل يسكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشمل
على الغلو في كل شيء حتى أصبحت مدعاة الى الضحك بدلاً من ان تكون مجلبة للدمع ،
فما هي خصائص مراثي المتنبي ؟

رثى أبو الطيب محمد بن اسحق التميمي ورثى جدته التي كانت يحبها حباً جما ورثى
والده سيف الدولة وابنه ابا العجاء عبد الله وعبداه بكاء واخته الصغرى واخته الكبرى
وابا وائل تغلب بن داود حمدان وابا شجاع فانكأ وعمه عضد الدولة .

تختلف المراثي في عظم شأنها وحقارتها على اختلاف موضوعاتها فاذا كانت المراثي
جليلاً استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه تليلاً وتختلف العواطف فيها على قدر اتصال

الشاعر المراثي ، ولقد رثى أبو الطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرهم ورثى من يتصل بها بحكم الاتصال وهي جدته فلننظر الى دموعه في هذه المراثي .

أرخي أبو الطيب في طائفة من مراثيه زمام الخيال فجمع به هذا الخيال حتى بلغ به أفاقاً مشتركاً يسرح فيه كثير من الشعراء وكانت هذا الامر في مستقبل عمره اي في الوقت الذي لم يشقف فيه خياله كل الثقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم ينزعون في فاتحة الامر الى التقليد ولكنهم اذا كانوا من اصحاب العبقرية لا يلبثون ان يخرجوا من هذا التقليد الى الابداع وهكذا كان المتنبي في اول رثائه كرتائه للتنوخي :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى رضوى على ايدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات مومي يوم دك الطور
والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تعكاد قمر
وحفيف أجنحة الملائكة حوله وعبوث اهل اللاذنية صور
لجأ الى الفلوس في وصف الخطب وهذا مذهب كثير من لجأ اليه من الشعراء فلم يكن لأبي الطيب فيه اجادة او احسان ففي استطاعة الشاعر ان يقول هذه الأبيات في كل رجل يموت فليس لها طابع خاص ودواو ين العرب مشتملة على كثير من اشباه هذه المعاني العامة .

ولئن لم يكن لمراثية أبي الطيب في التنوخي طابع خاص فان في مراثيته في جدته طابعاً ظاهراً وقد اشرت الى هذه المراثية في كلامي على احساس المتنبي فلست أجد حاجة الى الدلالة على موطن من موطن العاطفة فيها فالقصيدة كلها مبلولة بدموع أبي الطيب فلم ينزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .

ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبي مجال القول ذا سعة ، ووجد لساناً قائللاً فقال :

أطاب النفس انك مت موتاً تمتشه البواق والحوالي
رواق العز فوقك مسيطر وملك علي ابنك في كمال
اي نعش اكرم من نعش يمشي الامراء فيه حفاة :

مشى الامراء حوليها حفاة كأن المروء من زيف الرئال
وابرزت الخسود مخبات يضعن النفس امكنة الفوالي
انتهن المصيبة غافلات فدفع الحزن في دمع الدلال
لقد استنزل ابو الطيب جلاله وحجبه من جلاله الميت فظهرت آثار العظمة على شعره .

وكذلك فقد استطاع ان يطبع بكاءه على ابن سيف الدولة بطابع خاص :
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل . وهذا الذي يضي كذاك الذي يبلي
كأنك أبصرت الذي بي وخفته اذا عشت فاخترت الحمام على الثكل
تركت حدود الغايات وفوقها دموع تذيب الحسن في الاعين النجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده وقد قطرت حمراً على الشعر الجمل
فان تك في قبر فانك في الحشا وان تك طفلاً فالأسمى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكي على قدر سنه ولكن على قدر الخيلة والاصل
ولما بكى المتنبي على اخت سيف الدولة الصغرى كان عقله قد اختمر فنظر الى
الحياة نظراً صحيحاً ومنزج الفلسفة بالشعر فجاءت نظراته صادقة فيها تجربة الفيلسوف
وقال الشاعر :

ولديذ الحياة أنفـس في النفس وأشـمى من ان يمل واحلي
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولياً عن المروء وأى
ابداً تسترد ما نهب الدنيا فيما ليت جودها كان بخلا
فكفت كوث فرحة تورث الغم وخل يغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا نتم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلي
شيم الغايات فيها فما أدري لذا أنث الناس اسمها ام لا
ولم يكن بكاءه على اخت سيف لدولة الكبرى باقل من بكائه على اخته الصغرى
ففي هذه المراثية أجري قلمه في وصف المصيبة فكادت المصيبة تتكلم :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
 حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
 تعثرت به في الأنواء ألسنها والبرد في الطرق والاقلام في الكتب
 ثم أفاض في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وألف بين هذا الكلام وبين
 صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم يبق له طمع
 في العودة اليه :

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتي الفتيات في حلب
 يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
 بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصا والادب
 ومن مضت غير موروث خلائقها وان مضت يدها موروثه النشب
 ومهما في العلى والمجد ناشئة وهم اثرايها في اللهو واللعب
 يعلم حين تميتا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب
 هذا هو الرثاء لا تلك النور الجامدة التي صورها في رثاء التنوخي فان مرثيته من
 بعد مرثية التنوخي طبعت بفرط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وصدق النظر في
 الحياة وقد لجأ الى النظرات الفلسفية في رثائه فمرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
 ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
 ابن الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصراع
 لتخلف الآثار عن اصحابها حيناً و يدركها الفناء فتتبع
 ومرة كان يتوسع فيها :

لا يد للإنسان من ضجعة لا ثقل المضجع عن جنبه
 ينسى بها ما كان من عجيبة وما أذلق الموت من كربه
 نحن ينو الموتى فما بالنا نعانف ما لا يد من شره
 نجل أبدنا بارواحنا على زمان هي من كسبه
 فهذه الارواح من أجواء وهذه الاجسام من تره

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي بسببه لم يسبه
 لم يُر قرن الشمس في شرقه فشكت الانفس في غربه
 يموت راعي الضان في جهله ميتة جالينوس في طبه
 وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سره
 وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه
 فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفى من رعبه

هذه جملة القول في مرثيته فاذا كان لما طابع خاص فما هذا الطابع الا جلالة الشأن
 ولئن قلنا ابو الطيب في تنسيبه ومشى فيه على آثار غيره فقد ابدع في مرثيته
 « للبحث صلة »



جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة وانخبار المذاكرة »

٩

حدثنا ابو الحسن قال حدثني ابي قال رأيت بالهند قوماً يقال لهم الجبارية
ياكلون الميتة ويقذروهم جميع الهند عندهم انهم اذا ماسوهم نجسوا قال فهم
يمشون وفي اعناقهم طبول يطبلون بها ليسمع اصواتهم فيتنجحون عن طريقهم
فاذا لم يتنجح الرجل عند سماع الطبل فلا شيء على الجباري وان لم يضرب
الجباري الطبل حتى يلاصق جسده جسد غيره قتله الذي يلتصق جسده به
ولا يمدى عليه لان هذا من شرطهم وسنتهم. قال ولا يشرب احد من ماء
هو لاء الجبارية ولا يأكل من طعامهم ولا يخالطهم فهم ينزلون في ظاهر
البلد ناحية. قال وهم ارحى الناس ومعاشرهم من الصيد. قال وهناك قوم يقال
لهم البابوانية يجرون مجرى المستقفين هاهنا والسلطان يطلبهم فاذا وقعوا في
يده وظفر بهم فعمل بهم كما يفعل بالاصوص والمارين قال وهم يصطادون
الناس لا يعرضون لغير ذلك قال والواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون
اليهم من المسلمين والذمة فاذا رأى الواحد من التجار في طريق خال قبض
عليه فحين يقبض عليه قد علم التاجر بامرهم فيسكت لانه ان استغاث او نطق
قتله الهندي وقتل نفسه في الحال لا يتألم لذلك لاعتقادهم المشهور في القتل
قال ويراهم الناس وقد اصطادوا الرجل فلا يعرضون لخلاصه لئلا يقتله ويقول

لهم الرجل الله الله ان عارضتموه فلا يمكن سلطاناً ولا غيره انتزاعه من يده
في تلك الحال لثلاثا يعجل بقتله قال فاخبرني رجل من الهند ان رجلاً من
البابوانية قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار فقال له
اشتر نفسك فتوافقا على ان يشتري نفسه منه بالف درهم فقال له التاجر تعلم اني
خرجت ولا شيء معي ومالي في البلد فتصير معي الى داري في البلد لاؤدي
ذلك اليك قال فأجابه وقبض على يده و لم يزل يمشي معه حتى اجتازا في
طريقهما بقريّة الجبارية طريقتهما في سكة منها فسلكاها فحين حصلوا فيها وطن
التاجر الحيلة في الخلاص وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية فلم يزل
يمشي معه حتى رأى باباً مفتوحاً من دور الجبارية ف جذب يده بحمّة شديدة
من يد البابواني وسمى فدخل دار الجباري فقال له مالك قال انا مستجير بك
من يد بابواني اصطادني وتعميت منه قال لا بأس عليك فاجلس فصاح
البابواني يا جباري يا جباري اخرج اليّ قال وهم لا يدخلون دور الجبارية
لاستقذارهم اياهم قال فيخرج ووقف وبينهما عرض الطريق لانه لا يجوز
لاحدهما ان يدنو من صاحبه فقال له البابواني اعطني صاحبي قال قد استجار
بي فبه لي قال لا افعل هذا رزقي فان لم تعطينه لم ندع جبارياً حتى قتلناه قال
فطال الكلام بينهما الى ان قال الجباري اسلمه اليك في الصحراء فامض براً
تسبقه الى الموضع القلاني قال فمضى ودخل الرجل عليّ وقال لي اخرج
لا بأس عليك فخرج معه واخذ الجباري قوسه وخمسين نشابة قال وسياتهم
من القصب قال فعلق المسلم بكم الجباري ولصق به علماً منه بأن البابواني

لا يدنو منه فلما صار الى الصحراء قال له الجباري تهبه واجتهد به فلم يفعل
قال فاني لا اسلمه او لا يبقى معي سلاح قال شأنك قال وهم لا يخطئون البتة في
الرمي ففوق نحوه سهمه فحين اطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه فاعترض
السهم باثنين (١) فقطعه باثنين وسلم منه فتحير الجباري قال فلم يزل يرميه
بنشابة نشابة ويفعل بها البابواني مثل ذلك الى ان ذهب النشاب ولم يبق منه
الا نشابتان فضعفت نفس التاجر وايقن بالهلاك وقال للجباري الله الله في دمي
قال فقال له البابواني لا يقع لك انك قد افلت ثم اخذ سهماً فقال له الجباري
لا تقدر على ذلك وسأريك من رمي (٢) ما تحدث به ابداً انظر الى هذا
الطائر الذي يطير في السماء فاني أرميه فأصرعه على رأسك ثم أرميك فلا
اخطئك قال فشال البابواني رأسه ينظر الى الطير فرماه الجباري فاصاب
فؤاده فخر صريعاً يضطرب ومات وقال للتاجر ارجع الآن آمناً فرجع الى
داره واقام عندهم الى ان اجتاز بهم صحبة رجل معها الى مأمنه.

حدثنا ابو الحسن (٣) قال حدثني رجل من اهل دار الزبير بالبصرة
دقاق قال اورد علي رجل غريب سفتجة باجل فكان يتردد الى ان حلت ثم
قال ادعها عندك وأخذها متفرقة فكان يجيء في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته
الى ان نفدت وصارت بيننا معرفة والى الف الجلوس عندي والنسب به وكان يراني
اخرج كيس من صندوق لي فاعطى منه النفقات التي تحمل علي فقال لي

(١) م. ع. كذا في الاصل ولعله فاعترض السهم بالشئ فقطعه اثنين. «٢» بالاصل
دمي «٣» الفرج بعد الشدة ٢ : ١١٠ كتاب الاذكياء.

يوماً أن قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينبغي الظنة عن عياله فإن لم يكن وثيقاً تطرقت الجبل عليه وارى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لا تناع مثله لنفسه فقلت من فلان القفال في خانات (١) الصفارين قال فما شعرت الا وقد جئت وطلبت صندوقاً لا أخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل اليّ ففتحتّه فاذا ليس فيه شيء من الدراهم فقلت الغلامى وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرايات شيئاً فقال لا فقلت ففتش هل ترى في لدكان نقباً ففتش فقال لا فقلت فمن السقف حيلة فقال لا فقلت اعلم ان دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكت واقمت في دكاني لأدري ما اعمل فتأخر عني الرجل فلما تأخر لهنمته وتذكرت مسأله لي عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح لدكان وتعلقه فقال رسمي اذا اغلقت الدكان اغلقه درابتين درابتين والدرايات في المسجد احملها دفعت اثنتين وثلاثاً في كل دفعة فاشرجها ثم اقفل وكذا افتحها فقلت البارحة واليوم كذا فعلت فقال نعم فقلت فاذا مضيت لتر الدرايات او تحضر بها على من تدع الدكان قال خالياً فقلت فمن هاهنا وقع الشر ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك انسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم وحكى عن صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه جاء واختبأ للغلام (٢) وقت المساء حتى اذا انصرفت انا ومضى وهو يحمل

«١» بالاصل حوانات. «٢» عبارة الفرج اوضح : احتال على الغلام وقت المساء لما

انصرفت انا وذهب الغلام يحمل الدرايات

الدوابات دخل الدكان فاخترت فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه الذي يقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليلة خلف الدوابات فلما جاء الغلام وفتح درابتين او ثلاث وحملها ليدفعها خرج هو وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد قال فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سأل عني فعرفه اني خرجت الى ضيعتي قال وخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية (١) طلبت خاناً في الجسر (٢) انزله فارشدت اليه فصعدت واذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله فقال رجل قدم من البصرة اول امس فقلت اي شيء صفته فوصف صفة صاحبي فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكثرته بيتاً الى جنبه ورصدت البيت حتى انصرف القيم وقت ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه ملقى فيه فاخذته وخرجت وقفلت البيت وتركته ونزلت الى السفينة التي جثت فيها وارغبت الملاح في زيادة أخرى (٣) حتى حماني وانحدرت في الحال وما اقيمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى البصرة بمالي.

حدثنا ابو الحسين حدثني رجل من اهل بغداد ان بعض من تاب من اللصوصية حدثه قتل كان في الناحية الفلانية صير في كثير المال يطلبه اللصوص فلا يتم عليه حيلة ولا يقدر على ما قال فتواطأ عليه جماعة لصوص كنت احدهم فقالوا كيف نعمل في دخول داره فقلت اما الدخول فعلي انكم واما ما بعد

١٥ م . ع السميرية ضرب من السفن . ٢٤ . في الفرج : في الكتبيين . ٣٥ . لعله : اجزته

ذلك فلا اضمنه فقالوا فما نريد الا الدخول قال فجئت وهم معي عشاء فقلت
 لواحد منهم (١) فتصدق فاذا خرجت الجارية اليك بشيء فتباعد وتعام عليهم-
 لتجنيء اليك تعطيك الصدقة وكن على خطا من الباب لا دخل انا وهي متشاغلة
 معك قد بعدت عن الباب فلا تراني الى ان ادخل فاخترنيء قال ففعل ذلك
 وحصلت محتبئاً في مستراح في الدهليز فلما عادت الجارية قال لها (سيدها)
 قد احتبست قالت (٢) حتى اعطيت السائل الصدقة قال ليس هذا قدر دفعك
 اليه قالت لم يكن على الباب فالحقته في الطريق واعطيته فقالوكم خطوة
 مشيت من الباب قالت خطا كثيرة قال لعنك الله اخطأت علي قد حصل
 ممي في الدار لص لا اشك فيه قال فحين سمعت هذا قامت قيامتي وتحيرت
 فقال لها ات القفل فجاءته به فجاء الى باب دهليز الدار والصحن بعد (٣) باب
 الدار فقفله من عنده ثم قال لها دعني اللص الآن يعمل ما يشاء قال فلما انتصف
 الليل جاء اصحابي فصفروا على الباب ففتحت لهم باب الدار فدخلوا الدهليز
 واخبرتهم بالخبر فقالوا ننقب العتبة ونخرج الى الصحن ونقبوا فلما فرغوا قالوا
 ادخل معنا فقلت نفسي قد نبت عن هذا الرجل واحسست بشر وما ادخل
 البتة فاجتهدوا بي فقالوا لا نعطيك شيئاً فقلت قد رضيت فدخلوا فحين حصلوا
 في الصحن وانا في الدهليز اتسمع عليهم مشوا فيه فاذا للمولى زية في اكثر
 الصحن محيطة به يمرقها هو وعياله فيتقون المشي عليها ليلاً ونهاراً وهي
 منصوبة للحفظ من هذا وشبهه وعليها بارية من فوق خشب رقيق جداً فحين

(١) لعله سقط : دق الباب. (٢) بالاصل قال. (٣) لعله سقط : قفل.

حصلوا عليها سقطوا اليها فاذا هي عميقة جداً لا يمكن الصعود منها فسمع المولى صوت سقوطهم فصاح وقع هو لاء وقام هو وجارته يصفقون ويرقصون وتناولوا حجارة معدة لهم فازالوا يشدخون رؤسهم وابدانهم بها واصحابي يصيحون وانا حمد الله على السلامة الى ان اتلفهم (١) وهربت انا من الدهليز ولم اعرف لاصحابي خبراً كيف دفنوا او كيف اخرجوا فكان ذلك سبب توبتي من اللصوصية.

حدثني ابو الحسين قال حدثني رجل من البغداديين قال كنت اتحدثاً حسن الوجه فلما اتصلت لحيتي وهي طرية بعد (٢) طلبت التصرف فكتب لي الى ابي احمد النعمان ابن عبيد الله فلقيته في عمله فاكرمني وبالغ في بري وامرني بالجلوس فجلست وكلما اردت القيام احتبسني الى ان لم يبق عنده احد الا خواصه ثم احضر المائدة فاكلنا فلما فرغنا قمت لاغسل يدي فخلف ان لا اغسلها الا بحضرتة فغسلتها وقت فقال الى ابن فقلت الى منزلي فقال انت هاهنا غريب ولعلك في خان فقلت هو كذلك فقال وموضعنا اطيب وهو خير وخيشنا بارد فاقم عندنا فقات السمع والطاعة ولم اعرف ما في نفسه فدخلت الخيش فلما حصلت عنده فيه جمل يستدنيني ولا اعلم غرضه الى ان صرت بقربه فضرب يده يولع بي فعلمت ان شيرطه في اللواط اصحاب اللحي البطرية فصب علي ما تم من ذلك وقلت كيف اصنع ليس الا البطايب قال فقات له يا سيدي اي شيء تريد قال اريد ان افعل كذا وكذا

فقلت ياسيدي براءتي ممي وقبضت على لحيتي قال لا تفعل هذه براءة مزورة
قلت كيف؟ قال لاني ما وقعت فيها بقلمني

النشدي ابوطاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

... هات اسقنيها جموح البرق ما زجت

الا لتسير سقلاطونها فينا

اذا لواعب اذروا بها غلبت

بجلائر سناها زهر (١) نسرينا

اريدني الناس ذر الشمس (٢) اذ رققت

والماء يعرف في نار كما شينا

والنشدني لنفسه من ابيات:

ما اكثر الشعراء مذ قتل الندي

والشعر اعوز من دموع الارقم

والنشدني لنفسه قصيدة يمدح بها ابا الحسن عمراز ابن شاهين امير

البطيحة وفيها (ذكر) المحدثي (٣) الذي يقاتل به هو واصحابه وهو شبيه

الحراب يقول:-

يسي النفوس جراب ما ادرت بها

كاس المنية الابرحت اذا طرب

تظال من فضة حتى اذا وردت اصدرتها من دم الا بطل من ذهب

من كل مقلية (١) الجنين ماضية قدت من الشمس اوقدت من اللهب
انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال انشدني ابو اسحاق
ابراهيم بن هليل (٢) الصابي الكاتب لنفسه :

تورد دمي فاستوى ومدامتي وفي (٣) مثل ما في السكاس عيني تسكب
فوالله ما ادري اباخر أسكت (٤) جفوني ام من دمع عيني أشرب
وانشدني قال انشدني لنفسه (٥) :

مازلت في سكري المع كفها وذراعها بالقرص والابار (٦)
حتى تركت اديمها وكأما غرس البنفسج منه في الجمار
قال وانشدني لنفسه (٧) :

فديت من شارفي لحظها (٨) من خيفة الناس بتسليمته
لما رأته بدر الدجى زاهياً (٩) وفاظها ذلك من شيمته
سرت له البرقع عن وجهها فردت البدر الى قيمته
وانشدني قال قرأت على ظهر دفتر:

كنا نرورك والدار دانية في كل وقت فلما شطت الدار
صرنا نقدر وقتاً في زيارتك وليس للشوق في الاحشاء مقدار

«١» م . ع . لعلها مجلية لغة في مجلوة . «٢» م . ع . المشهور هلال . «٣» م . ع . المعروف
فن مثل ما في . «٤» م . ع . المعروف : اسبلت . «٥» معجم الادباء ١ : ٣٥٦ «٦» م . ع .
في معجم الادباء والآثار . «٧» معجم الادباء ١ : ٣٤٨ . «٨» م . ع . كذا في الاصل
ولعل صوابه سارقي لحظها . وفي معجم الادباء لاحظني طرفها . «٩» م . ع . في معجم الادباء
تأهها .

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان الطيب قال كان عندنا بالبصرة في
 بیمارستان رجل موسوس يعرف بالحسن بن عون من اولاد الكتاب حبس
 في بیمارستان للعلاج في سنة ٣٤٢ وكان حبسه سنين ثم صلح فاستخدم في
 بیمارستان الى ان تسكامل صلاحه وكنيت اخلف الى بیمارستان لتعلم
 الطب فكنيت اشاهده كثيراً فاول يوم علمت انه يقول الشعر سمعته وهو يقول :
 ادافع همي بالتعلل والصبر وامنع نفسي بالحديث عن الفكر
 وارجو غداً حتى اذا ماغد اتى يزایداني همي فيسلني صبري
 فلا اهلهم يفنيني ولا العمر يتقضي ولا فرج ياتي سوى ادمع تجري
 الى الله اشكو ما اقاسي فانه عليم باني قد تحيرت في اسري
 وعرفت حاله في ادبه بانشاده اياي كل يوم من قطعة شعره يمسها بحضرتي
 وشاهد عمل الجنجيين (١) في بیمارستان .

فقال وانشدني لنفسه:

انظر الى الورد في أكفهم يطبع (٢) للقاطنين من ورقه
 كالقلب نار الهوى تحرقه والقلب يهوى الهوى على حرقه
 وحملت اليه شيئاً من المأكول اشتهاه علي فكتب الى جانب حائط :
 حضرت من طرف ما بهشت به (٣) وقلت ياسيدي ومولاي

«١» م.ع الجنجيين معجون يعمل من الورد والعسل فارسي مركب من «كل» اي ورد
 و«انجيين» اي عسل «٢» لعله يضيع يعني يضيع . م.ع اطاع يطبع اي لم يمتنع على
 قاطفه ولم نجد ما يستأنس به ليجي يضيع بمعنى يضيع الا تضيع بمعنى يضيع . «٣» م.ع لعل اصله
 حضرت من طرف ما بهشت به . اي عيت وعجزت عن الثناء بسبب ظرافته وحسن ما بهشت به .

لو ان اعضاء شاكرك نطقت بالشكر اثنت عليك اعضاءي
ما تفتت للكرام كلهم و يا صباحي كمثل ممساي
لو ان مابي يبعض اعداي بكيت مما اري باعداي

حدثنا القاضي ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين انه بلغه عن رجل قليل
العشيرة (١) ردي الدين كان يجمع بين زوجته وبين اهل الفساد في منزله قال
عشق امرأته رجل وكان مفتناً (٢) عليها في منزله واحلفها بحضرتها انها لا
تطاول زوجها على الجماع قال وكانا ليلة على شأهما في اسفل الدار التي للزوج
فصعدت المرأة الى السطح هناك واحتسبت فلما جاءت خاصمها العشيق وقال
لعله فعل بك زوجك كذا فقالت وحلفت انه ما جرى من ذلك شي وسمع
الزوج الكلام فقام يصلي في السطح ويصيح الله اكبر ليسمع العشيق
ويعلمه انه لم يكن يصلي وهو جنب حتى يصلح بينه وبين المرأة بذلك .

وهذا ضد ما حدثني به ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي ان امرأة
من اهلهم بالانبار كانت قد جازت الاربعين سنة وخرجت من بيتها الى بغداد
في محنة عرضت لها فلما حصلت في الطريق رأت جملاً يدير دولاباً فقالت
ما هذا ؟ فقيل لها دولاب الجمل فحلفت بالله انها ما رأت جملاً قط .

حدثنا ابو الحسين احمد بن محمد بن طريف المعروف باحمد الطويل قال
كتب الي ابو محمد عبد العزيز المافروخي وانا باعقل حصن مهدي والغرض

(١) م . ع الصواب قليل الغيرة . (٢) م . ع الظاهر ان اصلها ينطق عليها وهو
اقرب الى الاصل .

والاعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك وهو يتقلد البصرة يسألني اطلاق تمر له اجتاز علي ويعرض بان مكافأة ذلك لا تذهب عليه فأطلقت له التمر بلا ضريبة ولا موهنة وكتبت إليه اعابه على هذه اللفظة فكتب الي كتابا يعتذر حفظت منه قوله :

ووصل كتابك الذي أبان الله به فضلك وسهل الي سبل المكارم سبقك وفهمته فهم معجب به ومنعجب منه وسرني صدره لا لقدر الحاجة في نفسي ولا في نفسك ولكن لما انقذه من بصيرتي فيك وقواه من معرفتي بك ووجدتك وقد اضطربت من لفظة ذكرت أني ضمنتها كنتاني وهي الايضاح والتلويح بالمكافأة والتعويض ومعاذ الله ان ينطق بذلك لسانى او تجري به يدي لان مثله لا يجري الا عن ذي عطن ضيق الى ذي باع في المحامد قصير ولا هذه صورتك ولا صورتى واذا كانت النفس واحدة والاموال مشتركة فأني فائدة لي في ان اتناولك بيمض مالك او ازد اليك ما هو لك فان تكن الصورة كما يخيل لي فانت أيديك الله الملهم دوني وانت كنت بحمد الله ومنه من كلما يقع عليه اللوم بعيداً وان تكن الاخرى وهبت زلتى لمعذرتي فاني بشر غير معصوم والخطأ والنسيان جاريان علي .

انشدني ابو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال انشدنا ابو محمد المهلبى في وزارته وعمله بين ايدينا وقد نصبت له في داره بالاهواز كلة قصب وحركتها الريح فاستحسن ذلك وقال :

م : ٤

رأيت من الهوا فشئت بها اختلاس لحظ وخلت فيها وجيب قلب (١)
 وحدثني ابو الفضل قال حدثني رجل من شيوخ المتصرفين ببلدنا يقال
 له عباد بن الحريش قال لما كتب علي بن المرزبان عم أهلك (٢) لعمر و بن
 الليث ورقت حاله بعده (٣) حتى قلده عمالة شيراز صادر المتصرفين على اموال
 الزمهم اياها و كنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بشمانين الف
 درهم قال فأديت منها أربعين الف درهم ونفدت حيلتي وحالي ولم يبق لي في
 الدنيا الا داري التي اسكنها ولا قدر لشنها فيما بقي علي فلم ادر ما اعمل
 وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلاً سليم الصدر فعملت رؤيا واجمعت
 رأيي على ان القاه بها واجعلها سبباً لشكوى حالي والتوصل الى الخلاص قال
 فجلست وعملت الرؤيا وحفظتها واحتلت خمسين درهماً وبكرت من الغد
 قبل طلوع الفجر فدققت بابه (٤) وكان له يجري مجرى حاجب من
 خلف الباب من انت فقلت عباد بن الحريش قال في هذا الوقت قلت نعم
 ففتح لي فدخلت وشكوت حالي وقلت هذه خمسون درهماً لا املك غيرها
 فخذها وادخلني اليه قبل تكاثر الناس عليه فان فرج الله عني فعلت بك وصنعت
 قال فدخل واستأذن لي وتلطف حتى ادخلني اليه وهو يستاك فقال ما جاء بك في
 هذا الوقت فدعوت له وقلت بشارة رأيها في النوم البارحة فقال وما هي
 فقلت رأيك كأنك تبجي الى شيراز من حضرة الامير وتحتك فرس اشهب
 عظيم لم يرقط احسن منه وعليك السواد وقلنسوة الامير على رأسك وفي

١» كذا بالاصل . «٢» الاصح: همك . «٣» لعله عنده . «٤» يظهر انه قد سقط شيء .

يدريك خاتمه وحواليك مائة الف انسان من فارس وراجل وقد تلقاك امير
البلد فترجل لك وانت تجتاز وطريقك كله اخضر منور مزهر والناس
يقولون ان الامير قد استخلف (١) على جميع امره قال وقصصت الرؤيا
وهذا ممناها فقال خيراً رأيت وخيراً يكون انشاء الله فما تريد؟ قال فشكوت
حالي وذكرت امري فقال انظر لك بمشرين الف درهم وتؤدي عشرين
الف درهم قال فخلفت بالطلاق انه لم يبق لي الا مسكني وبكيت وقبلت يده
واضطربت بحضرته فرحمي وكتب لي الى الديوان باسقاط ذلك عني وانصرفت
ولم يمض الا شهر حتى كتب عمرو بن الليث الى علي بن المرزبان يستدعيه
ويامر به بحمل ما اجتمع له من الاموال وكان قد جمع له ما لم يسمع قط باجتماع
مثله في وقت واحد من اموال فارس فانه جمع له ستين الف الف درهم قال فحملها
الى سابور (٢) وخرج وتلقاه عمرو بن الليث بجميع قواده واهل عسكره
وهاله عظم ذلك المال فاستخلفه على فارس واعمالها حرباً وخراجاً وفوض
اليه الامور كلها واذن اليه في الحل والمقد بغير استئثار وخلع عليه سواداً له
وحمله على فرس اشهب عظيم الحلقة كان يعظمه عمرو ويكثر وكوبه ودفع
اليه خاتمه وردّه الى فارس قال فوافاني في زمن الربيع ولم يحل الحول على
قصتي معه فخرج امير البلد وقد صار من قبله ليستقبله وخرج الناس فتلقيه على
ثلاثين فرسخاً واكثر وخرجت فتلقته في مضيق على المطقة التي في طريق

(١) م . ع الظاهر استخلفه

(٢) م . ع سابور كورة بفارس

خراسان وقد ذكرها (١) وبينها وبين البلد نصف فرسخ قال فوافاني وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره وحوله أكثر من مائة ألف إنسان وعليه قلنسوة عمرو بن الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد وتحته الفرس الأشهب وقد تلقاه أمير البلد فترجل له . قال فحين رأيته ترجلت ودعوت له فلما رأيته تبسم واخذ بيدي وادنى (٢) السواد بي ثم تفرق الجيش بين يديه فلحقته الى البلد فلم استعنع القرب منه لآزدحام الدواب فانصرفت وبأكثرته من غدي مثل ذلك الوقت الذي كنت جثته ليلة الرؤيا فقال لي الحاجب من انت فقلت عباد فقال ادخل واستأذن فدخلت وهو يستاك فضحك اليّ وقال قد صحت رويالك يا عباد الحمد لله فقال لا تبرح من الدار حتى انظر في امرك قال وكان باهله بارآ ورسمه اذا ولي عملا ان لا ينظر في شيء من امر نفسه حتى ينظر في امر اهله فيصرف من يصلح منهم للتصرف او يبره واذا فرغ منهم عدل الى الاخص فالأخص من حاشيته فاذا فرغ من ذلك نظر في امر نفسه قال فجلست في الدار الى قرب العصر وهو ينظر في امر اهله والتوقيعات تخرج بالصلات والارزاق وكتب التقليدات الى ان صاح الحاجب عباد بن الحريش فقامت اليه فقال اني ما نظرت في امر احد غير امر اهلي فلما فرغت

«١» م . ع قوله وقد ذكرها . مقدم وموضعه بعد قوله الاتي في المنام الموضوع .

«٢» م . ع الظاهر ان اصلها وادنى سوادي . من قولهم وادنى سواده من سواده اي قرب شخصه من شخصه .

منهم بدأت بك قبل الناس كلهم فاحتكم ما تريد . فقلت يرد عليّ المال الذي ادّيته وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه قال فوقع لي برد المال وتقليد العمل وقال امض فقد اعز لك بالعمل فيخذ ارتفاعه كله . قال وكان يستدعيني في كل مديدة ويحاسبني ولا يأخذ مني شيئاً . أنما يكتب لي روزات (١) من مال العمل ويصلح حسابات ويقبلها ويخلدها (٢) الديوان وارجع الى العمل وكنت كذلك الى ان زالت ايامه فرجعت الى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم صودرت منه على شيء يسير وجلست في بيتي وعقدت «٣» نعمة بالمال ولم اطلب تصرفاً الى الآن .

حدثني ابر الفضل قال حدثني ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني الطيب انه رأى رقعة يتواردونها (٤) بخط جبريل بن مختيشوع المتطبب فيها ثبت ما وصل اليه من يحيى بن خالد البرمكي وبيته وجواريه واولاده من ضيعة وعقار ومال وغير ذلك يحتوي على سبعمين الف الف درهم وتفصيل ذلك شيئاً شيئاً وانهم يحفظونها للمجب والاعتبار قال فاستهولت ذلك وانصرفت فحدثت بذلك بعض الرؤساء ببغداد وكان بحضرته ابو الحسن

«١» م . ع يقال رازم روزاً اذا اختبره وجرب ما عنده والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي ومعناها بالفارسية يومي او يومية ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش والمعنى على هذا انه كان يكتب لي عطاء من مال عملي . «٢» م . ع الظاهر ان الاصل يخلدها في الديوان او يدخلها الديوان . «٣» م . ع ولعل الاصل واعتقدت عقدة بالمال والعقدة كل مال يتأثل كالضيعة والعقار . واعتقده اشتراء . «٤» م . ع يقال وازده الماء وتوارد اذا ورد معه وبين الشاعرين توارد على معنى واحد ولعلها بتواردونها .

علي بن هارون النجم فقال وأي شيء تتمجب من هذا .
حدثني ابي عن ابيه قال (١) كنت بحضرة المتوكل في يوم
مهرجان او نيروز وهو جالس والهدايا تحمل اليه من كل شيء عظيم
ظريف مليح الى ان ضربت دباب (٢) الظهر وهم بالقيام فدخل بنخيشوع
الطبيب وهو ابن جبريل بن بنخيشوع الا كبر فحين رآه المتوكل استدناه
جيداً حتى صار مع سريره واخذ يمازحه ويلاعبه ويقول ان هدية اليوم فقال
له بنخيشوع يا امير المؤمنين انا رجل نصراني لا اعرف هذا اليوم فاهدي
فيه فقال دع هذا عنك ما تأخرت الى الآن الا انك اردت ان تكون
هديتك أخير الهدايا فيوري (٣) فضلها على الهدايا فقال ما فكرت في هذا
ولا حملت شيئاً فقال له بحياتي عليك . فضرب يده الى كمه فاخرج منه مثل
الدواة معمولاً من عود هندي لم ير قط مثله كالابنوس سواداً وعليه حلية
ذهب محرق (٤) لم ير قط احسن منها عملاً ولا من الدواة قال فقدر المتوكل
ان الهدية هي الدواة فاستحسنها فقال لا تمجل يا مولاي حتى ترى ما فيها
ففتحها واخرج من داخلها ملعقة كبيرة محرق من ياقوت احمر قال فخطفت
ابصارنا ودهشنا وتحيرنا فبهت المتوكل والمس «٥» وسكت ساعة متعجباً
منكرأثم قال يا بنخيشوع والله ما رأيت لنفسي ولا في خزانتي ولا في خزان

«١» راجع عبون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤٣ «٢» م . ع الدباب
حكاية صوت دب دب والدباب الطبل ودبب ضرب به ويحتمل ان يكون جمع دباب .
«٣» يريد فيري وهي لغة العامة . م . ع : الظاهر فيدري فضلها . «٤» يقال حرقه بالمبرد
اذا برده وحك بعضه ببعض كحرقه . «٥» م . ع ابلس تحير ودهش وسكت غماً .

ابائي ولا سمعت ولا بلغني انه كان للملوك من بني امية ولا للملوك المعجم
 مثلها فمن اين لك هذه ؟ فقال الناس لا يطالبون بمثل هذا وقد اهديت
 اليك ما قد اعترفت بانك لم تر ولم تسمع بمثله حسناً فليس لك مسألتني عن
 غيره . قال بحياتي اخبرني فأمتنع . الى ان كرر عليه احلافه بحياته دفعات
 وهو يمتنع فقال ويحك احلفك بحياتي دفعات ان تحدثني حديثاً فتمتنع وقد
 بذلت لي ما هو اجل من كل شيء قال فقال له نعم يا مولاي كنت حديثاً
 اصحب ابي جبريل بن بخنيشوع الى دور البرامكة وهو اذ ذاك طيبهم
 لا يعرفون خدمة طيب غيره ولا يثقون برأي غيره ويدخل الى حرمهم ولا
 يستتر اكثرهم عنه . قال فصحبته يوماً وقد دخل الى يحيى بن خالد فلما خرج
 من عنده عدل به الخادم الى حجرة دنانير جاريتها فدخلت معه وافضينا الى
 ستارة منصوبة في صدر مجلس عظيم وخلفها الجارية فشكت اليه شيئاً وجدته
 فاشار عليه بالفصد وكان لا يفصد يده وانما يحمل معه من يفصد من تلامذته
 ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار قال فندبني ذلك اليوم للفصد واخرجت
 يدها من وراء الستارة فقصدتها وحملت الي في الحال خمسمائة دينار عيناً
 واخذتها وجلس ابي الى ان يحمل اليها شراب تشربه بحضرته وورمان اشار
 عليها باستعماله قال فعحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة وتناولت منه ما ارادت
 وخرج الظرف مكشوفاً فرآه ابي فقال للخادم قدمه الي فقدمه اليه فكان
 في جملة جامه فيها رمان وفيها هذه المعلقة فحين راها ابي قال والله ما رأيت
 مثل هذه المعلقة ولا الجامة قال فقالت له دنانير بحياتي عليك يا جبريل خذها

قال ففعل وقام ينصرف فقالت له تمضي فني اي شي^١ تدع هذه الملعقة قال لا ادري قالت أهدي اليك غلافها فقال ان تفضل^٢ «١» فقالت هاتم «٢» تلك الدواة فجاءوا بهذه الدواة فوضع ابي فيها الملعقة وحمّلها والجامعة في كفه وانصرفنا . فقال له المتوكل جامعة تكون هذه ملمقتها يجب ان تكون عظيمة القدر فبحياتي ما كان من الجامعة ؟ فاضطرب وامتنع امتناعاً عظيماً الى ان احلقه مراراً بحياته فقال اعلم اذا قلت اي شي^٣ كانت طالبتني بها فدعني امضي واجيء بها واتخلص منك دفعة واحدة فقال افعل قال ومضى فلم يهن المتوكل الجلوس ولم يأخذه القرار حتى جاء بختيشوع^٣ واخرج من كفه جامعة على قدر الزبدية او الجامعة اللطيفة من ياقوت اصفر فوضعها بين يديه .

والبحث صلة.

«١» كذا بالاصل يريد تفضلي . «٢» م . ع : لم نجد هاتم والمعروف هاتوا «٣» كذا بالاصل والمراد جبرئيل

رسالة الكرم

- ٤ -

«مقاربة الأثمار وبواكيره»

في المخصص إذا قارب الشجر أن يثمر فإنه يقال له المليم وفي اللسان في أرض فلان من الشجر المليم كذا وكذا وهو الذي قارب أن يحمل . ويقال أحنط الشجر والعشب وحنط يحنط حنوطاً إذا أدرك ثمره .

الاصمعي ونقول أنه لتحويل وربما حول العنب إذا ما أثر في عام وأحال في الآخر . وفي المخصص وإذا لم تحمل الشجرة عاماً بعد أن كانت تحمل قبل اخلفت وحالت تحول حبالاً وهي شجرة حائل في شجر حوائل فإذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً فقد عاومت . وفي مبادي اللغة وشجر واعد مرجو الثمر . وحائل لم تحمل سنتها .

وعوتم الكرم نوعياً إذا أكثر حمله عاماً وقل آخر . وعنب معوتم إذا حمل عاماً ولم يحمل عاماً . كذا في اللسان والتاج . وفي الاصمعي . وعنب معوتم إذا ما حمل عاماً وقل حمله عاماً وفي مبادي اللغة ويقال شجرة معاومة وكرم معاوم إذا حملت سنة ولم تحمل أخرى .

البكر الكرم الذي حمل أول مرة ^(١) والجمع ابكار قال النوردي :
إذا من ساقطن الحديث كأنه جنى النخل أو ابكار كرم نقطف
أراد الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

وفي المخصص . وإذا عجلت الشجرة بالأثمار وبالينم قيل بكراً وأبكرت وبكورت
تبكر بكوراً وهي بكور وجمعها بكور وإذا كان ذلك عادتاً فهي مبكار والثمرة باكورة
ثم قال وإذا أخرت فهي مشخار . والبباكورة أول ما يدرك من الثمر . وفي المصباح
باكورة الفاكهة أول ما يدرك منها واشكرت الفاكهة اكلت باكورتها . قال أبو حاتم :
الباكورة من كل فاكهة ما عجل الأخراج والجمع البواكير والباكورات . وفي اللسان

(١) وفي اللسان الذي حمل أول جملة .

والباكور من كل شيء المعجل المحي والادراك والائتي باكورة . وابتكار الرجل اكل
 باكورة الفاكة . واول كل شيء باكوره . وفي اللسان وتسرع الكرم بسوقه غرة
 وغرة الكرم سرعة بسوقه . وغرة النبات رأسه وغرة كل شيء اوله واكرمه .
 الملاق والملاق . معلق من عنب ولحم وغيره كذا في اللسان . وفي التاج
 وفي بينه معاليق التمر والعنب جمع معلق وفيه ايضا وكل معلق به شيء فهو معلقه .
 ويقال انما الكرم . فضل ثلثه وأكل ثلثاه .

« حب العنب وثمره »

الحب اسم جنس للمنطقة وغيرها مما يكون في السنب والاكمام جمعه حبوب كفلس
 وفلس وواحدته حبة وتجمع على حبات على لفظها وعلى حباب ككلبة وكلاب . وفي
 اللسان والحب الزرع صغيراً كان او كبيراً واحدته حبة والحب معروف مستعمل في اشياء
 حبة . حبة من بر . وحبة من شعير حتى يقولوا حبة من عنب والحبة من الشعير والبر
 ونحوهما والجمع احبات وحب وحبوب وحبات والاخيرة نادرة . وفيه ايضا والخيرة
 يزور البقل والرياحين ويزر كل نبات يثبت وحده من غير ان يبذر . وفي التاج الحبة
 بالضم عجم العنب وقد يخفف فيقال الحبة كثة وسيأتي .

وفيه ايضا والحبة كثة حبة العنب وقيل هي العنب اول ما ينبت من الحب ما لم
 يفرس جمعه حبي كهدي .

الأصمعي اول ما يخرج من العنب نسيجه ثمرأ . وفي القاموس الثمر محرقة حمل الشجر
 ثم قال والواحدة ثمرة وثمره كثره^(١) . وفي المصباح الثمر بفتحين والثمرة مثله
 فالاول مذكر ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع الثمار على ثمر^(٢) مثل كتاب
 وكتب ثم يجمع نلى أثمار مثل عنق وأعناق . والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة
 وقصبات . والتمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل او لا فيقال ثمر الاراك وثمر
 العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب . قال الازهرى وأثمر الشجر

(١) جمعها ثمر كثر ولا تكسر لقلة فعلة في كلامهم .

(٢) في لسان وقد يجوز ان يكون الثمر جمع ثمرة كخشبة وخشب .

أطلع ثمره أول ما يخرج منه فهو مثمر . وفي اللسان والذئمار كالمثر . وفيه وثمر الشجر وأثمر صار فيه الثمر وقيل الثامر الذي بلغ أدان أن يثمر والمثر الذي فيه ثمر . وشجر ثامر إذا أدرك ثمره وشجرة ثراء ذات ثمر .

وتحار النباتات نفص نوره وعقد حبه . وقال ابن الاعرابي أثمر الشجر إذا طلع ثمره قبل أن ينضج فهو مثمر .

الحامل ثمر الشجرة والكبير لغة فيه . وقيل الحمل بالكسر ما ظهر من ثمر الشجر والحمل بالفتح ما بطن منه كأنه ذهب به إلى ما تحمله المرأة في البطن . وحملت المرأة والشجرة علق . وشجر حامل . وفي التاج شجرة حاملة ذات حمل . وفي المخصص الحامل منها المطعم . وفي المصباح حملت الشجرة حملاً أخرجت ثمرتها فالثمرة حمل تسمية بالمصدر وهي حامل وحاملة .

وأطعمت الشجرة أثمرت وأطعمت الثمرة أدركت أي حسارت ذات طعم وأطعمت الشجرة أدرك ثمرها^(١) وشجر مطعم مثمر يؤكل ثمره والطعم بالفتح الأكل وما يؤديه الذوق من حلاوة وحموضة ونحوهما . وما يشتهي من الطعام .

والطعم بالضم الطعام . والحب الذي يلقي للطير .
الأكل الثمر يقال أكل بستانك دائم وكل ما يؤكل فهو أكل وآكلت الشجرة أطعمت وآكل النخل والزرع وكل شيء إذا أطم وأكل الشجرة جناها .

« العنب وحبه »

العنب والعنباء^(٢) بالمد ثمر الكرم واحدته عنب . وقال الجوهري فان جمعه في أدنى العدد جمعه بالهاء فقلت عنبات وفي الكثير عنب وأعناب . وقد عنب الكرم

(١) وأطعمت الشجرة على افتعلت أدركت ثمرتها يعني اخذت طعاماً وظابت .

(٢) قال الشاعر :

طعمين أحياناً وحيناً تسقين العنباء المنقى والنين

كأنها من ثمر البساتين لا عيب إلا أنهن يلهين

عن لذة الدنيا وعن بعض الدين

نعنباً • والعناب كشداد بائع العنب ورجل عانب ذو عنب • والعنب الخمر كما ان الخمر العنب في بعض اللغات • قال في المخصص العرب تسمي العنب خمرأ والخمر عنباً • قيل ومن الاول قوله تعالى : (اني اراني أعصر خمرأ) اي عنباً • ونقل ابن رجلاً رأى يمانياً قد حمل عنباً فقال ما تحمل فقال خمرأ فسمي العنب خمرأ وقيل انها لغة يمانية ومن الثاني قول الراعي :

ينازعني بها نذمان صدق شواء الطير والعنب الحقينا^(١)

فقد أراد الخمر • ويقال عنب خمرى يصلح للخمر •

الجنى للعنب قال الشاعر : (حب الجنى من دُرع نزول)

يريد ما شرع من الكرم في الماء وكل ما يجنى فهو جنى وجناة وجمع الجنى أجنى وقد يجمع على أجنساء • وأكثر ما يستعمل الجنى فيما كان غصاً • ويقال أجنى العنب وأجنى السكرم اذا خرج جناءه وأجنى الثمر أدرك وأجنى الشجر صار له جنى يجنى فيؤكل • وثمر جنى كغني جنى من يباعته وقيل الجني الثمر المجنى مادام طرياً وجنى الثمر ونحوها وتجنأها واجتنأها نساؤها من شجرتها • ويقال عأل الرجل تعليلاً اذا جنى الثمرة مرة بعد أخرى فهو معال كمحدث وفعله التعليل •

الْفُطْر بالكسر والغم العنب^(٢) اذا بدت رؤوسه لان القضببان تنفطر عنه •

البرم بفتحين حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر او فوفة • وقد أبرم الكرم •

المرجود كزبور اول ما يخرج من العنب كالنأيل •

الجذرة محرقة حب العنب وذلك بعد البرم حين يصير كالجذرة لال^(٣) • وفي

اللسان والخثر حب المنقود اذا تبين • والخثر من العنب ما لم يتويع وهو حامض صلب لم

يشكل ولم يتموه • وفي الاصمعي فاذا فرغ من تنضه قيل تخثر وفصل •

(١) هكذا رواه في اللسان والتاج وفي المخصص ونازعني بها الخ والحقين لمجول في

الزق • (٢) هكذا في التاج واللسان وفي المخصص اذا بدت رؤوس حب العنب كان

فطراً ثم كان زباً اذا كان مثل رؤوس الذر • (٣) هو ثمر الكزبرة وقيل حب السمسم

ويقال لما في جوف الثين من حب الجلبجلان •

النفض^(١) . حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض . ويقال نفض الكرم اذا تفتحت
عناقيده واننفض الكرم نضرورقه .

وجذر العنب صار حبه فوق النفض . وفي اللسان جذر^(٢) البت والشجر
وجذر^(٣) جذارة وجذر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او
نصف شهر وكذلك الارض .

ويقال فصل الكرم . خرج حبه صغيراً أمثال البؤسن (العدس) فاذا عظم فكان
مثل الحمص قالوا اغبر اي خرج هبزه وفي التاج الهبزر والهبرة . حب العنب .
اغضى الكرم خرجت عيدانه او عريضه ولم يثمر . قال الأصمعي وهو حين يكون
في العيدان مثل حب الخردل . « للبحث صلة »

سليم الجندبي
عضو المجمع العلمي العربي



(١) هكذا في اللسان . وفي المخصص النفض حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض
او ينقبض وفي عبارة الأصمعي ثم يكون نفصاً حتى يأخذ بعضه ببعض او ينقبض . وفي
القاموس والنفض بالتجريك ماسقط عن الورق والثر وحب العنب حين يوجد بعضه في
بعض وقد زاد الزبيدي شارحه على الجملة الثانية فقال والنفض ايضاً ما تضاف من حب
العنب الخ عبارة القاموس وقد تبين ان هذه الزيادة ليست في كلام اللسان والمخصص
والأصمعي فلعلها سهو . فتأمل .

(٢) من باب قعد . (٣) ككرم .

مطبوعات حكيمة

مختارات المقتطف

« وهي طائفة منتخبة ومبوبة من انباء ارتقاء العلوم في الثلث الاول من »

« القرن العشرين ، عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة وفيه عدة أشكال »

نعم الهدية هذا الكتاب من المقتطف الى مشتركه فلقد حوى من الانباء العلمية التي اعتدنا قراءتها في آخر صفحات المقتطف عدداً وافراً رنبت على ثلاثة اقسام وهي اولاً العلوم الطبيعية والرياضية ومنها النور والحرارة والجاذبية والكهرباء والكيمياء والفلك والجيولوجية . ثانياً علوم الاحياء ومنها العلوم المختصة بالنبات والزراعة والحيوانات والانسان . ثالثاً العلوم التطبيقية وأشير بها الى علم الآثار والعاديات وما كشف العلماء منها في اوائل هذا القرن ، ثم تقدم المواصلات في البر والبحر والجو وتقدم المخاطبات بلا أسلاك . الخ .

وأعظم فائدة للكتاب ان القاري يجد فيه معلومات شتى في تقدم العلوم المذكورة مجموعة في مجلد واحد لولاه لكان القاري يحتاج الى مراجعة عدد كبير من اجزاء المقتطف او المجلات الاجنبية . ثم انه يتذوق فيه سلاسة اللغة العلمية لغة العلامة الفقيه بعقوب صروف الذي لم يجاره بها احد في حياته ولم يبلغ مبلغه بعد مما انه على ما علم ويعلم رفاقنا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولا شك ان لغة المقتطف العلمية تدنت قليلاً بعد الفقيه وهذا امر لا يستغرب لانه لا يمكن للسيد فؤاد صروف ولا لغيره اياً كانوا ان يبحثوا في العلوم الحديثة على كثرتها بلغة بعقوب او يصلحوا مقالات الكتاب كما كانت يصلحها ولكنني (وانا قائم على تتبع المصطلحات العلمية الطبيعية والزراعية في المقتطف وغيره) أتوسم بالسيد فؤاد انه سيكون خير خلف للفقيه في هذا الباب وهذا مايسر كل الذين يغارون على لغتنا الكريمة .

و كنت فيما مضى قرأت في مجلدات المقتطف معظم الأبحاث الواردة في هذا الكتاب واقتبست كثيراً مما حوته من المصطلحات العلمية وقد عثرت اليوم في الصفحة ١٧٧ على لفظة

« زبانهين » بمعنى فرنين صغيرين وهذه اللفظة فصيحـة وهي خير اسم للعضوين اللذين يسميان في علم الحشرات (Antennes) .

ولا بد لي وأنا اكتب في مجلة الجمع من لفت نظر السيد فؤاد المحترم الى بعض هفوات منها استعماله في الصفحة (ب) من المقدمة لفظـة نوع بدلاً من صنف او ضرب فالانسان لا يستطيع اليوم ان يولد بالوسائل العلمية نوع الورد مثلاً بل يولد أصنافاً من نوع الورد (او ضربات) . وكنت اود لو استعمل لفظـة الجسور بدلاً من الكباري في الصفحة (ح) لان اللفظة التركيبية الأخيرة لا يفهمها غير المصريين فلذلك يمكن وضعها ضمن هلالين لا الافتصار عليها . وفي الصفحة نفسها لفظـة النجعة وهي شائعة مع اني لم أجدها في الامهات فجمع نسج نسج وجمع نسيجة نسايج . وجاء في الصفحة ٥٠ « نتروجين الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » والصحيح « نترات الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » او « نتروجين نترات الصودا أسرع فعلاً من نتروجين سلفات الامونيا » . وبعد اننا ننهي اصحاب شيوخ المجلات بهذا الكتاب الذي هو بد جديد نضاف الى ما لم من الأيادي البيضاء على لغتنا العربية . « الشهابي »

الاسمدة واستعمالها

« تأليف السيد حسني المقدادي ، وهو يحتوي على ١٦٥ صفحة »

« بقطع صغير »

يشتمل هذا الكتاب على أبحاث في النبات وغذائه والتربة وعناصرها والاسمدة وتركيبها واستعمالها في أهم الزروع والأشجار .

ويظهر ان المؤلف حديث العهد بالتأليف لان رأيه في كثير من الامور لا يزال فطيراً فقد قسم أنواع الأتربة في الصفحة (٤٣) وما يليها تقسيماً ناقصاً ومغلوطاً وجعل الكلس في أهم سهول الشام « اقل من كاف للمزروعات » ولا سيما في الأتربة الطينية الكلسية حيث مقدار الكلس عظيم . وقال ان الآزوت (نتروجين) في أكثر نموجات الأتربة التي أخذت من انحاء الشام وحلت هو أقل من نصف في الألف مع انني نشرت

الى اليوم نتيجة تحليل اربعين نموذجاً من الأتربة مأخوذة من أهم أصقاع الشلم الزراعية
وجميعها تحتوي على أكثر من نصف في الألف من الآزوت .

وسمى الدم والعظم زبلاً (ص ٧٢) كما سمي الروث والخبثي والبعر بقايا (٧٨) . ألفه
الكتاب فسقية ولا تكاد تخلو صفحة من غلطة أو غلطات .

وبعد اننا ننصح للمؤلف واهله من الذين درسوا الزراعة في إحدى المدارس الأجنبية
سواء أحازوا اجازة مدرستهم ام لم يحوزوها ان لا يقدموا على التأليف قبل انفسان لمفهم
وقبل قتل الموضوع الذي يؤلفون فيه درساً ونقياً . وليقتبسوا من كتب أبناء البلاد
الذين سبقوهم الى الدرس والتأليف فان الافتصار على كتب الأجانب تقصير . والأجنبي
لا يعرف أقاليمنا وأتربتنا وزروعنا كما نعرفها نحن . « الشهابي »



ملحمة ابن ولسانة

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن ولسانة

- ٢ -

فأول ما افتتح به ابن ولسانة قصيدته وصفه للصبية التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :

(من أمين تجود بالهملاب ولقلب مدأه حيراث)

(يا خليلي أقصرا عن ملامي وارثيالي من نكبي وارحماني)

(من عذيري من دعوة أو هنت عظمي وهدت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من أجل الدعوة فقال :

(ضرب البوق في دمشق وتنادوا لشقائي في سائر البلدان)

(النفير النفير بالخليل والرجز لي إلى بيت ذا الفتي الواساني)

(جمعوا إلى الجموع من جيل جيل ن وفرغانة ومن ديلمان)

(ومن الروم والعقالب والترك ك وخلقا من بأغتر والالان)

(ومن الهند والطاطم والبرز ير والكيلجوج والبيلقان)

(لم يخشوا ممن عدت من الآفاق من مسلم ولا نصراني)

(والبوادي من الحجاز إلى نجد - بلر مع تدريتها مع القحطاني)

هذه الأبيات تضمن درسا في الجغرافيا . و (الكيلجوج) يبحث عنه فلم اتمد إلى

معرفة فعل الكلمة بحرفه . واما (الالان) فهي كورة بين ارمينية ومجرانخورد . و (البيلقان)

يزيادة ياء بعد الباء اسم مدينين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احدهما

في ارمينية والأخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في أقصى الشمال من بلاد الروسية بذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتحديداتها : فان الشمس لا تنكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد اقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً لنزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاداتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فمن طوال ومن حدة ب قصر والحول والعوران)

(وشيوخ مثل الفراخ وشباب ن رحاب الأشداق والمصران)

(معندة جوتعت ثلاثين يوماً بسلاح الأخراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتعبيلهم بالقدوم اليه فقال :

(رحلوا من بيوتهم ليلة المَرِّ فَمِ من أجل أكلة عجبان)

(بركضون البريد تسعة أميا ل بنص الوجيف والزملان)

(الوجيف) و (الزملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نبهنا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة لطيفة : ذلك ان الشاعر بذكره (ليلة المرفع) كأنه يعجب الناس من النصاري الذين تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأمرعوا الى الولجة مشرّها ارضيّا في طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم ومروعهم في التفتيش عما هيّ لهم ليطمئن قلوبهم فقال :

(لست أنسى مصيبي يوم جاؤ في وقد غص منهم الواديان)

(أشرفوا لي على زروع وأحطا ب وبيت من خبزه ملاّات)

(آتين فارس ولحم طريّة وقدور تغلي على الدبكدان)

(وشواه من الجداء ومعلو فد دجاج وفائق الحملات)

(وشراب ألذ من زورة المّة شوقي بعد الصدود والمجران)

قوله (وقدور تغلي على الديكدان) في (البيتية) (الدادكان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الديكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (دبك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمدان ومعني (الديكدان) المنصب الحديد الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد لفظها (ابن واسانة) بأصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدمي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في حفة سد بأجوج ومأجوج : « وفي أحد الحصنين آلات البناء التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا لفظها ابن واسانة والمقدمي . أما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شملال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعنة دقدان القدر) أي ان معنى كلمة (العنة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القدر .

واختلاف الأدياء واللغويين في لفظ (ديكدان) أو (دقدان) راجع إلى الخلاف بين سيبويه والجهوري : فالأخير اشترط سببه تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيبويه أحسن الله إليه لم يشترط هذا الشرط المتعيب المنحعب .

ثم وصف ابن واسانة أحد المدعوين الذي سماه الهاشمي وشرحه العجيب فقال :

(يقدم القوم هاشمي هربت الشدق رجب ايلعى طويل اللسان)

(هو نمس الدجاج والبط والوز وذئب النعاج والخرفان)

ويظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشريف أبي القاسم وأخيه الفضل اللذين يقول

فيهما :

(والشريفان أشرفا في خلال ال - خيل في موكب من الحبشان)

(فابو القاسم الكبير على ط - وف كيت أقب كالسرحان)

(وأخوه الصغير يعترض الخيل - ل على قارح عريض الألبان)

(وهما يهويان بالسوط والزجة - ل إلى ما يسوء في مسرعات)

وكان قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أي قلب يطبق شتم بني خي - ر البرايا وأكرم النسوان)

(غير أني يوم القيامة اشكوهم إلى الحرة الحسان الرزان)

(وأنادي يا بنت خير النبي - بن ويا أم أكرم الفتيان)

(أي شيء صنعت يا بنيك حق غزواني بالسود والبيضان)

ثم جاء الدور للشمولي فوصفه قائلاً :

(والشمولي حاقه خلق نرا من عربض الاكتاف عبل^(١) البدان)

(لست أنساء جائيك جاحظ العية من عبوساً في صورة الغضبان)

(كالهقاب الغرثان يقتنص الله سم ويهوي إلى طيور الخوان)

ووصف أديباً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت اعتد غزاً في للحين فبين غزاني)

(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصدقي ومشتكي أحزاني)

(غير أنه الأيام حق أناني جائعاً للشقاء مذ سناني)

(كلما شفق الفراريج شقة - ت لغيظي من فعلة قصاني)

(وهو في أمره مجد رخي بال لم يعنه الذي قد جناني)

(مجز هدية^(٢) كالسوس في العوف في الصي - ف بقلب خال من الايمانيات)

ثم خاطب ابن البشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن البشر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني)

(ليس هذا من شهوة الاكل هذا من لهيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعو سماء (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً أو انه يهكم به

تهكاً وصفه فقال :

(١) قوله عبل البدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثني الالف كقوله :

(ان اباه اباه اباه قد بلغا في المجد غابتاهما)

(٢) أي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأكل يغزو كعنتر الشجعان)
 (ليت شعري أمن رسائل بقرا - طرثفت او بني يونان)
 ثم حمل حملة شديدة على احد المدعوين فوصفه باقبح الأوصاف من دون ان يسميه
 فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قوم بلائي بذلك الطرمذان)
 (الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان
 تقوم مقام كلمة (شارلانان) الافرانية . واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة
 فنقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ايضاً والثقل الممتوت جدير بكلمة ثقيلة مثله .
 ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفتيق^(١) قدم بلا لب طوبل في صورة الشيطان)
 (بقفا كالعمود يستمذب الصف - مح ورأس أصم كالسندان)
 (واسع الخلق ناقص العقل والدين - غليظ الطباع كالصوان)
 (يبيع المتجنسات بلعاً بلا مض - غر ويحسو النبيذ كالشعبان)
 (لا تمنني يا رب حتى أراه قد تدلى وعنقه شبران)
 هذا دعاة عليه بالشنق لان المشتوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه .

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان المزف فقال بهجوما :

(وأتوني يزامر زمرة يحكمي حباقي العبيد والرعيان)
 و (الحباقي) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا النجباء في كتب اللغة .
 (ومغن غناؤه يطلق البط - ن وبأقي بالقي والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقة واحدة فقال :

(قصدت هذه الطوائف جمرأ يا لهتكبي وذلي وامتهاني)
 (قلت ما شأنكم ؟ فقالوا أغثنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

(١) الفتيق الفحل من الابل والقدم الاحمى البليد .

- (وأناخوا بنسا قيا لك من يو - مريبوس عصصبر أرونان)
 (عصصبر أرونان) اي مصعب شديد . واستعمال (ابن وامانة) لكلمات اللغة بدل
 على انه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيحتها وخبريها .
 (تركوني باقوم أجرد من قر - خ وأعري ظهرآ من الأفعوان)
 (أكلوا لي من الجداء ثلاثي - ن حنيذا بالخل والزعفران)
 (الحنيذ) الجدي المشوي .
 (اكلوا ضعةها شواء وضعف - ها طينخا من سائر الألوات)
 (اكلوا لي تباله تبت عة - لي بعشر من الدجاج سمات)
 لعل التباله هي ما تسميه اليوم متبال .
 (اكلوا لي مضيرة ضاعفت ضر - ب بلم الدجاج والجديان)
 (المضيرة) عند العرب ابن حمام يطبخ باللحم فلعلها ما تسميه اليوم لبنية او اللبنيّة
 يكون فيها أرز عادة والمضيرة لا أرز فيها فهي اذن الشاكرية .
 (اكلوا لي كشكية كشكت فل - بي وماجت لفقدها أشجاني)
 والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجع .
 (اكلوا لي سبعين حوتا من النم - ر طريا من أعظم الحيثان)
 يظهر ان محصول (بردى) من السمك منذ ألف سنة كان أكثر منه الآن .
 (اكلوا لي من القرشاء والبرق في - والمعقلي والصرفان)
 لعل (القرشاء) هي ما تسميه اليوم قرشة وهي ضرب من الجبن المملح يكون منفذاً
 غير متماسك و (البرقي) أجود التمر . اما (المعقلي) و (الصرفان) فلم اعرفهما .
 (اكلوا لي من الكوانخ والجدو - ز معاً والخلاط والأجبان)
 (الكوانخ) المشبات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشبات
 ايضاً يتخذ من الشوندر و ابازير أخرى .
 (ومن البيض والخال ما نه - جز عن جمعه قرى حوران)
 (بذروا لي من السفرجل والث - اح والرازي والرمات)
 (والرياحين ما رهننت عليه - جبني عند احمد الفاكاني)

(الرازي) ويسمى الملاحى (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طويل الحب ولعله المسمى اليوم (زيني) .

وهنا إشكال : وهو ان الوايمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والثفاح والعنب في جمرايا في ذلك الوقت . اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء . او لعل الذي اكلوه معقود الثفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرغم يا معشر النبا من ثمانين من معيز وضائ)
 (ما كفاهم تذبيحهم غنم القرية حتى أنحوا على الثيران)
 (ذبحوها والدم يجري على خدائي انسياباً مثل انسياب الجمان)
 (اكلوا كل ما حوته يميني وشمالي وما حوى جبراني)
 (ثم قالوا : هلم شبيكاً فنادى - ت غلامي : قم وبك خبي حصاني)
 ولكن هل سكت الضيوف عن مضيفهم الذي سبهم كل هذا السب ؟ كلا بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأزيد . وقد وصف ذلك فقال :

(فتالوا علي شتماً ولعنوا واستباحوا عرضي بكل لسان)
 (من له قدرة على الهجوم يهجموني ومن كان منجماً يلجاني)
 وبعد ان فرغوا من الطعام والالتهام صدرت عنهم أعمال نمة ونمة لا تليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنتي بكسر الاواني)
 (ثم قاموا الى الجلاهي والبا شق والاحابيل والزربطان)
 يعني انهم قاموا الى صيد ما في القرية من الطيور ليأكلوها فوق ما اكلوا .
 و (الجلاهي) بندق من طين يرمى به الطير و (الاحابيل) الشباك و (الزربطان) والزربطانة حرفة عوام زمانهم عن (زربطانة) وهي قناة جوفاء كالقصبه توضع فيها سهام صفار ينفخونها نفخاً في صيد الطيور فلا تكاد تخطي . وما زالت الزربطانة والبهلاهي في خدمة الانسان حتى خلفتها البندقية .

(فرأيت الحمام بعضاً على الأر ض وبعضاً ملقى على الاغصان)
 (ورأيت الدجاج في وسط القر ية معني مكشّر السيقان)
 ثم وصف تنظيمهم لا يديهم من دسم الطعام فقال :
 (اكلوا ما ذكرت ثم أضاعوا يا شقائي حملاً من الأشنان)
 (ومن الحلب المطيب بالبا ن وماء الكافور سبع براني)
 ذكر الأشنان ولم يذكر الصابون مع انه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظماً
 آخر لا عهد لنا به . وهو الحلب المطيب بالكافور والبان . والبان اسم شجر ورقه كورق
 الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ؟ او المراد بالبان بخور الحصى لبان ؟ وقد قال
 انهم استعملوا من هذا الحلب المطيب سبع براني اي سبع قدور من خزف .
 ثم عاد الشاعر فذكر من تخر بهم وعيشهم وعربدتهم ما لا يكاد يصدق فقال :
 (وأقاموا سواهم والمكاريب ن الى ان سمعت صوت الأذان)
 (ينقلون الاخطاب من حيث وافوا ها : فبالأس ضاع لي غيضان)
 (جوزه كان حملها أحسن الخ ل وكانت ظليمة الأفنان)
 (كان لي في فنائها منزل رخ - ب أنيق يحفه نهرا ن)
 (ورياض مثل البرود علاها ال - طل بين البهار والأقوان)
 (وظيور ما بينهما تنغى بجميع اللغات والأحان)
 (هي كهفي ومستظلي من الخ - ر وذخري لنائب الزمان)
 (أحرفوها باقوم ظلاً فكانوا يرشقون الأخطاب بالنيران)
 (كسروا السكر فاخذلطت فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
 (قطعوا اللوز والسفرجل قضا ناً ومالوا بها على غلاني)
 (والنواظير مددوا وعلوم حنقا بالمعني والقضبان)
 ثم ذكر ان ضيوفه أخشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية
 ونسائهما كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً
 ما بقي على جرابا الا ان تقدم لكم هذه الخدمة المفشوشة ونظم سيف ذلك أبياتاً رأينا ان
 نصرب صفحا عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :
 (ثم راحوا بعد العشاء الى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان)
 (كانت لي مقعدتي وفرش مليح فوقه مطروح من الميساني)
 (المطروح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان
 وهي كورة بين البصرة وواسط .

(و بساط من أحسن البسط مذخو رة لعرس او دعوة او ختان)
 (غرقوه بالبصق والبول والقيح - ي فاضحى وسعره بعرتان)
 (مرقوا جبقي وسيفي وسكي - ني وخفي وجورلي وراي)
 (الران) شبه الطماقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً . وقد قرر المجمع
 العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطماقات) التركيبية في ما قرر من الألفاظ .

(أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كي - ل يكيلونه ولا ميزان)
 (خلت داري يا إخوتي الجامع الاموي ليلاً بالنصف من رمضان)
 وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهم شدة التعب - نة خرّوا هرعى على الاذقان)
 (هوتوا ساعة كتهوية الخا ئف في غير ارضه الفزعات)
 (الفزعات) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير قاموسية اي غير موجودة
 في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فزع وفازع . فهل يصح لنا ان نستعمل كلمة
 فزعات استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي .
 ثم وصف الشاعر ما كان من ضيقه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبيحة
 فقال :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع النّس - ر وما ل السماء والفرقدان)
 (يصرخون الصبح يا صاحب البيد - ت فأبكوا عيني وراعوا جناني)
 (محبوبني من عقر داري على وجه - هي كاني أدعى الى السلطان)
 (بقلوب أشدّ جراً من الج - ر وأنسى من صخرة صوتان)

و يظهر ان صديقهم هذا أفزع نسوة بيته ولا صبا ابنة الصغير (ميمون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رفقوا لذلك الطفل ميم - ون - ولا تبتسموه يا إخواني)
 (ما نفي أكلة بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)
 ثم ذكر من سوء صديقهم به ما لا يكاد يصدق فقال :
 (عاقوني بفرد رجل الى السة - ف وعذبت ليلتي بالدخان)
 (لو رأني ابي وأمي معكو - ما ورجلاي بالعصا نقران)
 (بكيا رحمة وفكنا وثاقي من بديهم بكل ما يملكنا)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من الهلاء استغاث بالشريفين فقال :
 (قلت للفضل والشريف اغيثا في - وموتي قد حل لي خاصاني)
 (واذكرا عشرين وودتي واخلا صي وحننا علي واستبقياي)
 (أنما انت قتلتماي وحق الله - من أجل أكلة نندمان)
 (أشهد الله ليس عندي مشرو ب ولا في خزائني لقمتان)
 (فاستشاطا غيظاً علي وقال ال فضل قل لي بايت عين تراني)
 (أنا من أحق البرية ان صد فت ما تأتليه من أيمان)

ثم رق له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :
 (قطع الحبل فانقلبت على رأ مي وظهري واندق لي ضلعان)
 وبعد ان بش المدعوون من طعام الصبح شفوا قلوبهم بنهب الثبن فقال واصفاً ذلك :
 (ثم لما تمكّن اليأس خلو في ومالوا ميلاً على الانبان)
 (وأجيري مسخر ينقل الأت - بان بالذل عاري الجثام)
 (وهو يكي - فقلت ويحك إمانه - نع بالثبن بعد موة الفدان)

وهل اكتفوا بالثبن ؟ كلا بل .

(سرقوا السرج والقناديل والزيت وأقداحنا وكل القناني)
 (لو ترى الفضل وهو يحمل في السر - ج قبصاً مربوط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعياً . من رغبنا من اكبر الرغفان)
كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة . ولكن ما كان يوجد فيهم من يرحمك
ويعطف عليك ؟ فأجاب .

(ما رثي لي سوى المبارك من خُبرٍ بي وذاك القُصير الدحدحاني)
(رفأهالي وخفنا الثقل عني فها من ملامني سامات)
لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا . نعم
وجدت : الدودح والدودح والدححة والدحداح والدحداحة والدحداح والدحدحة
— كل ذلك بمعنى القصير . فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني . او ان كلمة
الدحدحاني محرفة عن (الرحرحان) برائين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القريب القمر :
يقال قدح رحرحان اي قريب القمر مع سعة فيه .

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضرائكم أيها السادة قائلًا :
(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا ن عراه في دعوة ماعراني)
كلاً والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا — أمر
لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك .

ججرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولمها في قرية ججرايا منذ الف سنة
وقد استنتجنا من القصيدة ان ججرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران ونوفر
أسباب الرزق . اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاً ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت
معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطى اسم الهامة على اسمها . فنسيها اهل دمشق حتى
بني الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا . فأخذ اسم (ججرايا) من يومئذ يدور على الأفواه
وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى ججرايا . وعاد من ججرايا .
وبات في ججرايا .

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهني محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في
ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عازمت على إحياء ذكر (جرايا) فإني أنا أيضاً أريد أن أحيي ذكر وليمة ابن واسانة .

ففي صبي يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الأول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزير المعارف والمالية إلى (الربوة) (فدصر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جرايا فتسللت إليها من طريق ضيق ممتهج غير معتد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا إلى نهر بردى وإذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات .

ثم جرى بنا الانوميل صُداً في سفح هضبة . وإذا دار تلوح لنا من بعيد . وإذا بها الناصع يتلألؤ في خضرة تلك الرباض كقطعة ماس على بساط زبرجد . وإذا هي دار الاستاذ الخطيب ، وإذا هو يستقبلنا بدشاشته وأنسه المعهودين ، وإذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، وإذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد ألف سنة من الزمان (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وهكذا كانت لنا في دار الاستاذ الخطيب . وليمة ذات رفاغية وعيش خصب . كان الاستاذ ابن واسانها لكن من دون تبرم بالضيوف . وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عربدة ولا إفساد ، ولا تكاليف ممحجة دونها خرط القتاد .

قربة (جرايا) اليوم أبيها السادة ارض خيقة يحدها الطرف ، وتنتحها العين ، قناة الفيحة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقد امتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيتها ، وتجري فيها بعض الميون : منها عين القرية وعين الشاعر . ولقد تجوات في جنباتها مستطعاً طلع آثارها القديمة . فداوني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها . فإذ اسعة فم القناة نحو متر . ولم يبق من تلك القناة الا بقية . ومن آثار القرية قساطل خزف كانت يجري فيها الماء كالقساطل المعهودة عندنا . وفوق القساطل على سبك نحو ذراع ارض مبلطة وبلاطها مرصوف بالنيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها إلى بعض . ثم على طول الزمان تراكت الأتربة على النيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون . ويقول فلاحوا (جرايا) نقلاً عن آبائهم أن

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قريتهم سميت باسم شاعر كان يأوي اليها و يذكرها في أشعاره . هذا كل ما في جرابا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قريتهم كانت في القديم ذات عمرات عظيمة وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام وصنوف الفواكه . الأثر حسد ذلك الأمير الجبار ولا سيما مذ عرف ان كل ما قدم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرابا واستصفاء أراضيها . ولو كان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية لتدرج الى هوة التعاسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرّب هي . ثم لم نعلم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا ما يتحدث به فلاحوا جرابا اليوم . ويغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعون من أخبار وليمة ابن واسانة المدونة في كتاب يتيمة الدهر للشمالي . فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرابا ويتحدثون — على مسمع من فلاحها — بنخب وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها . فعلقّت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرّف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

وبعد هذه الجولة في أرجاء جرابا عدتُ عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورُبي شاخصات للعيان ، شخوص نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات بساتين قرى الهامة والجديدة والأشرفية وغيرها من قرى الوادي . واتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متعجبة تمعج الافرّج التي تجدد في الحرب وتسعى .

(ويردى كلمة أصل . او صفحة السجّيل)

ثم رجعت بي الذكرى الى ما قبل الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني .

وما يدري بنا ان تكون الدار حيث الدار . كما ان الهضاب هضاب والأنهار أنهار ؟ بل ان هذه الشمس التي شهدت في أفق (جرايا) تهوي للغروب . ألبست هي نفسها التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟ هات أبيها الشمس حدثنا عن تلك الوليمة التي كانت منذ الف سنة ، كما سيحدثنا أبنائنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم .

فقطي على أحفادنا اخبارنا كما قصصت علينا اخبار اجدادنا . صني لابنائنا الآتين ما نحن عليه الآن ، من التفرق والخذلان ، وكآب الزمان ، وتراكم الأحرزان .

قولي لم ان اجدادكم في القرن العشرين « كانوا »^(١) في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثير الكذب والنفاق والخيانة والتخافد والتباغض وتفرقت كلمتهم ، وجعلوا احوالهم الحاضرة والمستقبل غفلوا عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحياة بأكلون فيها ويشربون وينامون . ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لاحد ان يضر اخاه لا يقصّر في إلحاق الضرر به . فجعلوا بأسمهم بينهم ، والأثم من ورائهم يتعلمهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ، واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في مرعاهم ، ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون ازممتهم في اللهو واللعب ومعاطاء الشهوات ، وعليهم فروض وواجبات تستغرق سيفه ادائها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئاً ، يصرفون اموالهم في ما يقطعون به زمانهم إمبرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخل في حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون وينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية . فرب ثنافر بين اميرين يضيع أمة كاملة . كل منهما يخذل صاحبه . ويستعدي عليه جاره . فيجد الاجنبي فيها قوة فانية . وضعفاً قاتلاً . فينال من بلادهما

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تعدي الافرياء) مقتبسة من مقال (القضاء والقدر) احدي مقالات جريدة (العروة الوثقى) .

مالا يكلفه عدداً ولا عدة . شملهم الخوف والذعر . وعمهم الجبن والخوار . بزعون من همس .
و بالملون من اللمس . فعدوا عن السير الى ما يلحقون به الامم في العزة والشوكة . وخالفوا في
ذلك كله او امر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم . ينقدمون عليهم .
و يفاخرونهم بما يعلمون ويعملون . واذا اصاب قوماً من اخوانهم مصيبة او عدت عليهم عادة
لا يسمعون في تخفيف مصابهم . ولا يذبحون لمناصرتهم . ولا توجد فيهم جماعات ملية ولا
اخلاقية . يكون من مقاصدها احياء الغيرة . و تنبيه الحمية . ومساعدة الضعفاء . وحفظ
الحق من تعدي الأقوياء . »

هكذا أيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا . وصني لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد
اكفهرت وجوههم . وثقل عظم من الأسمى قلوبهم . عودي فارقي بهم . وكفكفي
من دمعهم . وبشرهم أيتها الشمس بنهضتنا الجديدة . التي شيدناها على العلم والائتقاد
فكانت سبباً لسمادتكم انتم ايها الاحفاد . والسلام .

« المغربي »



عبقرية المتنبي

- ١٤ -

اما أهاجي المتنبي فتارة كان يهجر فيها ويفحش ، فمن هذا الشكل قوله :
وقد أرسى الخنزير الي مدحته ولو علموا قد كان يهجي بما يطري
ومنه قوله :

ابالذين قد قبيدني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروع
وقد رث من فرط الجهالة اني اقيم على كذب رصيف مصنع
انيم على عبد خصي مناسق لئيم ردي الفعل للوجود مدع

او كقصيدته في ضبة ، فلا تخرج هذه الأهاجي عما ينشأ به عامة القوم فقد كان
ابوالطيب يباده بها مبادهة دون ان يغطيها باغطية رفيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم
ينج من هذه الشنائم حي ولا ميت واذا كان الطعن في الميت لا يعد من مكارم الأخلاق
فالمتنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

ان مات مات بلا فقد ولا اسف او عاش عاش بلا خاف ولا خلق
منه نعلم عبد شق هامة خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككموب الرحم في نسق
ونارة كان يتهم في اهاجيه تهكاً امرت من القذع والفحش والتهكم في الهجاء اشد
ابلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فمنه قوله في كافر :
من علم الاسود المنصى مكرمة أقومه البيض ام اباؤه الصيد
ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي مثلك الكرم اين المحاجم يا كافر والجلم
ومن هذا الشكل :

ومصر لعمرى اهل كل عجيبة ولا مثل ذا المنصى -عجيبة بكرة
يمد اذا عد العجائب او لا كما يتندا في العد بالاصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كلمات الخنزير والمنافق والاثم وما شابهها من كلام العامة فهو اشد ايجاعاً وأرفع شأنًا .

واذا لم يراع المتنبي حرمة كافر سيفه هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة سيفه تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فمرّض المتنبي بتفويض سيف الدولة وبمنه دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتائم السوق .

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبقرية المتنبي ارتفعت سيفه هذه الآفاق الى سماء اعلى وصغت بصباغ خاص .

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لا يخلو من بعض المساوي ، من جعلتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المتنبي ، والغلو في بعض مدحه ، واللجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة .

اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم بطبع بها الشاعر اي ممدوح شاء حتى لا تكاد نجد فرقا كبيرا بين ممدوحيه .

فمن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطب الذي قال فيه :
يعطي فلا مطلة يكدرها بها ولا مدّة ينكدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطب فقد طبع بها المتنبي سيف الدولة فقال له :

انت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل

ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي النيجي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أملوا الحللا

وهذا القول او ما يقرب منه قاله في سيف الدولة :

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول

ومن هذا الشكل قوله في النيجي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأي غير شيء ظنه رجلا

م : ٦

وهذا القول او ما يشاكله قاله في سيف الدولة :

فكلما حلت عذراء عندهم فانها حلت بالسبي والجمال
والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله سيفي ابي
المنصور الأزدی :

أمرید مثل محمد في عصرنا لا نبذلنا بطلاب ما لا يلحق
لم يخلق الرحمن مثل محمد احداً وظني انه لا يخلق

ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المثنبي :
ومن علي بن عبد الله معرفتي يحمله من كعبد الله او كعلي
نعم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المثنبي
في جعفر بن كیفلغ :

يا من ألوذ به فيما أومله ومن اعوذ به مما أHAذره
وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسومي :

يا من نلوذ من الزمان بظله ابدأ ونطرد باسمه ابليساً

ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وانما رغبت في ذكر انماط من اماديج المثنبي
استدلالاتها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الاماديج ، فلم يكن للمثنبي في مدح بعض
مدوحيه صور خاصة اي لم يصل ابو الطيب الى اعماق الممدوح حتي يستخرج منها صورة
خاصة بهذا الممدوح لتناسبه ولاتناسب غيره من الممدوحين .

فلنتجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المثنبي ، من هذه العيوب الغلو في
وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شموساً

او كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى

او كانت لج البحر مثل يمينه ما إنشق حتي جاز فيه موسى

او كانت للنيران ضوء جبينه عبت فكان العالمون بحوساً

فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتي ليكاد يكون مبتذلاً .

ومن هذه العيوب ورود المتنبي في بعض مدائحه موارد مشتركة يردها ويصدر عنها
كثير من الشعراء ، منها قوله :

يفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل ابيض وضاح عمامته كأنما اشتملت نوراً على قبس
ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها
فلا يجاريه فيها بحار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلي قتالك والسلم وهذا المقام والاجسام
واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام
ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردي وهو نائم
تمر بك الابطال كلهم هزيمة ووجهك وضاح وتغرك باسم
ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت ففرها في الدرب والدم في اعطافه دنع
فأوحده وما في قلبه قلق واغضبه وما في لفظه قذع
بالجيش تمنع السادات كلهم والجيش بابن ابي العيياء يمنع
ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالمتى ولكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا وانت تراها في السماء مرايا
لبست لما كدر العجاج كأنما ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح يؤدبك غضباناً وبثنيك راضيا
ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجمان فاطبة هول نمته من العيياء احوال
تملك الحمد حق ما لم تغر في الحمد ماء ولا ميم ولا دال
عليه منه سراييل مضاعفة وقد كفاه من الماذي سربال

غير ان الحلبة التي جلى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابو الطيب المتنبي فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، واذا قول فيه قولاً لست فيه متأثراً ولا منه متلجاً وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للمسامح مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد نواحلا فطريقة سيفه ذلت بصله بسالكه ويقوم بعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اداه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برز فيها المتنبي فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كانت لروحه ولطباعه الاثر البالغ في تميزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقاً بطبعه ممتزجاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب ونبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذي تأنس به نفسه . ولقد مثل ابو الطيب سيفه وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكان شعره سيف هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المتنبي لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته فلم يغادر اصراً من امور تلك الحروب الا وضحى حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومها وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المتنبي المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر تجايف الخيل ومفاضات الفرسان وترائكهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يغادر لونا او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأنما بمحضر جيش متكامل العدة مستقيم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس المرخى الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائل يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الاقطار حتى كأنه يجمع اشنات السلال وينظم
وكل فتى للحرب فوق جبينه من الضرب سطر بالأمنة معجم
يمد يديه سيفه المفاضة ضيغم وعينيه من تحت التريكة ارفع
كأجناسها راياتها وشعارها وما لبسته والسلاح المسمر
وادبها طول القتال وطرفه يشير اليها من بعيد فنظم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحي ويسمعا لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زبي الفوارس فوقها فكل حصان دارع متلثم
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر اجزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يغفل عن ذكر ما يأخذ
ببجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس
الخيل وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمتنبي تكلم على هذا كله فما سها عن
صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يغتفر اليه الشعر العربي .
ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يمد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف
لنقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لما الا لونا من
الالوان في وصف السفن :

قاسمتها تل بطريق فكان لها ابطالها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زيد التيسار مقربة على جمعها لها من نصحه رغم
دم فوارسها ركاب ابطنها مكدودة ويقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها وما لها خلق منها ولا شيم
واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى تكاد نظن ان الروم ينهزمون بمراى منا
زرافات ووحدا :

سراياك تترى والمستق هارب واصحابه قتلى وامواله نهبي
اقي مرعشاً يستقرب البعد مقبلا وأدبر اذا أقبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من بكره القنا وبقل من كانت غنيمة رعبا
 وهل رد عنه باللقاب وقوفه صدور العوالي والمطهمة القبا
 مضى بعد ما لثف الرماحان صاعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
 ولكنه ولي وللمطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
 وخلي العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرايين والصلبا
 واقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم في مكان في كل مرة بشير فيها الى خوفهم
 بصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحلمون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة وزال عنها وذاك الروح لم يرلـ
 فكما حلت عذراء عندهم فانما حلت بالسي والجل
 ان كنت ترضي بان يعطوا الجزى بذلوا منها رضاءك ومن للمور بالحول
 ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما نجا من شفار البيض منفلت نجا ومنه في احشائه فزع
 يباشر الامن دهرآ وهو مختبل ويشرب الخمر حولا وهو ممتع
 هذا هو الوصف الذي انفرد به ابو الطيب فلا تجاربه فيه أقلام النظراء فني بيتين
 من الشعر يعرض علينا صورة الجبش :

وجبش بثني كل طود كأنه خربق رياح واجهت غصنا رطبا
 كأن نجوم الليل خافت مفاره فدت عليها من عجاخته حجا

وفي بيت من الشعر يصف لنا تخريق منازل الروم وتخريب ديارهم :
 تسايها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طول
 وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء
 الروم :

واني اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذمرت فيها القساطل
 ومن اي ماء كان يسقي جياده ولم نصف من مزج الدماء المناهل
 ومثل هذا السحر كثير في شعر المثني في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن
 ان في شعراء العرب شاعراً يعلو ابا الطيب في هذا المذهب .

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعرف اي الساقبين الغنائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماحم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنيا حولها تلاقطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها ثنائم
ظريفة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن اساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمناسيا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أنوك يحرون الحديد كأنما مروا بجهاد ما لم يفتائم
اذا يرقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل امن وأمة فما يفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق الا صارم او ضبارم
نقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفر من الفرسان من لا بصادم
وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمربك الابطال كللى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخواص في نحتها والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب وصار الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدرام
تدس بك الخيل الوكور على الذرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
نظرت فراخ الفتح انك زرتها بأمانها وهي العناق الصلادم
اذا زافت مشيتها يبطونها كما تمشى في الصعيد الأراقم
فأبرالطيب شاعر العوالي والسوابق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كان كلام على سير الخيل وسير الجيش و كان كلام على حسن الثبات وقبح الهزيمة ، كان كلام على هبات الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها مشاهد القتال والى خيال مديد يجي هذه المشاهد . وقد اجتمع المتنبي شي لا من هذا كله واذا أضفنا ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده اكثر الغزوات والغارات والفتن للبدو في ناحية امره لم نتجيب من نهر يزد في هذا الميدان الذي لم يلمحه به لاحق فاذا خلد ابو الطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المتنبي ولا يذكر ابو الطيب الا ذكر معه سيف الدولة فلولا وصف المتنبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صورناطقة ولولا معارك سيف لدولة لما كانت عبقرية المتنبي تخلد الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة المجتمع فشعر المتنبي مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .

واذا كان سيف وصف المعارك شي لا يسير يؤخذ به المتنبي فما هذا الشيء الا تكرار بعض الصور في هذا الوصف ، فمن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقائب أقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سرع
وهذا قريب من قوله :

وغيل براها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فلبس ثقل
ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة :
ولو كأت الخيل حتى لا تحمله تحمله الى اعدائه المحم
وهذا شبه قوله :

اكلم رمت جيشاً فانتفى هرباً نصرفت بك في آثاره المحم
ومنه قوله وقد اشار الى تخریق منازل الروم :
عبثت تقدمهم فيه وفي بلد سكاته رم مسكونها حم
وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طلول

لكن وحدة هذه المعاني لا تحط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل أبو الطيب المتنبي ناحية من نواحي « فتي الفتيان في حلب » فإنه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد سيف شعر المتنبي ما نجد سيف شعر البحتري من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، أم كان المتنبي غارقاً في الكلام على الجمال والفلاصم وعلى القساطل والجحافل ، فشغلته دماء لروم عن الكلام على شيء من المدامة واللاوتار والنغم :

ألهى الممالك عن نحر قفلت به شرب المدامة واللاوتار والنغم

فلم يصل إلينا شيء من نعيم سيف الدولة إلا هذه الصورة التي صورها لنا المتنبي فارثاً سيف الدولة جالساً في فاقة من الدهاج :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمامه

وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدرّ سمط لم يثقبه ناظمه

تري حيوان البر مصطلياً به يحارب ضد ضده ويسأله

إذا ضربته الريح ماج كأنه ~~تجول~~ تجول مذاكيه وتضحى ضراغمه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا أن المتنبي لا يقصر إذا شاء عن التصاوير المشتملة على ألوان برّاقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر إلى مذهب الصق بنفسه واعاق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على أن ما خلفه لنا من وصف شعب بوّان يدل على أن عقربته قد تسهوا بها الطبيعة في بعض الاوقات فاذا استهوته الطبيعة اوحى اليها خصائص الالوان فيطبع خياله مشاهد ما بطوايع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار قهيسا صليبان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخليل حتى خشبت وان كرو من من الحران

وكيف كان الامر فان ابا الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم البحتري الا ان الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره انما هو وصف دقيق لا يخلو من روح وحياة فلما وصف الحمى :

وزائرتي كأن بها حياء فليس تزور الا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعاتبها وبانت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسع به بأنواع السقام
 كأن الصبح يطردها فتجربى مداومها بأربعة سجام
 أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
 وبصدق وعدا والصدق شر إذا القاك في الكرب العظام
 نتج فيها حياة تحمل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق إنما هو
 وصف الأسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الإشارة الى مهابة الموصوف :
 وقمت على الأردن منه بلية فضدت بها هام الرفاق تلولا
 ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيلا
 ولا غفل عن الإشارة الى هيأته :
 متخضب بدم الفوارس لابس في غيلة من لبدنيه غيلا
 ما قوبلت عيناه الا ظننا تحت الدجى نار الفريق حلولا
 ولا اهل ذكر عيشته ومشيته :
 في وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتخليلا
 بطأ الثرى مترققاً من تيممه فكأنه آس يجس عيلا
 ولا فخر في تصوير استعداده للهجوم على فرسته :
 ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
 وبدق بالصدر الحجار كأنه يبنى الى ما في الحضيض ميلا
 الى غير ذلك من أمرار الوصف التي دلت على ان أبا الطيب يستطيع إذا شاء ان
 يتغفل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالا فيها حياة وشعور :
 هذا شيء من الكلام البديع على مذهب المتنبي في الوصف ، فاذا برز أبو الطيب فان
 برزه في وصف الممارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان
 المتنبي شاعر الهياء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وانحن الدنيا
 وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود
 عبقرته مادنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس والى
 الموعظة والاعتبار والى ما يجري مجرى هذه الامور واشباهها ، لا خوف على خلود هذه

العبقريّة مادامت العربيّة لغة كثير من الخلق ، ومادام اهل هذه اللغة يتمثلون بالآيات التي تشمل على صور الحياة بمجامعها ، كرمها ولوثها ، وحلوها ومرها ، وعزها وذلها ، وراحتها وتعبتها ، وخيرها وشرها واملها وبأسها ، فلم يخطئ أبو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذ قلت شعراً اصبح الدهر منشداً

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقريّة المثنوي ، من هم الشعراء الذين اثروا في هذه العبقريّة ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقريّة أبي الطيب ، وهذا باب لا احتياج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الثعالب والجرجاني قد عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستعانوا بالفاظه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابو اسحاق الصابي والاساذ احمد بن ابراهيم الضبي وابوبكر الخوارزمي وابوالفرج البغفاء والمهلي الوزيري والسري بن احمد وابوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابو الحسن السلمي وابوالقاسم الزعفراني وغيرهم . واما الذين استعان بهم المثنوي هم ابوتام وابن الرومي والاعشى وابونواس وعبدالله بن محمد المهلي وموسى بن جابر الحنفي وعبدالله بن طاهر والعباس بن الأحنف والبحيري واسحاق الموصلي وابوهفان وعلي بن الجهم وبعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن المعتز وابوسعيد الخزومي وامرؤ القيس وكثير من أمثالهم فمن كان يهمه ان يعرف شيئاً من هذا لاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الثعالب فقد شفى كل منهما وكفى وبالغ فأوفى ، اما اني فاني على مذهب الذي يقول : الحق العسل ولا تسل عن نخله ، فسواء عليّ أمسرت المثنوي من الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعنيني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى (١) .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والفروسي وانما الشأن في اقامة الوزن وتمييز اللفظ ومهولته وسهولة الخروج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيق جبري

لغة المتنبي

- ١٥ -

إذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به أبو الطيب المتنبي ، ما هي اللغة التي كان يلجأ إليها في التصوير ، ما هي مصادر هذه اللغة ، ما هي محاسنها ومقاييسها ، ولست أعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وإنما أريد بها أيضاً جملة فنه وما يشتمل عليه هذا الفن من المعائب والقلائد .

أظن أن لغة الشاعر إنما هي السحر الذي يسحر به والفننة التي يفتن بها ، فلا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا أحب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها ، فلارب في أن لغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هنر العواطف وتحريك القلوب ، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية أن الدكتور «ماردروس Mardrus» ترجم القرآن بعد أن استعمل لهذا الأمر عشرين سنة ، وقد تكلم على هذه الترجمة أحد كتاب الفرنسيين فقال : لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا أن يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم ، فاستنقح الدكتور (ماردروس) من ذلك أن الكلمة إذا وضعت موضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالاً .

فهل نيسر للمتنبي أن يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمى شعره شعر اللفظ .

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقائق

قبل أن ندين هذا كله لا بأس أن نعرف قليلاً من مصادر لغته ، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استعانت أبو الطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه ، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وأبي نواس وكثير .

أما أبو تمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره ، لانب حبيباً كالقصاصي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البيهقي أو كالفقيه الورع يتحرق في كلامه ويخرج خوفاً على دينه^(١) .
 فمرة كان يستعين بابي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصور بها الوان الصبح
 والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هذا المعنى فوصف
 اذ ربحان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمنت وليس الليل فيها باسود
 فاستحسن ابو الطيب هذا الكلام فقال في وصف منيج :
 فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح مذ رحلت عنها اسود
 ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي لنفصح عن دمع عيونته ، فقد رثى
 ابو تمام اسحق بن ابي ربيعي فقال :

شق جيوباً من رجال لو اسطاعوا لشقوا ما وراء الجيوب
 فأعجبت ابا الطيب لفظة شق ما وراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يماك
 علينا لك الاسعاد ان كان نافعا بشق قلوب لا يشق جيوب
 وحينما كان يستظهر بابي تمام على شكوى شيب الفؤاد ، فابو تمام يقول
 شاب رأسي ومارأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد
 فما أحب المتنبي ان نفلته كلمة شيب الفؤاد فقال
 الا يشب فلقد شابت له كبداً شيباً اذا خضبتة سلوة نصلا
 وحينما كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابن سعيد محمد بن
 يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر في وقديري بنداك وهو الي منها تائب
 فأنى المتنبي بتوبة الدهر فقال له علي بن منصور الحاجب
 حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الي منها تائبا
 وكان ابو الطيب يستنزل وحيداً في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال
 لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت انت وحقن منك اواهل

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام
وقفت وأحشائي منازل للاسي به وهو قفر قد نعمت منازله
ولقد لجأ الى ابي تمام سيفه النفثيش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن
من قوله

همة انطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض
فأسكرته لفظه انطح النجوم فقال
شرف ينطح النجوم بروقيه وعزته يقلقل الأجبالا
وعمد له في النفثيش عن الفاظ يجعل بها المدح في حفظ الله ، فأبر تمام بقول في
المعتمد

لقد خان من يهدي سويدها قلبه لحد سنات في يد الله عامله
فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال
على عاتق الملك الأغر نجاده وفي يد جبار السماوات قائمه
ولم يشأ أبو الطيب ان يمر بتفخيم ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه فلما قال ابو تمام
في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له قدما نشوغا في الصبا ولدودا
قال المنبي لكافور

لبست لها كدر العجاج كأنما ترى خير صاف ان ترى الجو صافيا
ولما قال في اسحق بن ابراهيم
الا انت الندي أضحي اميراً على مال الامير ابي الحسين
قال ابو الطيب في بدر بن عمار
امير امير عليه الندي كأن له منه قلبا حسودا

اما الجعثري فقد كان يأخذ عنه المنبي الفاظ الغزل ووصف الطبيعة لركة ابي عبادة
فلما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للمعين عرض على خاطره بيت الجعثري :
لو كان في جسمي الذي سبغ ناظر بك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أغارني سقم جفنيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوي مآزره
ولما أراد أن يجعل للاماكن لوناً من الألوان تذكر قول البيهقي :
في كل مشرفة حصاها لؤلؤ وترابها مسك يشاب بعنبر

فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوب :

وليلاً توسدنا الثوب تحته كأن ثراها عنبر في المرافق
بلاد إذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبه للمخازق

ولما أراد أن يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فالبيهقي يقول في وصف
البركة :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في بحارها

والمتنبي يقول في وصف دار كافور :

ولو أن الذي يخرج من الأمواه فيها من فضة بضاء

وربما لجأ أبو الطيب إلى البيهقي في التقييد عن الفاظ تسير بها الأمثال فلما قال
المتنبي :

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد

نظر إلى بيت البيهقي :

إذا ما الجرح رم على فساد تبيت فيه إفراط الطبيب

وأما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس أو صفة
من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فراحات النفس ما يقتل

فارتاح أبو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا ننكرن لها سرعة فمن فرح النفس ما يقتل

ولما أراد أبو الطيب أن يجد صفة للفكر لم يجد غير الانقاد فقال :

أشفق عند انقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل
وهذا الانقاد انقبسه عن ابن الرومي :
أخشى عليك انقاد الفكر لا حذرا
واذا نظرنا الى اخذ المثنبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي
تدل على هبة الممدوح واتساع منافقه فلما قال المثنبي لكافور :
'بذل بمني واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعاني
خطر بباله قول ابي نواس :
كأنما انت شيء حوى جميع المعاني
ولما قال في المغني بن علي بن بشر العجلي :
اذا بدا حجت عنديك هيته ولبس يحجبه ستر اذا احتجبا
تذكر قول ابي نواس :
ان العيون حجب عنك بهبة فاذا بدوت لمن نكس ناظر
اما كثير فقد كان يأخذ عنه كلمات النسيب ، فن شعر كثير :
رمثني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جراح
وهذا البيت اوحى الى ابي الطيب قوله :
راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المثنبي ولا يتسع المقام لاستيعابها
وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبو الطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ،
يمشي على آثاره في الفاظه ، ويصعب على قواله ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ،
وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعدي^(١) أفكان أبو الطيب يميل الى شيء من البديع
تحدبا لا ابي تمام ، والصحيح ان ابا الطيب استرسل في البديع ففي شعره كثير من الاستعارة

والتمثيل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة .

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب^(١) فلا مندوحة للقنطرة عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على نباينها ثم بليت هذه الصور وعنت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لا تمزج الخبلة فاذا أحببنا ان نبرز هذه الخبلة وجب علينا ان نبدع اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي يبق من النار الخامدة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفخون في هذا الرماد حتي يتأهب فلننظر في قسم من بديع المتنبي .

من صور المتنبي ، الترديد :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا فلاقل عيش كلت فلاقل
ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها أسد تكون له الاسود ثعالبها

ومن صور التقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل على سل أعد زد هش بش نفضل أدن سر صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيثم بن حمدان بابنه تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث اقباط ولقبان راشد

ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات سرى شموسا

الى آخر الايات .

من هذه الأمثلة القليلة يتبين لنا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٧٧ .

تقليده ابا تمام في النهج الجديد .

والو، جنب هذه المطاعن مطاعن كثيرة نبت عليها الائمة في القديم وفي طليعتهم الثعالبية فلم يتركوا في هذا التنبيه مجالاً لقائل ولو أعملنا الروية في بعض لغة المنذبي لتحقيق عندنا ان جملة مقابحه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه المقابح في بشاعة الابتدآت :

آحاد ام سداس في آحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤ كما كالربع أشجاء طاممه بان تسعدا والدمع أشفاء ساجمه

ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتبيت تسند مسنداً في نيهام آحادها في المهمة الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور .

ام في التناقض بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخش والتوراب .

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجردة من الصور كالجوهر والملمسوت واللاهوت واشباه ذلك .

أظن ان هذه المقابح كلها اصلها فساد مسامع المتنبسي فكان ابا الطيب لا ذوق له في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان من شرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض التوقف رجاء بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انتهى منها^(١) وفي هذه الرواية دليل على تعبه في الشعر واكثر الذين يتعبون في الشعر

بمعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلى م كان ابو الطيب بلجاً الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه .

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار بأخذ ماحوله قهراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء يهجم على ما ير يده لا يبالي مالتى ولا حيث وقع^(١) فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الایات ، فالى جنب هذه المساوي اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشير بعد كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وسطائه واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساوي كلها فلائد وفرائد يز فيها من تقدمه وأبأس منها من تأخر عنه ، فما اصح ما قاله الشعالي في تفاوت شعره :

« يجمع بين البدع النادر والضعيف الساقط فيبناء بصوغ انحر حلي و ينظم أحسن عقد وينسج نفس وشي ويختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تعويض اللفظ او تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فحما تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بالسنة الطاعنين فمن حتمل بقول الشاعر :

انت العروس لما جمال رائق لكنك في كل يوم نصرع

ومن شبه اياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر .

هذا ما قاله الشعالي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اكابر الشعراء قليلاً ما تناسب قصائدهم قليلاً ما تطرد حسنتهم وبيننا ابو الطيب يقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول نزالنا فتلقى البنا اهلها وتزول

اذ يقول :

أغركم طول الجيوش وعرضها علي مشروب للجيوش اكل
فلست أدري ما الفرق بين قوله : علي مشروب . . . وبين قول العامة في القوي
الذي لا يبالي بالضعيف : يأكله اكلًا ، فقد اثر ابو تمام في المتنبي تأثيراً حتمه فيه
كثيراً من سبثاته فان هذه الكلمات : مشروب ، اكل اخذها المتنبي عن ابي تمام نفسه
من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت اكيلا للمنايا في ظله وشرها
وبينا تجده بقول :

اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجتل التنكيد

اذ يقول :

لامة فاضة اضاءة دلاص أحكت نسجها يد داود
فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا
الكلام .

ولكن فلان ابي الطيب غطت على هذه المفردات فلم تذكر له سببة الا ذكرت له
حسنات فلان فيج مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى الممالك ما بيني على الاسل

ولئن عوص بعض شعره فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الخضر ،
غذي المدر ، مما يمثل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص
لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من
الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمم اذ كر منها قوله : مشى عليها الدهر - شبيبة الزمان وهرمه - يمج ظلاماً -
مكرمات مشت على قدم البر - دمع الحزن - دمع الدلال - دموع تذيب الحسن -
نبذوا تحت ربابه - نسج النقع عليها براقع - القت دماء الروم طاعتها - الى غير ذلك
من آثار اللغة الشعرية .

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة
للموصوفات كل المطابقة لا تشبه الصفات العامة التي قد تطلق على كل موصوف دون شيء
من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحمراء - الحسب الاغر - الرشأ الربيب -
المروج الفيج - لجب الوفود - الارض الواجفة .

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا
تشبه لغة المتنبي لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا فغنوا ، فلا يدخل
ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين البحري
مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبي لا يسعنا بالفاظه ولا يفلتنا بلغته
الشعرية ، ومع هذا فاننا لا ننجو من صحوه وفننته فهو كالمالك الجبار تهولنا جبرياؤه فيسلبنا
مشيئتنا فنذعن لسلطانه سواء أعدل ام عسف ، او كالصورة الحسنة في جملة القبيحة في
بعض نفاذ بقها ننظر الى جملة ألوانها فتحسن في نظرنا ونأمل في بعض نفاذ بقها فتتغطي
مناعة الجملة على شناعة النفاذ بق فلا نبالي بالقبح البسير الذي يصحبه حسن كثير .

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا
الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله
أمعز الليث الهزير بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعفر في نجد فوارسها بسيفه وله كوفات والحرم

ومن هذا النوع قوله

فائدو كل شطبة وحصان قد يراها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل يراها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فليس تقبل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبني ركابي نحوه أحد ما دمت حياً وما فلقن كيرانا

وقوله

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نلقل دهرأ قبل في القل
فالتعفير والبري والقلقلة الفاظ يكررها المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر غيرها
من الألفاظ وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألفاظ أو وحدة الأسلوب .
قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بمجامع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان نفلت
من تأثيره ، فقد قلنا ان المتنبي انما هو شاعر الهياء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد
فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اهندي اليها ابو الطيب
وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بد
فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزييق وانما تزويقها في حقيقة
تعبيرها وسهولته والألفاظ التي نفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي
الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نلقل دهرأ قبل في القل
فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدمة تمثل شيئاً من انقاد الهياء ولبيب نارها والمتنبي
لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل معانيها الى الذهن
قبل الألفاظ ومرة تنوع فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحينئذ تلي عليها
الخصارة مألوف الكلام ومعتاده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحينئذ تلهمها
البدارة من وحشي الألفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجف الأعراب طبعاً ،
هذه خصائص لغة تارة تبرز لنا مجردة من كل صورة معرأة من كل نقش ، وتارة تختال
في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذك رثائتها في بعض
الأحياء ويرضيك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة يصورها صاحبها دون شيء
من حشد الخاطر وتكلف الصناعة بحسب خلو الجو من التعقب والتعيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الحمل على القريحة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا حأقت في سماء فلا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوي فكان هذا الاختلاف عنوان عبقريته وعلامة خلوده .

قد تميزنا في المتنبي محاسن شتى أذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص وحسن التقسيم ومباينة الأعداد والابداع في التشبيهات والتمثيلات وانتماض الأفكار الملماني ، وقد نوذرينا في هذا الشعر مقايح مثبانية أشرت الى ما تبسر لي منها لكن هذه المقايح لا تعني على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي وفي شعره شيئاً لا أدري ما هو وامل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهويننا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي صورة الشاعر الجبار .

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

- ١٠ -

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقياً بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنهما اذ ذاك (١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فتلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهرها البلد فحمل اليه ابن مكتوم كل شيء من اللطاف والهدايا قال فقال له يوماً والله ماوردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجترار (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك واثاروا علي بهذا ولكن قد استعديت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم يتحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد علي ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه ان يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض علي وايس لي اليه ذنب يقتلني به احب الي من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

« ١ » في بعض المواضع جاء ابو مكتوم . « ٢ » بالاصل فله . « ٣ » لعله الاحتواء .

« ٤ » م . ع : كذا في الاصل والاولى وتخليفي جيشاً او تخليف جيش .

به فانه يظن اني واضطبت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تجيئني بعد وقعة يحدس (٢) فيها رجل ولم يبرح واخذ الى خدمته العظيمة فنفعه ذلك وتخاص قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان افتح (٣) هذا البلد الذي اقصده ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك وفتوتك فنعود العشية الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى حضرته فاجلسنا في فاقة (٤) بهنسي (٥) لم أر قبلها مثلاً حسناً في صدرها سدة ابتوس مضية بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر جداً وبين يديها بساط جهرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني ومخاد وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . «٢» م . ع يقال حدس الشاة اضجعها ليزبحها وحدث بالشاة ذبحها وحدث بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن يحدس . وهي ابلغ .
«٣» م . ع : الظاهر افتح .

«٤» م . ع : الفاقة بناء من خرق وغيرها تبنى في المساكن والجمع فاز وقال الجوهري والفاقة مظلة تمتد بعمود وفي القاموس بعمودين . «٥» م . ع بهنسي كورة بصعيد مصر . ولعله فاقة بهنسية . قال المقدسي يصنع بهنسة الستور والأنماط . «٦» جهرم مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة «ياقوت» .

«٧» م . ع لعله كثيراً او كبير .

بزرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام ما لم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قل وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب و كوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفازة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس واباريق فضة ومجامع فضة ففسلنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الاصاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فارة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الآرج والبطيخ والدستبو ٦ او غير ذلك قال فدهشنا وتخيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس ٧ الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بعددنا يروحون وغلمان آخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

١٠ م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . ٢٠ م . ع لعله المحلاة .

٣٠ م . ع المجامر والاولى المحلاة .

٤٠ لعله سقط : سدة . ٥٠ لعله طاولة .

٦٠ م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . والدستبو . منها . ٧٠ م . ع القدس والقدس قدح يتطهر به والقدس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور و قدح بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مداقات (٣) بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من الغيب مما يعمل في جبل عمان لم نظن انه يكون في تلك (٥) بحسنها وطيبها فاختر ابن مكتوم نبيذاً منها فمئت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجري يوسف حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته هذه قال فاخبره ان له الف غلام اراك (٦) واربعة آلاف بقل والف في جبل قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال ومسبب خرج لم اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركب . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الحمر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي محرفة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع . «٤» م . ع جاشنكير كلمة فارسية معناها ممسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه ويطلق على صنف من الجند يقوم بخدمة المائدة في الولايم ويسمون بالعربية الندل من ندل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ على نوع من الآنية لانه يمسك الحمر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : التواحي . «٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا اردت انما اردت الذخائر والجواهر وما يخف وبالجملة (١) الملك (٢) معهم محملاً لطيفاً اذا احزبهم (٣) امر قال فقال ابن مكتوم لا اعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه فقال وما للحبل قال فص يا قوت احرفيه خمس مثاقيل الا اني ابتعت له جوهرتين بمائة وعشرين الف درهم فقال قد انست بك واقتضى ان اريك ما صحتني في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بعلام وقال امض فهاهنا الرتبة (٤) الفلانية قال فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منهن مفتاح ذهب وتأمل اولاً ختم الرتبة ثم فتحها بالمفتاح واخرج اليها قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة خاتم يواقيت وفيروزج وعقيق لم ير مثله فارانا اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال فتركناه ثم اخرج اليها عقداً فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها على قدر يرض الحية والمصفور فذهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في خزانة خالي احمد بن هليل وخزائني من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر اليها يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

«١» م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملك ' او محرف عن ما يحمله . «٢» لعله سقط : يحفظون .

«٣» م . ع كذا في الاصل والمعروف حزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتد عليه .

«٤» م . ع : الرتبة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع فيه اجزائه . «٥» م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرح على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في المقد مائة حبة فما تقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلاً لطيفاً فخله واخرج قطعاً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسلمه الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدما (١) في الطول والمرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه اين هذا يا ابن مكتوم (٢) من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبزي* من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي بما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع (٣) عنبر فوضعت تنقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانتقد ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يتوجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم ورد بها يوسف فلما وقف

١ م . ع كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .

٢ كذا بالاصل والصحيح يا ابن . ٣ م . ع : لعله بشموع .

٤ م . ع : يقال توه نفسه حيرها وطوحها . ٥ كذا بالاصل .

على الكتب تذكر عهد ابي مكتوم وذكره بالجميل ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ الى ابي مكتوم هدية قيمتها مائة الف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ الى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوريا دعوته مع ابي مكتوم — عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل اليه ذلك .

حدثني ابو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من اهل قم قال ورد الينا وصيف كأنه اسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم اقبل يسأل عن امور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخه الى ان انتهى في السؤال الى رجل لم يكن جليلا ولا مشهورا ولا عرفه منا الا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من امره ويسأل عن معيشته واولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني اياه احضاراً جميلاً فأني اكره ان اتخذ اليه من يستدعيه فاروعه قال فاحضرناه اياه فحين وقعت عينه عليه قام اليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) اعيننا وقلنا جاهل لاحالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجيب جواب ضجر باهت معظم لما عمله فقال له احسبك قد أنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الامير ايده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

١ م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .

٢ م . ع : المعروف سقط من اعيننا . ٣ بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال
يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة
التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت
الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحماني الى قم واسلني مع
ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن الترية وفعل بي وصنع وجعل
يعدد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ملكته حتى انه مايتأذا (٣) منه قط ولا
ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما
يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي
الدراهم لشهواتي ويمطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صبياً
كلما وقع بيدي شيء جمته عند بقال في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأل عنه
فقال هو باق فلما بلغت واشتدت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع
هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن الي ولا
يعترض في شيء اريده علي قال واتفق ان بعض الجند رأني فقال هل لك
في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك
على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملكني ولكن اشترى لنفسي دابة

«١» م . ع الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا م . ع كذا في الاصل ،
وجعل يعدد له بابا ذكره . ولعل اصله يعدد ما شاء ذكره او يعدد لهم ما ثره .

«٣» م . ع كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م . ع : المعروف كفه عن الشيء وبمحمل ان يكون الاصل
ويكفني من شهواتي

وسلاحاً واتبعك غلاماً لك مالكا لنفسي فتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فبيعت الى البقال فعاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعني دراهم وصحبت الجندي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان بأسرها وتقلبت بي الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسأله ان يبيعي نفسي قال فأكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله واتحمد بولائه وافتخر انا وعقبى بذلك قال فقال يا غلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسله الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات ما يزيد قيمته على قدر المال ثم استدعى ابنه فاحضروا كرمه وتناول (٢) له وذهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال وذهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لا تحل شيئا فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت اليها وقال يا مشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخني وماعلى الارض اهل بلد أحب الي منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» م ع الظاهر ان الاصل . واخذت آلتى اي ادائي ومتاعني او : اخذت آلتى اي سلاحى «٢» م ع يقال تناول عليه اي تطول وتفضل وتناول الرجل تمده قائماً .

وبيني الا فيما حظرتة الديانة وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق. قال ثم سألت كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبلى في عيوننا نبلا شديداً وانقلبنا المواقب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج والى ابنه فصارا رئيسي البلد ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ان وصيفاً لما ولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويتجلبب الى العامة جداً حتى كان يعود مرضاهم ويشهد جنازتهم قالوا وما رأينا اميراً اعقل منه ولقد رأيت يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق راكباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكريّة (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال فرأيتة وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزاحمه به فجاء بعض من كان معه يذكر ذلك وينحي الرجل فنظر اليه نظراً شزراً جزع معه الغلام وتنحى

(١) لعله: فيها. (٢) م، ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكر.

وتركه والحائلك قال فرأيت أنه قد تجمع في مكانه ووسع للحائلك حتى قاموا للصلوة .

بلغني من جهة وثقت بها عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج قال فحضرت مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبو زنبور الكاتب يعذله في أفضائه إلى أبي العباس بن الفرات وتفويضه الأمور إليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك إلى أن قال له الناس يقولون أيها الوزير أنك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله أنا يتيم في حجر كل كاف .

حدثني بعض الخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) أبو أحمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت أبا علي بن مقلة إلى بغداد واستكتبني كان يعتمد انعمي بكل شيء ويوصل إلي أموالاً جليلاً فلم أكن أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي في القيان والشراب واتلفته قال فهويت جارية في القيان صفراء (٢) واشتري أمرى معها وانفدت كل كسبي عليها حتى بلغ أبا علي وكان يعذلي ويوبخني ويمنعني من مفارقة حضرته وإن اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت إلى بيتي وقد حصلها غلامى واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظراف والشراب الفاخر قال

(١) معجم الأعلام ٥ : ٤٤٤ « ٢ » عند ياقوت أن اسمها مهجة . « ٣ » لعله : اخلو . م . ع الصواب ما في الأصل يقال اخل بالمكان وغيره إذا غاب عنه وتركه . « ٤ » لعله التحائف م . ع . الظاهر أنها بحرفة عن التجايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان يزين به مجلس الشراب فإذا دخل داخل دفعوا شيئاً منه بأيديهم وحيوه به . ومنه قول

فشريت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنية على أن كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء تحركت علي واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء وابتكر الخدمة في غد واسأل قبول عذري. قال فعاد اليّ الجواب بخط أبي علي بن مقلة في اضماف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه يا هذا ظلمت الصفراء انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزالك في التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك منديلاً مختوماً فاستغن (١) بما فيه قال ففتحت المنديل واذا فيه رطل ند وشي كثير من الكافور والمسك ومائتا دينار عيناً.

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المنجم لنفسه في معنى الصفراء بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:
قال الطبيب وقد تأمل سعدي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء
فمجبت منه اذ اصاب وما درى قولاً ومعنى (٣) ما اراد خطاء

حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصابة خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول العفو

النافذة (يحيون بالريحان يوم السباسب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بعيد الكرى . سجدنا له ورفعنا العمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك - «١» الاظهر فاستغن بالمهمة

«٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً «٣» في المعجم وظاهر .

الغفور يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا فضحتنا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا تصيح تحم ساعة من ليلة فتصيح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لتجلد عليه. قال فأتى بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قال فتسلهما وخرج فوافى المحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه الغلط (١) فيه لا يتلافى قال فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واتي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث. فقال له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) الشياطين فأحضرت وامر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجعه الضرب قال له يا امير المؤمنين اتق الله قد حكمت علي بخلاف حكم الله تعالى وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م. ع كذا في الاصل. ولعل اصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى «٢» م. ع تقدم ان المعروف هاتوا. والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر.

الا بحقهما وحسابهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى اكفر
فبقناني قال فتخجل المهدي وعلم انه قد اخطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الاهوازي قال
حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره
يدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كتاب السيدة يطالبني
وابا يحيى الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممتنعون
الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا
امراً عظيماً فكدنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت
لابي يحيى يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لتنفكر اذا انصرفنا كيف
نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجره ابو يحيى الى المحادثة
واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيى قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه
ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف
لابي يحيى افهمت يقول ابو يحيى لا فيعيد الحديث ويخرج منه الى حديث
آخر قال فلم يزل كذلك حتى حمى النهار وقربت الشمس من موضعنا
فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالعقد فقلت له انه قد حمى النهار
وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورقننا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا

« ١ » لعله بالساعات، « ٢ » لعله ابو يوسف اليزيدي، « ٣ » بالاصل محدثاً ما طس.

« ٤ » ع . قال رفق به اذا تلطف والآن جانبه ويحتمل ان تكون ورقننا له . اي
زيننا الكلام وحسنه .

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبتدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكننا نباكرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفينا امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمل متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شي منها وكنت انا وجماعة من البناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهاب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تخلو بهذا الرجل وتبذل له مرققاً وتكفينا اياه قال فبجئته وخلوت به وبذلت له مرققاً جليلاً فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام يا هذا الرجل . انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزيل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صُرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين او ثلاثة فتكون قد اهلكتنا وأثمت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفي ويحجي غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبدل

« ١ » لعله تزيد. « ٢ » م . ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار واني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني (١) من لس (٢) وقع لي انه قد وقع هذا قال فقد ثبته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم (٤) اليه رقايع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قال فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وبما (٧) ورد عليه فاهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة.

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المؤمن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشجذ فكان يعلمهم ما يعملون فسألنا عن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم ابست زي راهب وخرجت الى سر من رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر (٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيداً بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

«١» م. ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ او نحو ذلك

«٢» لعله حيث. م. ع ذكرت قبل بصيغة المفرد. والمرفق بما يتفجع به.

«٤» م. ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه. «٥» لعله خطه.

«٦» م. ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشكرني. «٧» لعله: ويخبرني بما

«٨» م. ع الصواب المكدين نباء واحدة. «٩» الم عمر الدير كما في معجم البلدان

وكنيت نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه قد دخل الى عمري فدعاني الى الاسلام فأجبتة فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لاسلم على يدك قال ففرح التركي فرحاً عظيماً شديداً ولم يحسن ان ياخذ عليّ الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت الزنار واسلمت بحضرته قال فوصاني ما قيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم والسياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم بزي الرهبان وقلت له كما قلت الاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فلما كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم واتفق انه كان عنده دعوة فيها وجوههم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت عليّ القيامة فلما فرغت من حديث الرويا واظهرت الاسلام على يد التركي وامرني بالجائزة وخرجت أتبعني ذلك القائد بعلامه فلما بعدت من الدار قبض عليّ وحملني الى منزل التركي الاول فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذات للغلام جميع ما كان معي ليدعني انصرف فلم يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يايا حصلت (١) لتسخر بالأتراك واحد واحد (٢) وتأخذ دراهمهم قال فقلقت فرحاً وقلت يا سيدي انا رجل صفهان (٣) فقير مكدي وانا فعلت هذا لأخذ شيئاً قال فقال لي اظننت

١٠ م . ع لعله حلمت من الحلم وهو الرويا . ٢٠ م . ع كذا في الاصل .

٣٠ م . ع اي رجل يهفيع

انني افضحك في بلدك ما كنت بالذي افعل وقد جازت السخرية عليّ حتى
تجوز علي الجماعة كما جازت عليّ ولكن اليس انت قال فطايبته وتصفت له
فضحك مني واستدعي بالنيذ وشرب ولا عبت فاستخف روعي وحسني عنده
وخلع علي واعطاني دراهم ودعا جماعة من قواد الآراك وخرجت عليهم في
زي الصفاعنة فمطمطوا (١) علي وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا
قال فأخذت منهم علي تلك الحال مالا ثانياً جليلاً وانصرفت الي بغداد فابتعت
به عقاراً منه اعيش الي الآن.

تم الجزء الثامن



«٤٥» م. ع. العطمة حكاية صوت الحمان اذا قالوا: عيط عيط وذلك اذا غلبوا
قوماً — واختلاط الاصوات وتتابها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

- ٥ -

« الحصرم »

الحصرم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً . ابن سيده
الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين تثبت عن ابي حنيفة وقال مرة
اذا عقد حب العنب فهو حصرم . الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض .
ابو زيد الحصرم حشف كل شيء . وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً . وقال
الأصمعي الحصرم ما طال من نبات العنب شيئاً . وقال ابناً اذا لم يرو الغصن من الكرم
وخرج حبه ضيقاً منفرداً فهو الخصاصه والحصرم .

وحصرم كل شيء حشفه . ومن امثالهم تزيب قبل ان يحصرم . ويقال حصرم الكرم .
العُقَّة يُلَى بضم العين وفتح القاف المشددة الحصرم . عقَل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَّةً يلاه .
الكحَب بالكسر الحصرم واحده كحبة لغة يمانية . وقد كحَب الكرم تكحيباً اذا ظهر
كحبه اي عنقود حصرمه . وكحَب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد نفقج^(١) نوره كذا في اللسان
وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه .

الكحيم لغة في الكحَب واحده كحمة . وفي اللسان وقد كحَب الكرم اذا ظهر كحبه .
وهو البرزوقي^(٢) والواحد كالواحد ونحوه في التاج .
الحثن^(٣) بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الذر واحده بالهاء

(١) فقَّح الورد اذا تفتح وفتح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه وكل نور
تفتح فقد نفقح وكذلك الورد ، وأشبهه من براعم الأنوار .

(٢) البروق بكسر ما يَكسو الارض من اول خضرة النبات . وشجر او نبت ضعيف
يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأى السحاب . والعرب تقول أشكر من
بروقه . وأضعف من بروقه .

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والخصص بفتحين : الحثن .

هكذا في اللسان والتاج . وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحُثْن
وقال ايضاً واذا تجرد الحُثْن وعقد حبه فهو حصرم .
الغَضّ قال في المخصص والغض^(١) من صفات الحُثْن وقيل كل ناعم غض وغضيبض
بين الغضاضة والغضوضة . وقيل هو غض من حين بعقد الى ان يسود ويبيض . وقيل
هو بعد ان يجدر الى ان ينضج .
الحَمَضُ الحامض من العنب اي من أخضره . وحمض العنب .

« حب العنب وعججه »

نقدم ان الحبة تستعمل في اشياء جمّة فيقال حبة من بروجبة من عنب وان الحبة
كثبة حبة العنب ايضاً^(٢) وقال الاصمعي الحبة الحب الذي في جوف الحبة من العنب .
وقال : حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .
العَوَزُ بالفتح حب العنب واحده عوزة .
الهَبْرُ والهَبْرَةُ حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر .
العُجْدُ والعُجْدَةُ حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه . وفي التاج
العجد بالضم الزبيب وحب العنب وبفتح كالعجد والعجد . وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب
كالعجد . وعجد العنب صار عجداً . وحاكم اعرابي رجلاً الى القاضي فقال بعث به عجداً
مذ جمر فغاب عني . الجهر قطعة من الدهر .
الأصمعي عن الخليل الفرصيد والفرصيد حب الزبيب والعنب . وهي لغة اهل
الطائف . وفي اللسان الفرصيد والفرصيد عجم الزبيب والعنب وهو العجد ايضاً

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ما وقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من
الخطأ والتخريف .

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كثبة . وفي المخصص ويسمون
ايضاً ما في جوف الهَبْرَةِ الحبة ضبط فيه بالشكل لخبرة بفتح الهاء وضريح القماموس انها
مضمومة وضبط الحبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعنى ولعلها الحبة
بالخاء المعجمة .

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبذة اخواتها من الحب فتأت
وظهرت وارتفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كان عينه عنب طافية فسرّها
ابو العباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .

الخذلة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش .
والجمع رخدال وخذاليتها استدارتها كأنها طويت طياً .

الحمة: ان الحب الصغير بين الحب العظيم ونوع من العنب وسياقي .

الهَرُور والهَرُور بالضم فيهما ما نثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال
أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت مروعها بقطوفها فسقطت أهرارها فأصكمت
هرورة فما وقعت ولا طارت (الجفنة الكرمة ، والسروع قضبانها ، والقطوف العناقيد .
ويقال لما لا ينفع ما وقع ولا طار) .

وفي المخصص الهَرُور والهَرُور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط
فيه الهَرُور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن
قال في التاج ضبطه الساعدي بالضم وزاد الهرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي الهروور
والهرورة والهرورة قال وهو ما تساقط من السكر من عنبه الردي . وهراً بهراً
أكل هروور العنب .

الجبث ما تساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فراخ النخل ولم يغرس
من النوى . وقيل الفسيل واحدته جبثة . والجبثة والجبثات بكسرها حدبدة يقع بها
الفسيل . والجبث انتزاع الشجر من اصوله .
الجبث ما ينثر في اصول شجر العنب .

الرواء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمير .

وسرق حب العنب يرق مروقاً انتشر^(١) من ريج او غيره .

الخراطة بالضم ما سقط من العنقود حين يختلط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه
اختراطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عاربياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

(١) كذا في لسان ذي النون انتثر .

إذا اجنذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابعك حتى تنقيه من عوده وذلك
الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة .
العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره . وفي الاصمعي وقشرة الهبة
إذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة .
ويقال ما ذقت أكالا ولا تماجا ولا تماجا^(١) أي ما أكلت شيئا وأصله ما يرى به
من العنب بعدما يؤكل . والآكل ما يؤكل والآكل بالضم ثمر النخل والشجر وكل
ما يؤكل فهو أكل وآكل الشجر والزرع اطعم .
الشحم ككتف من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء . وفي كتاب الاصمعي نقول
العرب في العنب انه لشحم إذا كان ريانا^(٢) .
الضمير كأمير العنب الدابل . ضمير فهو ضمير وذلك حين يتغير وفيه الماء . يقال
اطعمونا من ضميركم . وقيل الضمير ما ضمير من العنب فليس عنبا ولا زيبا . وفي المخصص
إذا ذبل العنب سمي الضمير فينضد في الجرين خصلة خصلة فإذا جفت أعاليه قلب فإذا
جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثغاريق .
الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف التمر .
ويقال أفلأب العنب إذا يبس ظاهره فحول وقلب^(٣) ليبس باطنه ويقال جبد
العنب يجرد إذا صفر وقف . وفي الاصمعي ربما كان العنب جابذا وقد جبد يجبد
إذا كان صغيرا مشققا وقف ورقه . وفي المخصص جبد العنب يجبد إذا كان صغيرا مشققا
يعني مشققا . « ليبحث صلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العربي

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم أر من ذكر شمع . وأصلها معرفة .
(٢) كذا في الأصل وصوابه ريان . (٣) يقال قلب الخبز ونحوه يقلبه قلبا إذا
نضج ظاهره فحول لينضج باطنه ويجلبه لغة ضعيفة . وأقلبت الخبزة حات لها أن تلب
والقلب كخبز الحديد التي تلب بها الأرض للزراعة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٩ -

حرت الارض على اشكال منها شكل يسمونه بـ «الادنا» «النقب» وهو ان تكون الارض حرجة او غيلاً او عيصاً او مرجاً او مواتاً لم تعمر بعد فنقطع أشجارها ونكسر او ننقل أشجارها ثم نحوت في عمق اربعين سنتيمتراً على الاقل وقد يبلغ المحراث او المرسدين سنتيمتراً أحياناً . فشق الارض المذكورة لاتخاذها حراثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الخرق يقال خرق الارض خرقاً شقها للحرث (اي لجعلها حراثاً وهي الارض المصلحة للزراع) .

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي قراحاً طيباً صالحاً للزراع مثل قطع الشجر وحرق الشوك وابداء الاعشاب بالحرث ونفثت الصفور بالبارود او الديناميت تسمى احياء الارض واعمارها وبالفرنسية (Défrichement) .

والمواد التي يضيفها الأكثرون الى الارض على قسمين الاول يراد به تزييد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزدرع ويزرع محصوله . والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها صعباً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات . فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والديبال) والاسمدة المعدنية والكبائية وامثالها . ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما .

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والديبال والسرجين فهو الزبل والديبال والسرجنة^(١) وهو بالفرنسية (Fumer) . واما اصلاح الارض المندحجة فهو الدمل والدملان . فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالدمال أصلها به وذلك اذا كانت مدرتها لازمة مستحصنة فدملت لتسلس وترخو على عروق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما أصلح ما يكون للفظ (Amendement) الفرنسية .

(١) انظر مادة دمل في القاموس .

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراففة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكثز والمتداحس والمتراصف الحب وبالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشاكل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe lâche) .

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنايل الحنطة مثلاً اذ منها السنايل المكثزة والمتداحسة والمتراصفة الحب ومنها على العكس السنايل المتشكلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما . وتكون حبة العنب في بعض أصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحم . فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشحيم وبالفرنسية (Raisin charnu) .

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمى (العومي والعواس) وهو أكثر الأصناف انتشاراً ويظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها و يبلغ رأس منخرها أحياناً . والصوفة متينة مرنة جداً ربما دفت فلم يزد ثخنها على ١٠ - ١٥ في الالف بن المليمتر . والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ، ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدينتهم فيها واستعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في أنحاء اوروبا وافريقية والشرق العربي . ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين . وهو اليوم أكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها . ومن صوفه نصنع نسج الخوخ الدقيقة الحوك .

مصطفى الشهابي .

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة ، ألف من بعض أعضائه لجنة لتصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسير موجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر ، ولم يكذب صدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما طلقناه على الكتاب من تأويل وتفسير ، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم ، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنها نقداً ومخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمواخذة حتى شامت مؤاخذتها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشئة عن سقوط الحروف وتكسرهما وهي بما لا دخل له في عبارة الكتاب ، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطراح النظر في النقد بالمجلة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصيلي من جهة — ولنبين من جهة ثانية عادة نسخ ذلك الزمان في كتابة ما يكتبون ، وقد اعتاد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها ، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (بكى) هكذا (يكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطأ الاملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنقذون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القاري . فيأتي احد المعترضين ويذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجعه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذكره احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعئنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد ما اعتمدنا . على اننا لا نتكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نبهنا عليه في مقال خاص نلحقه في كتاب النشوار بعد تجربته

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به اليينا الفاضل السيد رندي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته .
« لجنة التصحيح »

وهذا نص ما أرسله اليينا :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزءين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر ال ٩ من الصفحة ال ١٥ : « ونقل ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلقت المجلة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل . وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن محبي كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذلك العصر كانت تطلق على اجد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة ال ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذلك يتولى دواوين الازمة » .

(٢) جاء في السطر ال ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجد الموفق » ، وانفذ اليه المعتضد في الجيش » . وقد علقت المجلة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمحيثها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربه او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جد وجد » .

(٣) جاء في السطر ال ٤ من الصفحة ال ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال وليس له وجه استسلفه من التجار — على سفائح قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » . والمجلة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علقت عليها المجلة بانها هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء . وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطأ الناسخ ولو حذفت لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف .

(٤) جاء في السطر ال ٣ من الصفحة ال ٨٩ ما يأتي : « فوعده بها وادفعه اياماً » . وقد علقت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعته) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول : تأبط شراً :

فأضربها بلا دهش نفرت صربعا للبدن وللجرات

- (٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من أصحابه كثير احد » وقد علق عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثيرين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ما تستعمل بمعنى جماعة بعد النفي ويراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فإمنكم من احد) من جماعة ؛ (لستن كأحد من النساء) كجماعة من النساء ^(١) .
- (٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة ٨٩ : « والقارية ساجدة عظيمة » . ويغاب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلى به الخشب حيانة له عن الرطوبة و يظهر انهم كانوا في ذلك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .
- وحينذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الروايمز فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان تنصاون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « اكشف » بصيغة المتكلم .
- وفي السطر الثاني من الصفحة ٧٩ « لانهلكي جذعاً » بالذال والصواب « جزعاً » بالزاي .
- وفي السطر التاسع من الصفحة ٧٩ « دبون المغرب » والصواب « ديوان » .
- وفي السطر الثاني من الصفحة ٨٢ « وقيع » بالواو والصواب « رقيع » بالراء .
- وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ماعمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش .
- وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٦ « فأقبل علي صاحب الديوان » بتشديد الياء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .
- وفي السطر الـ ١١ من الصفحة ٩١ « عرضون عمالمهم » والصواب « بعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القاري فوائده شتى في الأدب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو صرّاة جليلة لا وضاع الحكومة في ذاك العصر وأحوالها وطرز ادارتها .

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم (١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب . و بظن ان خزانة لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب همدان وبكيل) وقد أكد له الامير احمد اخو سلطان الحج ان مخطوط الجزء الثامن منتهى جداً في اليمن . وبما ان الاستاذ كرنكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر استنساخها وانه لاحظ ان الهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبور بات) ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ كرنكو . وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحما . والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث دونت باسم عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدلبرغ) بالمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ هـ وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب في ذلك التاريخ . وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن مروان وفيها بيان الأسعار وقد أوردتها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية . ويحوي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند . وسيمدر الاستاذ قريباً كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري . وقد عثر في مدينة (لكهنوء) الهند على نسخة نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي .

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتدال

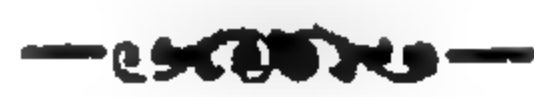
« لأ سامة بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »

« في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لنا نشر هذا الكتاب وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي واحد أستاذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفراء ، لمختصره عبد الرزاق الراسني ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لا يمدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتهر حاجة العلم والأدب الى احياؤها . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائده قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النخاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عد بها من الامهات التي لا يستغنى عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندرى السبب الذي حمل محرره على نشره ثانية بعد ان احياء بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرنوبغ درنبورغ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورغ .

لا جرم ان سي في خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حربة بالنشر لمن أراد الخدمة اكثر من نشر كتب تافهة او إعادة ما طبع منها . وقد قدم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائده كتابه المعجب الذي حوى صورة بدبعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودون فيه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الافرنج وفروسياتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيه أفاصيص وخرافات وغرائب ووادر ، وألم بصيوده وتزهاته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليكمل طبعته على

أسلوب جديد . اما ما سها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقل عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البيان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كانت السوربون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها المحدثون ، وقد رأينا كيف يجتهد اهل الاختصاص من المصريين تأليفهم بحيث تجي متسقة جيدة النسخ والوضع . وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعمى ان ينشر الاستاذ حتى بعد الآن من مؤلفات العرب ما تفاخر به جامعة برنستون ، وان يخذل حذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم تعلق همهم باحياء اثرنا . فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفلاند بعناية العلامة بيوير كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونيغ ولاية مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة بال بعناية العلامة قوري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نالعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كانت مدفوناً من أسرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية . ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين نافعين وآخر سبق غيرنا فغني بحل طلابه . م . ك



تور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكيمة » تصدرها مشيخة الازهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين . وقد حوت هذه المجلة ابحاثاً ونبذاً علمية ودينية تنير الفكر وتلقن لباب الدين بأسلوب رائع عصري لتذوقه النفوس ويرتاح الى مضامينه المؤمنون وغيرهم . وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية أكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فتروج لها دوام الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتتلطف في إشرابه القلوب . وقمة اشتراكها خارج القطر المصري ٥٠ فرشاً صحيحاً ولطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك



ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من اعضاء المجمع العلمي ، ومن تصفح كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ واسع الاستاذ باللغة وآدابها وحرصه على تلقين مسائلها للطلاب . وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول الفاظاً كتابية اي طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليلي بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني نبذاً مختلفة في الأدب . وطائفة من جوامع الكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب وهيكلاً حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوادر الفصحاء مما فيه فكهة وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معناها الفصيح فحواله العامة الى معان أخر : من ذلك :

- (استوى) في الفصيح نساوى . وتسميها العامة بمعنى (نضج الطعام) .
 - (طفر) وثب من أسفل الى أعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .
 - (بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .
 - (الحق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .
 - (شاطر) خبيث محتل . وعندهم بمعنى (الحاذق الماهر) .
 - (عبد) الرفيق زنجياً كان او غير زنجي . وعندهم (الزنجي) رفيقاً كان او غير رفيق .
- هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نمط ما ذكرت ، يجدر بمجبي اللغة الاطلاع عليها واستعمالها فتحى وتنشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما ينشر عادة في صحف الاخبار ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة المتأدب) فياليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

«المعربي»

شرح الأرجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حينئذ من الزمن وقد خدمها تجلده اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها اكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أبهم من الأرجوزة . وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فباض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس . وقد نوحى فيه محاكاة المثنى الاصلي فجاء عمله دليلاً على فضله وجلده . على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمته وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها وتساؤلها عن كتب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني .

(المغربي)



الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —

Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحانه ٨٤ »

L'Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشبكاتاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على حجج شرعية وقرارات مجلس الادارة وحلاه برسوم . فلا يخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الاول من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخية وتبعثر المصادر . غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة يتعذر على القاري معرفة اصلها اذكر أهمها مع بعض ملاحظات :

قال في ص ٧٠ : عن نهر (ابانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٣ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر .

وقال في ص ٤٨٧ أم الشرافيط صوابها أم الشرافيط . وفي ص ٤٩٤ التحجيج الشرعية
تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف . وفي ص ٤٩٥ معضمية
صوابها المعضمية او (المعظمية) . وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النفور .
وقال في ص ٥٠٤ شتي صوابه شتوي . وفي ص ٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في ببرود لا في
النبك . وفي ص ٥١٠ جانباً طاموسية صوابه جامع الطواويسية . وقال في ص ٥١١
من العرب صوابه من القصب (مسجد الاقصاب) . وفي ص ٥١٣ حمارة صوابه حمورة .
وفي ص ٥١٣ بيت مسروا صوابه بيت سوا . وفي ص ٥١٤ بيت مكن صوابه بيت مكنم .
وفي ص ٥١٥ الخزة صوابه المناخية . وفي ص ٥١٥ الفراجين صوابه الفرايين . وفي ص
٥١٧ صوارف صوابه صواف . وفي ص ٥٢٧ السكاكي صوابه السكاكري . وقال في
ص ٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين . وقال في ص ٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع
انه يزرع فيها ولا سيما في قرية كفرسوسة وغيرها .

وقد انبهنا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب
على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً
وقوله ان الفدان الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً
وذكره احصاءات في المساحات التي تسقى بمياه بردى وبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً الى غير
ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية . « جعفر الحسني »



موجز

« في الصكوك الجزائرية »

هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك
الخوري ومحمود بك النحاس على طلاب الصف المنتهي في معهد الحقوق بدمشق .
وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفي شجرة الاستاذ
الخوري ومقدرة الاستاذ النحاس ما يكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتقاد عليه .
عارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٥٠٧ الامتيازات الاجنبية (كتاب)	٢٣٨ ابو شنب (ترجمته)	
٣٣٦ ابن تعلم المنبي (جبري)	٥٨٤ احساس المنبي (جبري)	
« حرف الباء »	٥٢٦ اخلاق المنبي	
١٨٣ و ١٨٤ بشار بن برد (شعره)	٩٣ الأدب	
« حرف التاء »	١٧ الآداب العربية الحديثة (الكراتشوفسكي)	
٦٣٦ تأثيرات سياحة (كتاب)	٧٧٥ الارجوزة بالرجز (شرحها)	
١٥٢ تاريخ الادب (جبري)	٣٠٥ و ٣٠ أسامة بن منقذ (محاضرة للنعماني)	
٢٥٣ تاريخ الحركة القومية (كتاب)	٥١٣ و ٥٩٢ « « « « و كتابه الاعتبار	
١٨٧ تاريخ سورية (اصوله العربية - كتاب)	(لفيليب حتي)	
٦٣٨ تاريخ اللغات السامية (كتاب)	٢١٧ الاسلوب (جبري)	
٢٥٦ تاكرونة (نصوص عربية بالفتح - كتاب)	٧٠٣ الأسمدة واستعمالها (كتاب)	
٤٠٨ التدوين في الاسلام (م . ك)	٤٤٨ اصلاح الوعظ الديني «	
١٨٠ التذكرة الصلاحية (لحسن حسني	١٦٦ أطوار النقد (جبري)	
عبد الوهاب : كتاب)	٧٧٢ الاعتبار (كتاب - تقريبه)	
٦٣٢ تصحيح قصة (بشأن أسامة بن منقذ	٦٢ الأعلام (كتاب - تقريبه)	
واجتماعه بابي العلماء)	٥٧٤ افرقية الغربية البريطانية (كتاب)	
١٩٣ تصنيف الاحياء (مقال فيه - كتاب)	٤٣٩ اكليل الحمداني (كتاب - الامير شكيب	
(الشهابي)	٢٤١ و ٣٦٨ و ٧٦٦ الفاظ عربية لمعاني	
٢١٢ تقسيم نوب ماء دمشق ووضع اسماء	زراعية (الشهابي)	
لساعاتها (المغربي)	٣٧٧ الفاظ عربية زراعية (استدراكها)	
١٠٣ تمازج الثقافات (جبري)		

صفحة	« حرف الدال »
١٢٩	توهم الأصاله (او تأصيل اصل في اللغة
	العربية) (المغربي)
٤٤٥	التيجان (كتاب لابن منبه)
	« حرف الثاء »
٩٨	ثقافة الذوق (جبري)
	« حرف الجيم »
٦٣٦	الجاحظ (كتاب)
١ و ٧٧ و ١٣٨ و ٢٠١ و ٢٩١	جامع التواريخ
٤٢٠ و ٤٧٥ و ٦٠٤ و ٦٧٨	(او انشوار
٧٤٤	المحاضرة)
٤٩٢	جبر ضومط (ترجمته)
	« حرف الحاء »
١١١ و ٣١٧ و ٦٣٢	الحافظة والمحفوظات
	(قوتها) (الفزي)
٥٢	الحروف العربية (اصلاحها)
	(خالد الفرج)
١-٤	حوليات مصر السياسية (كتاب)
٤٤٩ و ٣٩٤	حياة المتنبي (جبري)
	« حرف الخاء »
٤٤٨	خطرات نفس (كتاب او مجموعة
	مقالات)
٥٩	خطط الشام (تقرظه)
٥٣٧	الخيام والمعري (مقارنة بينهما)
	(محاضرة الصراف)
٤٤٧	دائتي شاعر الطليان (كتاب)
٥٧٦	دليل الاصطيف في سوربة (كتاب)
٥٧٢	دمية القصر
٥٧٣	ديوان التحقيق والمحامكات الكبرى
	« حرف الذال »
٧٧٤	ذخيرة المتأدب (كتاب - تقرظه)
	« حرف الراء »
٦٥٢	روح المتنبي (جبري)
٧٧٥	الزي في غوطة دمشق (كتاب افرنسي)
	« حرف السين »
٢٢٣	سحر العبقريه (جبري)
٥٠٩	السوريون في مصر (رسالة)
١٢٦	سيد قريش (كتاب - تقرظه)
	« حرف الشين »
٢٥٤	شرقي الاردن (خمسة أعوام فيه)
٣٨٢	الشعر الجاهلي (كتاب) (جزؤه
	الاول لمؤلفه السقا)
	« حرف الصاد »
٢٩	صدر الدين الشيرازي (٣) (الزنجاني)
	« حرف الطاء »
٣٨١	طنطاوي جوهري (تفسيره المسعي
	بالجواهر)

صفحة	« حرف العين »	صفحة
٦٥ كلمات لغوية (صحفت في المعاجم) (نلينو)	٤٤٥ عبيد بن شربة (كتابه في اخبار اليمن) ٧٢٠ و ٦٦٧ عبقرية المتنبي (جبري) ١٨٩ العراق (جغرافيته) ٣٧١ و ١٧٦ عربية (أصلها) (الكرمل و منش) ٣٢٩ و ٣٢١ عربوية المتنبي (جبري)	
« حرف اللام » ٢٥٤ لبنان وصورية (كتاب) ٧٣٢ لغة المتنبي (جبري) « حرف الميم » ٥١٢ مبادي الميكانيك (كتاب) ٢٧١ المتنبي (جبري) ٦٣٥ المتنبي (كتاب . تقر يظه) ٢٧٦ المتنبي (وطنه) (جبري) ١٢٥ المجموع العلمي اللبناني ٥٧٧ مجموع نادر (عبد الله مخلص) ٦٣٣ و ٣١٧ و ٢٥١ مخطوطات دار الكتب الظاهرية (نوادرها) ٧٧١ مخطوطات قديمة (كرككو) ٤٤ مسمود الكواكبي (ترجمته) (راغب الطباخ) ٣٤٧ و ٢٥٧ المسكرات ومضارها (محاضرة اسعد الحكيم) ١٨٧ معجم الادباء (جزؤه الخامس) ٤٠٣ و ٤٦١ معجم الدكتور شرف (نظرة فيه للشهابي) ٥٣٧ المعري والخيام (مقارنة بينهما) (محاضرة الصراف)	« حرف الغين » ٣٧٨ غادة الكيليا (كتاب . تقر يظه) ١٨٨ غولده صهير (أعماله العلمية) « حرف الفاء » ٣١٩ فاوست (كتاب . تقر يظه) ١٧٣ و ١٠٨ و ٥١ فصيح وشوارد (كلمات لغوية) (سالم رزق) ٦٦٠ فلسفة المتنبي (جبري) ٥١٠ في اوقات الفراغ (كتاب او مجموعة مقالات) « حرف القاف » ٥٧٤ قلب الطفل (كتاب . تقر يظه) ٥٧٥ قواعد الافعال السامية (كتاب فيها) « حرف الكاف » ٣٨٣ كامل المبرد (شرحه للرصني . كتاب) ٢٤٤ و ٤٦٦ و ٥٦٢ (الكرم (رسالة فيه) ٧٦٢ و ٦٩٧ و ٦٢١ (الجندي)	

صفحة	صفحة
١٦٠ نقد المؤرخات الادبية (جبري)	١٩١ المغرب الاقصى (الادب العربي فيه)
٧٧٣ نور الاسلام (مجلة دينية)	(كتاب)
٥٠٠ و٥٦٧ و٦٢٧ نهاية الأرب (حول	٧٠٢ المقتطف مختاراته
تصحيح جزئه السابع)	٦٣ مكناس (كتاب في تاريخها)
٥٠٨ نيل الوطر (كتاب تراجم اليمانيين)	٧٧٦ موجز في الصكوك الجزائرية (كتاب)
« حرف الواو »	« حرف النون »
٦٤١ و٧٠٥ وليمة ابن واسانة (محاضرة	٢٤٩ النبات الطروب (احمد رضا)
المغربي)	٣٨٥ نبوة المثني (جبري)
٤٤٥ وهب بن منبه (كتابه التيجان في	٤٩٨ نجوى آدم (قصيدة) (جبري)
ملوك حمير)	٢٥٠ نزهة العيون (كتاب)
« حرف الهاء »	٢٨٣ نسب المثني (جبري)
٦٣ و١٢٧ و٥٧٦ و٦٤٠ هدية مكتبة	١ و٧٧ و١٣٨ و٢٠١
وهدايا كتب	نشوار المحاضرة اوجامع
	٤٧٥ و٤٢٠ و٢٩١
	التواريخ
	٧٤٤ و٦٧٨ و٦٠٤
	وملاحظات على اغلاطه
	٧٦٨



« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »
١٨٤ زكي مغامر	٢٩ ابو عبد الله الزنجاني
« السين »	٥٣٧ احمد حامد الصراف
٥١ و ٨٠ و ١٧٣ سالم خليل رزق	٢٤٩ احمد رضا
٢٤٤ و ٤٦٦ و ٥٦٢ { سليم الجندي	٥٠٠ و ٥٦٧ و ٦٢٧ احمد الزين
٧٦٢ و ٦٩٧ و ٦٢١ {	٢٥٧ و ٣٤٧ اسمعيل الحكيم
« الشين »	١٧٦ انستاس الكرملي
٩٣ و ٩٨ و ١٠٣ و ١٢٦ و ١٥٣ و ١٦٠ {	« الباء »
١٦٦ و ١٩١ و ٢١٧ و ٢٢٣ و ٢٧١ {	٢٩٢ بولس الخولي
٢٧٦ و ٢٨٣ و ٣١٩ و ٣٢١ و ٣٢٩ {	« الجيم »
٣٣٦ و ٣٧٨ و ٣٨٥ و ٣٩٤ و ٤٤٩ {	٣٧١ جرجس منش
٤٩٨ و ٥١٠ و ٥٢٦ و ٥٨٤ و ٦٣٦ {	٢٥٦ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٦٣٨ و ٧٧٥ جعفر الحسني
٦٥٢ و ٦٦٠ و ٦٦٧ و ٧٢٠ و ٧٣٢ {	« الحاء »
٤٣٩ شقيب أرسلات	١٨٠ حسن حسني عبد الوهاب
« الطاء »	٢٥١ و ٣١٧ و ٦٣٣ حسني الكسم
٢٣٠ و ٣٠٥ طاهر النعماني	« الخاء »
« العين »	٥٣ خالد بن محمد الفرج
٥٩ و ٥٠٧ و ٥٠٨ { عارف النكدي	« الزاء »
٥٠٩ و ٧٧٦ {	٤٤ و ٦٣٣ راغب الطباخ
٢٥٤ عبد الله رعد	٧٦٩ رشدي الحكيم
٥٧٧ عبد الله مخلص	

صفحة	« الفاء »
<div> <div> <div>١٢٧ و ١٢٩ و ٣٨١ و ٣٨٢</div> <div>٣٨٣ و ٤١٢ و ٥٧٦ و ٦٤١</div> <div>٧٠٥ و ٧٧٤ و ٧٧٥</div> </div> <div>المغربي</div> </div>	<div>صفحة</div> <div>٣١٧ و ٣٥٠ و ٥٩٢ فيليب حتي</div> <div>« الكاف »</div> <div>١١١ و ٢٥٠ كامل الغزي</div> <div>١٧ كراتشة ونسكي</div> <div>١٨٤ و ٧٧١ كرنكو</div>
<div> <div> <div>١٨٩ و ١٩٣ و ٢٤١ و ٢٥٣</div> <div>٣٦٨ و ٣٧٧ و ٤٠٣ و ٤٦١</div> <div>٥١٢ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٦٦</div> </div> <div>مصطفى الشهابي</div> </div>	<div>« الميم »</div> <div>٢٣٨ ماسيه (Massé)</div> <div>١٨٣ محمد بدر الدين العلوي</div> <div> <div> <div>١٨٨ و ١٨٧ و ٢٥٠ و ٦٣ و ٦٢</div> <div>٥٧٢ و ٤٤٨ و ٤٤٧ و ٤٠٨</div> <div>٧٧٢ و ٦٣٦ و ٦٣٥ و ٥٧٤ و ٥٧٣</div> </div> <div>كردي</div> </div>
<div>« النون »</div> <div>٦٥ نلاينو (كارلو)</div>	<div>٧٧٣</div>

جدول الخطأ والصواب

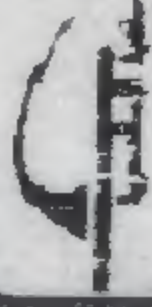
ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

- جاء في ص ٢٤ س ٢ ٠٠٠٠ والصواب ما بقي ٠ وفي ص ٢٦ س ٥٠٠٠٠ والصواب في ٠
وفي ص ٢٦ س ٦ ٠٠٠ والصواب يكون أساساً لدرس ٠ وفي ص ٢٦ س ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣
و ٢٤ ٠٠٠٠ نقص عدة حروف من أول السطور ٠ وفي ص ٣١ س ٨ ٠٠٠ والصواب الذي
استراحت وفي ص ٣١ س ١٠ ٠٠٠ والصواب سوى هذه الطرق ٠ وفي ص ٥٩ س
١٨ ٠٠٠ والصواب عم ٠ وفي ص ٧٧ س ١٥ كشف والصواب اكشف ٠ وفي ص ٧٩ س ٢
جذعاً والصواب جزءاً ٠ وفي ص ٧٩ س ٩ ديون والصواب ديون ٠ وفي ص ٨٢ س ٦ أبي
والصواب ابن ٠ وفي ص ٩١ س ١١ عرضون عمالم والصواب يعرضون أعمالم ٠ وفي ص
١١٢ س ٥ أ والصواب أي ٠ وفي ص ١١٤ س ٤ باواقه والصواب باوصاقه ٠ وفي ص
١٢٤ س ١٨ عواط ٤ والصواب عواطفه ٠ وفي ص ١٢٥ س ١٣ قارير والصواب تقارير ٠
وفي ص ١٢٥ س ٢٠ والقر والصواب والقرى ٠ وفي ص ١٢٨ س ١٠ وضمه والصواب
وضمته ٠ وفي ص ١٣٤ س ١٦ هذه ثلاثة عشرة كلمة صوابها هذه ثلاث عشرة كلمة ٠
وفي ص ١٥٣ س ١ وتدرسه والصواب وتدرسه ٠ وفي ص ١٥٥ س ١١ رنا والصواب
رنان ٠ وفي ص ١٧١ س ١٧ لرجل والصواب الرجل ٠ وفي ص ١٨٠ س ٦ ونحن أول بمن
صوابها نحن أول من ٠ وس ٨ منها الاب انتانس صوابها الاب انتاس ٠ وفي ص ١٨٣
س ١٨ ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعم انه صوابها ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعم انه ٠ وفي
ص ١٨٥ س ٢٤ داود بن يعقوب والصواب يعقوب بن داود ٠ وفي ص ٢٣١ س ٩ ٠٠٠
والصواب على ٠ وفيها س ٢٣ جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين صوابها جاءت الزلزلة سنة
ثنتين وخمسين ٠ وفي ص ٢٣٥ س ٧ وسبحنه ثم اعدمه صوابها وسبحنه ثم قتله ٠ وفي ص ٢٣٦
س ٢٣ في سنة اثنين وثلاثين صوابها في سنة ثنتين وثلاثين ٠ وفيها س ٢٤ في سنة اثنين
واربعين صوابها في سنة ثنتين واربعين ٠ وفي ص ٢٥٥ س ٩ يعرف قارئه صوابها يعرف
قارئه ٠ وفيها س ٢٠ يجدونه في عمل صوابها يجدونه في اعمال ٠ وفي ص ٢٥٦ س ٤
اثني عشر قطعة صوابها اثني عشرة قطعة ٠ وفيها س ١٨ بان والصواب أن ٠ وفي ص

٢٩١ س ٩ القام صوابها القامب . وفي ص ٢٩٣ س ١٤ الفاربة صوابها القاربة . وفي ص ٣٠٢ س ٨ فضاته صوابها قضاته . وفي ص ٣٠٣ س ٤ لمقي صوابها يلقي . وفيها س ٤ سمته صوابها سمته . وفي ص ٣١٤ س ٢١ فالرد الصواب فالردى . وفي ص ٣٧٢ س ٨ نقل الصواب ونقل . وفيها س ٨ بعاد الصواب بعد . وفي ص ٣٧٥ س ٧ قوة قاف الصواب قره قاف . وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العثمانية الصواب الدرر العمانية . وفي ص ٣٨٢ س ٢٢ اسم الفاعل الصواب اسم المفعول . وفي ص ٣٨٦ س ١٤ بالمبني الصواب بالمثنوي . وفي ص ٤٢٧ س ١٢ وقد لز الصواب وقد لز . وفي ص ٤٣١ س ١١ وقنا الصواب وقنا . وفي ص ٥٠٧ س ٢٢ هدم الصواب هدمًا . وفي ص ٥٠٩ س ٤ خالطت الصواب خالط . وفيها س ٥ لا يستاء الصواب لا يساء . وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتهما وادبهما . وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لم فيكون لهما . وفي ص ٦١٨ س ١٧ مهدي الصواب مهدي . وفي ص ٧٠٩ س ٢ نفلس الصواب نفلسفت .

(نبيه) — معظم الأغلط في هذا المجلد ناشية عن سقوط الحروف وتكسرهما مما لا يغيب النطق اليه عن ذكاء القاري .





Bibliotheca Alexandrina



0652780